حماسة ابن الشجري

دراسة موازنة

إعداد

فهمي محمود عواد شعيل

المشرف

الدكتور ياسين عايش

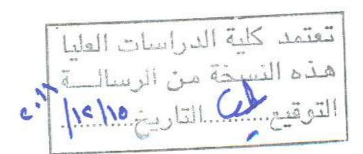
قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الدكتوراه في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الأول ٢٠١١



قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (حماسة ابن الشجري: دارسة موازنة) وأجيزت بتاريخ ٢٠١١/٨/١١

أعضاء لجنة المناقشة :	**التوقيع**
الدكتور ياسين عايش، مشرفاً **أستاذ مشارك – الأدب العباسي**	....
الدكتور إبراهيم خليل، عضواً **أستاذ مشارك – اللغة والنقد**	....
الدكتور : حمدي منصور، عضواً **أستاذ مشارك – الجاهلي والإسلامي**	....
الدكتور : سالم مرعي الهدروسي، عضواً **أستاذ مشارك – الأدب العباسي** **جامعة اليرموك**	

الإهداء

إلى أبي وأمي اللذين ربياني صغيراً

واعتنيا بي كبيرا.

شكر وتقدير

إلى الأستاذ المشرف على رسالتي

الدكتور ياسين عايش.

الفهرس

ملخص الدراسة

حماسة ابن الشجري : دراسة موازنة .

إعداد : فهمي محمود عواد شعيل .

بإشراف : الأستاذ الدكتور ياسين عايش .

عالجت هذه الدراسة أوجه الشبه والاختلاف ما بين حماسة ابن الشجري والحماسات السابقة لها. وقد جاءت في تمهيد وأربعة فصول، على النحو التالي :

التمهيد : درست فيه حياة ابن الشجري وأدبه، وألقيت نظرة تاريخية على الحماسات والاختيارات الشعرية وماذا ذكرت المصادر القديمة وبعض المراجع الحديثة حول كتب الحماسات .

والفصل الأول هو أسلوب ابن الشجري : دراسة موازنة . قارنت فيه بين أسلوب ومنهج ابن الشجري في اختياره لمقطوعات حماسته وأساليب أصحاب الحماسات الأخرى .

والفصل الثاني تحدثت فيه عن أهم المضامين الشعرية في كتب الحماسات المختارة، وتناولت فيه أهم الأغراض الشعرية من فخر ورثاء ومديح وهجاء وغزل ووصف وحكم . وتبين لي أن بعض كتب الحماسات المختارة قد اختصت ببعض الأشياء التي لم تختص به بعضها الآخر .

والفصل الثالث كان عن قضايا الشكل الفني في كتب الحماسات، عرضت فيه لقضيتين اثنتين هما : مقدمات المقطوعات الشعرية في كتب الحماسات، والقصة والحوار الشعريين، ثم قمت أثناء ذلك بتحليل لبعض نصوص المقطوعات .

وفي الفصل الرابع : أخذت المقطوعات المشتركة ما بين الكتب الحماسية وكتب الاختيارات الشعرية، أو بين الكتب الحماسية نفسها، مبيناً أوجه الاختلاف في ألفاظ المقطوعات فيما بينها مما يعود إلى اختلاف الروايات .

المـــقـــدمـــة

كتب الاختيارات والحماسات الشعرية كنز من كنوز التراث، ذلك أنها حفظت لنا مادة شعرية كثيرة، كادت تضيع لولا أن انبرى لها علماء أجلاء جمعوها من بطون المصادر قديمة، حيث كانت المادة الشعرية مبثوثة متفرقة بين ثناياها، فكان أن جمع هؤلاء العلماء تلك المادة وحفظوها في كتب ثمينة هي " المختارات" أو "الحماسات الشعرية" .

وكتب المختارات والحماسات الشعرية، تحتوي على مقطوعات أو قصائد ممتعة، جمع فيها أصحابها بين القديم والمحدث في عصرهم، كما فعل الزوزني في (حماسة الظرفاء)، أو اقتصر بعضهم الأخر على القديم من الشعر، ولم يأخذ من الأشعار المحدثة سوى القليل النادر كما كان عند أبي تمام في حماستيه "ديوان الحماسة" و "الوحشيات "، وبعضهم وقف وقفة المعتدل كما فعل ابن الشجري في حماسته .

وفكرة الكتابة حول هذا الموضوع تطورت مع مرور الزمن، فعندما كنت على مقاعد الدراسة الأولى درسنا شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام، الذي وصف عمود الشعر العربي، وعاب على الشاعر أن يتخطاها، وخطأ أبا تمام في خروجه عن عمود الشعر العربي، بل ذهب إلى أبعد من هذا عندما قرر أنه كان يبدل في ألفاظ المقطوعات الشعرية بألفاظ أخرى يجبرها من عنده. ولستُ في صدد بحث هذه المسألة الآن، فقد تصدى لها بعض الدارسين في رسائلهم الجامعية كما فعلت (حنان حمودة) في رسالتها الموسومة بـــ "المعايير النقدية في المختارات الشعرية من القرن الخامس إلى القرن الثامن " التي شكت من مدى صحة هذا القول، وكما عند منذر ذيب الكفافي في "الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية" الذي رجح بطلان هذا القول، وأكد ذلك ببعض الأدلة القياسية والبراهين .

قلتُ إنني لست في صدد بحث هذه المسألة، وإنما ارتأيت أن أقول بأن المرزوقي قد لمع اسمه في ذهني حين رسم لعمود الشعر خطوطا حمراء لا يجوز أن يتعداها الشاعر، مما جعلني أعود لكلامه في هذا الشأن أكثر من مرة كي أفهمه جيداً ولارتباط اسمه بحماسة أبي تمام، دافع آخر لي أن اقرأ هذه الحماسة وديوان أبي تمام معاً كي أرى مدى تطابق قول المرزوقي مع صنيع أبي تمام في ديوانه وحماسته. وعندما عرفت أن هناك كتب حماسات أخرى صنعها أصحابها على غرار صنيع أبي تمام، جاءني الدافع لأن أكتب في تلك الحماسات دراسة نقدية .

فأخذت بعض الحماسات القديمة مثل حماسة أبي تمام والوحشيات له، وحماسة البحتري، وحماسة الظرفاء للزوزني، والحماسة الشجرية لابن الشجري، وجعلت موضوع حماسة ابن الشجري موضوع الدراسة الرئيس، من مقارنتها في المنهج والأسلوب والمضمون والدراسة الفنية مع مثيلاتها من الحماسات الأخرى . وكان سبب إيثاري لحماسة ابن الشجري لتكون الحماسة الرئيسية في دراستي هذه، ما أغراني مما كتبه ابن الشجري بين ثنايا حماسته من تعليقات وشروح ونقد لبعض المقطوعات الشعرية، خلت منها كتب الحماسات الأخرى – قيد الدراسة –.

وقد بدأت دراستي بتمهيد تحدثت فيه عن ثلاثة أمور الأمر الأول حياة ابن الشجري متضمنا ذلك الحديث عن اسمه ونسبه، وولادته ووفاته، وبعض صفاته وعلمه، وأهم شيوخه وتلاميذه، وأهم كتبه التي وصلت إلينا، وكذلك التي لم تصل إلينا وطواها الدهر .

أما الأمر الثاني فقد ألقيت فيه نظرة سريعة على كتب الاختيارات والحماسات الشعرية عبر تاريخها وتطور مراحل تكوينها. وفي القسم الثالث درست ما خصت به المصادر العربية

القديمة وبعض المراجع الحديثة كتب الحماسات من كلام مدح فيها، ورأيت أن بعضها قد اكتفى بمجرد ذكر تعداد بعض كتب الحماسات .

ثم جعلت الرسالة بعد التمهيد في أربعة فصول. الفصل الأول منها وازنت فيه بين أسلوب ابن الشجري في حماسته، ومناهج أصحاب الحماسات الأخرى – قيد الدراسة – مبرزاً ما امتازت به حماسة ابن الشجري عن سائر الحماسات المدروسة وما تميزت به تلك الحماسات عن حماسة ابن الشجري.

وفي الفصل الثاني كانت الموازنة بين المضامين الشعرية في حماسة ابن الشجري وكتب الحماسات الأخرى، وما امتازت به كتب الحماسات المدروسة عن بعضها .

وفي الفصل الثالث تناولت قضيتين فنيتين عنيت بهما دراسة، وهما مقدمات المقطوعات الشعرية في كتب الحماسات، والقضية الثانية هي الحكاية والحوار الشعريان . فقد وجدت أن جميع كتب الحماسات الشعرية تحتوي على مثل هذه القضية، ذلك أن الحكاية والحوار هما كثير من أشعار العرب. وقد كان عملي في هاتين القضيتين أيضا تحليلاً لبعض المقطوعات تحليلاً فنياً.

وفي الفصل الأخير درستُ المقطوعات الشعرية المشتركة ما بين كتب الحماسات – قيد الدراسة – من جهة، وأضفت إليها بعض كتب الحماسات وكتب المختارات الشعرية من جهة اخرى وهي: المفضليات والأصمعيات، ومختارات ابن الشجري وهو كتاب آخر لابن الشجري، من كتب الاختيارات، ومجموعة المعاني، والحماسه البصرية، والتذكرة السعدية من كتب الحماسات.

وقد ساعدني على كتابة هذا الفصل وتجميع أجزائه ما وجدته في حواشي كتب الحماسات – قيد الدراسة – من إشارات لكتب حماسية أو اختيارية أخرى شاركت كتب الحماسات في ذكر الكثير من المقطوعات .

ولا بد لي في هذا المقام من كلمة أتوجه فيها بخالص الشكر ووافر الامتنان لكل من كان له سهم في إنجاز هذا البحث، وأخص بذلك الدكتور ياسين عايش الذي أشرف عليه وكان له الفضل الأول في انجازه، ومنحني من وقته ما دعت اليه الحاجة، جزاه الله عني خير الجزاء.

وأشكر الدكتور حمدي منصور الذي كان لي شرف مشاركته في مناقشة هذه الرسالة، وكان لي من ملاحظاته القيمة ما أعتز به ولا غنى لي عنه لسد ما فيها من ثغرات . وأشكر الدكتور ابراهيم خليل الذي شارك في مناقشتي أيضاً، ولم يدخر وسعا في إسداء النصح والتوجيه لي، كما أخص الدكتور سالم الهدروسي من جامعة اليرموك لمناقشته لي، في رسالتي هذه، وتكبده مشاق الطريق في قدومه إلي . وأرجو أن أكون قد استفدت من ملاحظاته القيمة ونصحه وإرشاده ما جعلني أسد بعض الثغرات في الرسالة .

وبعد فهذا ما أمكنني الوسع عمله، راجياً العذر في ما يجد فيه القارئ من هنات، ذلك أن الإنسان محاط بالعجز والنقص، إذ لا كمال إلا لله، وأرجو أن تكون هذه الثغرات والنقص بداية خير لعمل أفضل أقوم به في المستقبل .

التمهيد

ابــن الــشــجــري : حيــاتـــه وأدبـــه

اسمه ونسبه : هو أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي أبو السعادات المعروف بـــابن الشجري[١] " .

وقد اختلف الدارسون القدامى في نسبه " الشجري". فقال ياقوت الحموي : " نسب إلى بيت الشجري من قبل أمه "[٢] ورأى ابن خلكان أن " الشجري: نسبة إلى شجرة، وهي قرية من أعمال المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وشجرة أيضاً: اسم رجل، وقد سمت به العرب ومن بعدها "، ثم قال: " ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منها هل نسبته إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة، والله أعلم"[٣] . أما صاحب الوافي بالوفيات فبعد أن نقل كلام ابن خلكان السابق، عرض قول بعضهم : " أنه كانت في دارهم شجرة، ليس في البصرة غيرها "[٤].

ينفي صاحب الدرجات الرفيعة نسبة ابن الشجري إلى أحد أجداده، ويرى أنه منسوب إلى قرية من أعمال المدينة [٥].

---

[١] القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هــ) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥ م ، ج٣، ص٣٥٦.

[٢] الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هــ). معجم الأدباء، دار المأمون، ٢٨٢/١٩.

[٣] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هــ)، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٦، ص ٥٠ .

[٤] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هــ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، ج٢٧، ص ١٧٧ .

[٥] الشيرازي، صدر الدين السيد علي خان المدني الحسيني (ت ١١٢٠هــ)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مكتبة بصيرتي، ص ٥١٨ – ٥١٩ .

وقد مال السيد حسن الصدر إلى أن ابن الشجري ينسب إلى بلدة " شجرة "، وهي قرية من أعمال المدينة[١]، كما ذهب أيضاً إلى أن جد ابن الشجري الأعلى هو عبد الرحمن بن القاسم الشجري، وقد بين الدكتور عبد المنعم التكريتي إلى أن عبد الرحمن هذا هو من أبناء القاسم حسن بن زيد بن الإمام الحسن عليه السلام[٢]، لذا فهو ليس من أجداد ابن الشجري.

وبناء على هذا فإننا نظن أن عبد الرحمن هذا هو المنسوب إلى قرية الشجرة والذي ظن السيد حسن الصدر أنه من أجداد ابن الشجري وهو ليس كذلك. كما نستبعد نسبة ابن الشجري إلى أحد أجداده اسمه شجرة ، فالمصادر لم تذكر ذلك .

ولادته ووفاته: تتفق المصادر والمراجع على مكان ولادة ابن الشجري وزمانه، كما تتفق على زمان وفاته. فهو ولد في بغداد في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمئة للهجرة، وتوفي عام اثنين وأربعين وخمسمئة في شهر رمضان أيضاً.[٣] أما ما ورد في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري من أنه ولد عام خمسة وأربعمئة[٤] فنظنه تصحيفا أو أنه سقط سهواً، فقد خالف بهذا التاريخ جميع ما ذكرته المصادر من سنة ولادته، وعمّره على هذا الرأي مئة وسبعة وثلاثين عاماً، وهو ما لم يقل به أحد.

---

[١] السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر العراقية المحدودة، ص ١٢٣- ١٢٤ .

[٢] التكريتي، عبد المنعم، ابن الشجري ومنهجه في النحو، ص ٢٥، الحاشية .

[٣] أنظر مثلاً : ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٦، ص٤٩، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هــ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٥، ج٢٠، ص ١٩٦، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ج٢، ص٣٢٤.

[٤] انظر العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام عقلة، مركز زايد، الأمارات، ج٧، ص١٤٦-١٤٨.

وقد قال الذهبي عنه: " طال عمره، ومتع بحواسه وجوارحه[١] " ورجل عمّر إلى التسعين في حواس قوية وعافية أقوى احتمالاً بكثير من كونه جاوز المئة بسبع وثلاثين على رأي صاحب المسالك. **صفاته وعلمه:** تذكر المصادر القديمة أنه كان فصيحاً، حلو الكلام، حسن البيان والإفهام، وقوراً في مجلسه، لا يكاد يتكلم بكلام إلا ويتضمن أدب نفس أو أدب درس،[٢] ذكي الفؤاد، حاضر البديهة[٣].

كان يجمع إلى الأدب اللغة وعلم النحو والفقه. وقد أثنى عليه غير واحد بسبب غزارة علمه. فالأنباري يقول عنه: " وكان فريد عصره ووحيد دهره في علم النحو، وكان تام المعرفة باللغة "[٤]، وقال أيضا : "وكان من أنحى من رأيناه من علماء العربية، وآخر من شاهدنا من حذاقهم وأكابرهم[٥]".

وقال ياقوت : " كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعاً من الأدب، كامل الفضل[٦]" .

ووصفه الذهبي: بـــ " شيخ النحاة "[٧]

---

[١] الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات (٥٤١ – ٥٠٥ هـــ) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص١٣٠.

[٢] البغدادي، محب الدين بن النجار، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٤١٩-٤٢١.

[٣] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص١٧٧.

[٤] الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـــ)، نزهة الألباء في طبقات الادباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٩٨٥، ص٢٩٩- ٣٠٢ .

[٥] المصدر نفسه .

[٦] ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١٩، ص٢٨٢.

[٧] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٩٤.

وقد كان شاعراً أيضاً، إلا أنه لا يتميز بأصالة شعره، ولعل المنحى العلمي الذي سار به في ثقافته هي التي شغلته عن الشعر وخوض غماره. ولم يحفظ لنا التاريخ سوى القليل النادر من شعره، لعلها كانت كل ما قال أو معظمه. فمن ذلك قوله[١]:

لا تَمْزَحَنَّ فَإِنْ مَزَحْتَ فلا يَكُنْ	مَزْحاً تُضافُ بِه إِلى سُوءِ الْأَدَب
واحْذَرْ مُمازَحَةً تَعودُ عَداوَةً	إِنَّ المُزاحَ علـــى مُقَدِّمَةِ الغَضَب

ففي هذه المقطوعة يغلب عليه المعاني الأخلاقية، مما يدل على جديته ورزانته وبعده عن العبث. ومن نظمه أيضاً في الغزل[٢]:

ما أَنْصَفَ الرَّشَأُ الضَّنِّينُ بِنَظْرَةٍ	لمَّا دَعا مُصْغِي الصَّبابة طَامِحُ

وقد كان في غزله مقلداً أكثر منه مبدعاً .

شيوخه وتلامذته: من أبرز شيوخه: ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هــ) حيث أخذ عنه اللغة والنحو، والتبريزي (ت٥٠٢هــ) أخذ عنه الأدب، كما أخذ الحديث عن أبي البركات العلوي (ت ٥٣٩هــ)[٣].

---

[١] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٤.

[٢] ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٦، ص٤٧ – ٤٨ .

[٣] الخوانساري، الميرز أحمد باقر الموسوي الأصبهاني، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله إسماعيليان ، مكتبة إسماعيليان، طهران ، ج٨، ص١٩١ – ١٩٢ .

أما أبرز تلاميذه فأبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)[١]، وابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ)، وأبو اليمن الكِنْدِي (ت ٥٩٧ هـ)[٢].

مصنفاته : لقد ألف ابن الشجري مصنفات كثيرة في علوم مختلفة كما ذكرت لنا كتب التراجم، بعضها عفى عليها الدهر، وبعضها الآخر موجود تناولته أيدي العلماء بالشرح والتبسيط أو التعليق. فمن مصنفاته:

- الأمالي : قال عنه ياقوت: " وهو أكبر تصانيفه، وأمتعها "[٣]، وقال عنه ابن خلكان: " وهو أكبر تواليفه وأكثرها فائدة، وهو يشتمل على فنون جمة من فنون الأدب "[٤]، وقال عنه اليماني: " وهو كتاب نفيس، فيه غرائب العربية، ويشتمل على أربعة وثمانين مجلساً، يذكر فيه تفسير آيات وأشعار للعرب وأشعاراً لأبي الطيب[٥]" .

- الانتصار: كان سبب تأليفه الرد على ابن الخشاب، الذي رد عليه في مواضع من كتاب الأمالي نسبه فيها إلى الخطأ، فرد عليه ابن الشجري في رده، وبين وجوه غلطه في هذا الكتاب[٦]، وقد قال عنه ابن خلكان: " وهو على صغر حجمه مفيد جداً، وسمعه عليه الناس[٧]"

---

[١] الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، ط١، ١٩٦١ م ، ج٥١، ص٤٨.

[٢] البغداي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص٤٢.

[٣] الحموي، معجم الأدباء ، ج١٩، ص ٢٧٣.

[٤] ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٦ – ٤٧.

[٥] اليماني، عبد الباقي عبد المجيد، إشارة التعيين، تحقيق، عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث، ط١ ، ١٩٨٦، ص٣٧.

[٦] أنظر القفطي، إنباه الرواة ، ج٣، ص٣٥٦ – ٣٥٧ .

[٧] ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٧.

- شرح اللمع لابن جني، وكذلك شرح التصريف الملوكي لابن جني أيضاً[١].

- ما اتفق لفظه واختلف معناه[٢]. وهذه الكتب الأربعة الأخيرة لم تصل إلينا.

- مختارات ابن الشجري .

- الحماسة الشجرية: قال عن هذا الكتاب ياقوت : " ضاهى به حماسة أبي تمام[٣]".

وقال ابن خلكان : " وضاهى به حماسة أبي تمام الطائي، وهو كتاب غريب مليح، أحسن فيه"[٤].

نـــظرة تـــاريـــخـــية

كتب الاختيارات والحماسات الشعرية

تذكر بعض الروايات أن حماداً الراوية هو أول من جمع القصائد التي اتخذت مسميات مختلفة أشهرها المعلقات[٥]، يقول ابن سلام الجمحي عنه: " وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حماد الراوية[٦]". تلاها محاولات الأدباء في اختيار الشعر وجعلها في مصنفات، أقدمها المفضليات للمفضل الضبي (ت ١٦٤ هـــ)، وصنع الأصمعي (ت ٢١٦ هـــ) مثل صنيعه في الأصمعيات. وكانت تلك الاختيارات لا تقوم على ترتيب وتبويب حتى إذا ما أطلت " جمهرة أشعار العرب" ، عدت أول محاولة قامت على الترتيب، حيث جعل صاحبها القرشي

---

[١] البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين، دار الفكر، ١٩٨٢، ج٦، ص٥٠٥ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٣.

[٣] المصدر نفسه.

[٤] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٤٧.

[٥] من مسمياتها الأخرى: السموط ، والمذهبات، والسبع الطوال، والسبعيات، والجاهليات: انظر المصري، عبد الفتاح، المعلقات في كتب التراث، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٨٦، ص٢٨ – ٣٠ .

[٦] الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ، ج١، ص٤٨.

(ت١٧٠هـ) كل مجموعة قصائد في باب مستقل يجمعها جامع واحد مشترك، فكان أن ظهرت أبواب : المذهبات والمجمهرات والمنتقيات وغيرها .

وهناك صنف آخر من كتب الاختيارات قام على تبويب وترتيب ولكنها اتخذت من الأغراض الشعرية مسميات لأبوابها، فباب للحماسة وباب للمراثي، وباب للهجاء وسواها، سميت بكتب الحماسات. ربما سميت كذلك لأن باب " الحماسة" فيها هو أول تلك الأبواب وأكبرها وربما لأن " الحماسة " هي أشرف الأغراض؛ إذ يحث فيها الشاعر قومه على القتال والأخذ بالثأر، والثبات في المعركة، وعدم الجبن والفرار. كما يفتخر من خلالها بقبيلته وما سجلته من انتصارات.

وهذا المعنى الإصطلاحي للحماسة إنما يتفق مع المعنى اللغوي لها.

ففي اللسان : " حمُس الشر: اشتد، وحمس بالشيء: علق به. والحماسة : المنع والمحاربة. والتحمُّس : التشدد، ورجل حَمِسٌ وحَمِيسٌ وأَحْمَسٌ: شجاع، وتحامَسَ القوم تحامُساً وحماساً: تشادوا واقتتلوا. والحماسة : الشجاعة "[١]

وهذه الكتب الحماسية اتخذ أصحابها من المختارات الشعرية القصيرة محوراً للكتاب، فلم تعد القصائد الطوال موضوعاً لها ككتب الاختيارات.

وقد كان أبو تمام (ت ٢٣١ هـ)، هو مبتدع هذه الطريقة، وعلى إثره سار أصحاب الحماسات في مصنفاتهم.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حمس).

كتب الحماسات الشعرية في المصادر العربية القديمة وبعض المراجع الحديثة:

أولها حماسة أبي تمام: ذكر التبريزي الظرف الذي فيه كتب أبو تمام حماسته إذ قال: " إنه قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان فمدحه... وعاد من خراسان يريد العراق، فلما دخل همذان اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة، فأنزله وأكرمه، فأصبح ذات يوم، وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم أبا تمام ذلك، وسر أبا الوفاء، فقال له : وطن نفسك على المقام، فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان، وأحضره خزانة كتبه، فطالعها واشتغل بها، وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة، والوحشيات وهي قصائد طوال ....[١]".

وقد أثنى القدماء على كتاب الحماسة هذا، فقال ابن خلكان عن أبي تمام: " له كتاب الحماسة التي دلت على غزارته فضله، وإتقان معرفته بحسن اختياره "[٢]، وقال ابن الأكفاني عن الحماسة (ت٧٤٩ هـ) : " فيه من القصائد والمقاطيع الجيدة مايروق الناظر ويسر الخاطر"[٣] وقال البغدادي: " وقد وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام في كتاب الحماسة "[٤].

وعلى هذا تعتبر حماسته أشهر كتب الحماسات على الإطلاق لسابقتها وحسن ما جمعه فيها. وليس أدل على ذلك أيضاً من أنه تعرض لشرحها عدد كبير من العلماء، ذكر صاحب كشف

---

[١] التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب، شرح ديوان الحماسة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، ج١، ص٥ .

[٢] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٦٢.

[٣] ابن الأكفاني، محمد بن ابراهييم السنجاري، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تحقيق محمد فاخوري وآخرين، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٨، ص١١.

[٤] البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٦، ص١٠٧ .

الظنون واحداً وعشرين منهم[١]. لكن أبرز شرّاحها على الإطلاق اثنان هما: المرزوقي والتبريزي .

وثانيها الوحشيات: وهو ديوان حماسي آخر لأبي تمام، إلا أنه أقل شهرة وذيوعاً، لعل ذلك يعود إلى أنه جمع فيه مقطوعات لشعراء أغلبهم من المغمورين أو المقلين. ذكره الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)[٢]، والعيني في شرح شواهد الألفية على حاشية خزانة الأدب[٣].

تليها في الزمن حماسة البحتري: لأبي عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤ هـ). لم يكتب لها من الذيوع والانتشار ما كتب لحماسة أبي تمام، حتى إن البغدادي ذكر في الخزانة: " ولم نسمع أن للبحتري حماسة[٤]"، فربما لم يكن البغدادي قد سمع عن هذه الحماسة مما حدا به إلى أن يكتب عبارته هذه، أو كان من المشككين في نسبة هذه الحماسة إلى البحتري مستندين هؤلاء المشككين إلى أن القرن الثالث ذلك القرن المبكر نسبياً لم يكن قد عرف مثل هذه النزعة التنظيمية والدقة في مناهج التأليف[٥]، والتي اتبعها البحتري في حناسة كما سنخبر عنها في الفصل التالي. وقد رجح عز الدين إسماعيل في كتابه المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، إلى أن البغدادي لم يعرف الحماسة لعدم ذيوع شهرتها بنفس الدرجة التي ذاعت بها حماسة أبي تمام[٦].

ولعل الذي حدا البحتري لكتابة هذه الحماسة هو أنه كان تلميذاً لأبي تمام ، فأراد أن يصنع كما صنع، فجمع هذه الحماسة، إلا أنها تختلف عنها في ترتيب الأبواب وطريقة توزيع

---

[١] خليفة ، حاجي، كشف الظنون، المكتبة القنصلية، مكة المكرمة، ص٦٩٢ – ٦٩٣.

[٢] المصدر نفسه .

[٣] البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص٤٠٤.

[٤] المصدر نفسه، ج٨، ص٥٠١.

[٥] الدقاق، عمر، مصادر التراث العربي، ص٧٠.

[٦] إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص١٠١.

الشعر في الأبواب. وقد ذكرها عدد من المصنفين والعلماء، مثل ياقوت الحموي حيث قال: " وله كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام[١]" وقال ابن خلكان مثل ما قالا[٢].

من كتب الحماسة: حماسة ابن المرزبان: لأبي العباس محمد بن خلف المرزبان الدميري (ت ٣٠٩ هـ). قال ياقوت الحموي في ترجمته لابن المرزبان : " ... وله الحادي في علوم القرآن، وكتاب الحماسة[٣]". وهي مفقودة .

وهناك أيضاً الحماسة المحدثة لابن فارس : وهو أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٧٩ هـ). ذكرها ياقوت[٤]، وابن النديم[٥].

وحماسة شعر المحدثين لأبي بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ) وأبي عثمان سعيد (ت ٣٩١ هـ) الخالديين، وهي غير الأشباه والنظائر، وهناك حماسة الشهداء لخالد الكركي .

ومن كتب الحماسات : الحماسة العسكرية: لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، ذكره العيني[٦]، والبغدادي[٧]، وصاحب كشف الظنون[٨]. وحماسة الظرفاء، للزوزني : وهو عبد الله بن محمد العبدلكاني (ت ٤٢٧ هـ)، وفي مقدمة الحماسة هذه بيّن منهجه في مقدمتها حيث قال: "شحن أبو تمام الطائي – رحمه الله – كتاب الحماسة بأشعار وألفاظ، معظمها غرائب وتحتها من معانيها عقارب، وأهل زماننا في السهل القريب أرغب لأنه من الأفهام أقرب. فجمعت في كتابي

---

[١] الحموي، معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٥١.
[٢] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٨٥.
[٣] الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، لبنان، ط٣، ج٦، ص١١٥.
[٤] الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٥٩.
[٥] ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا – تجدد دانكشاه، طهران، ص٦١.
[٦] البغدادي، خزانة الأدب، ج٤، ص٥٩٨.
[٧] المصدر نفسه، ج١، ص١١٢.
[٨] خليفة ، حاجي، كشف الظنون، ج١، ص١١٢.

هذا من مختار الشعر ومنتقاه ما يقرب من أبيات كتابه، في أبواب عددها أبواب كتابه، ليكون للمبتدئ تخريجاً ، وإلى كتاب الحماسة تدريجاً، ...."[١].

ومنها أيضا حماسة الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) ذكرها البغدادي عند ذكره لبيت من الشعر زعم أنه ذكر في حماسته[٢]، وقال ياقوت الحموي عن الشنتمري: " شرح الحماسة شرحاً مطولاً ورتبها على حروف المعجم[٣]" وقال صاحب كشف الظنون أيضاً :" من تآليفه : شرح الحماسة في خمس مجلدات"[٤]. ويتضح من كلام ياقوت أن كتاب الشنتمري هو شرح لحماسة أبي تمام فربما وقع البغدادي في وهم حين ظن أن له حماسة، أو أن له حماسة مستقلة، وشرحاً لحماسة أبي تمام مستقلاً أيضاً.

وذكر صاحب كشف الظنون الحماسة البصرية بقوله : " وللشيخ أبي الحسن علي بن أبي الفرج ابن الحسن البصري المتوفى سنة (٦٥٦ هـ) حماسة، وحماسته تعرف بالحماسة البصرية ألفها سنة (٦٤٧)"[٥]. وذكر أيضاً الحماسة العسكرية.

ومن الحماسات الأخرى: حماسة البياسي، المسماة بـ" الحماسة المغربية"، جمعها يوسف بن محمد البياسي في تونس سنة (٦٤٦ هـ).[٦]

---

[١] الزوزني، عبد الله بن محمد العبد لكاني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٥ .

[٢] البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص١١٢.

[٣] الحموي، معجم الأدباء ، ج٧، ص٢٧٩.

[٤] خليفة، حاجي، كشف الظنون، ج٦، ص٤٢٨.

[٥] خليفة، حاجي، كشف الظنون، ج١، ص١٤٧ .

[٦] الحموي، معجم الأدباء، ج٧، ص٢٧٩.

الفصل الاول

المنـهج – دراسة موازنـة

إن طبيعة البحث اقتضتني أن أختار منهج الموازنة بين الروايات والنصوص وطريقة التبويب وما يخالط ذلك من تفسير ونقد في كتاب حماسة ابن الشجري في مقابلة ما يرد من ذلك في كتب الحماسات قيد الدراسة، ويمكن إدراجها ضمن العنوانات التالية: التبويب ، والشعراء المستشهد بهم ، والروايات الشعرية ومناسبة الأشعار وتفسير الشعر والنقد في كتب الحماسة.

وعليه فحين يتطرق الدارس إلى الموازنة ، فإنه يعتمد الحديث عن أوجه الشبه بين منهج ابن الشجري والحماسات السابقة له ، وما تميزت به الحماسة الشجرية عن غيرها ، وما تميزت به كتب الحماسات الأخرى عن حماسة ابن الشجري .

أولاً :- التبويب

كتب ابن الشجري حماسته في تسعمئة وأربع وأربعين مقطوعة، إذا اعتبرنا الأشعار المزيدة على أصل الكتاب الواقعة في آخرها وهي اثنتا عشرة مقطوعة، منها مقطوعتان طويلتان نسبياً، هي خاتمة الكتاب ، أولهما تحمل رقم (٩٤٣) في الحماسة وهي مكونة من ثلاثة وأربعين بيتاً لجبيهاء الأشجعي ، والثانية تتكون من سبعة عشر بيتاً لخالد بن الصقعب النهدي [١] ، وبما أن هاتين الحماستين تختلفان عن منهج ابن الشجري في سائر أبيات الحماسة حيث آثر المقطوعات القصيرة التي لا تتجاوز الأبيات القليلة ، فإن الدارس يظن أنها من زيادات النسَّاخ أو الناشر أو أحد قرَّاء الكتاب القدامى أو متناوليه وليس أدل على ذلك من ختم الكاتب الأشعار السابقة لهما بقوله : " تمت بحمد الله وعونه ... " [٢]، ودون هاتين القصيدتين ، فإن الحماسة تقع في تسعمئةٍ واثنتين وأربعين مقطوعة .

---

١ - ابن الشجري، الحماسة الشجرية ، ج٢، ص٩٥٣- ٩٦٩.

٢ - انظر المصدر نفسه ج٢، ص٩٥٢.

وقد صنف ابن الشجري حماستهُ على أبواب تسع ، حسب الموضوع أو الغرض الشعري ، فالباب الأول هو: باب الشدة والشجاعة ، يليه باب اللوم والعتاب ، فالمراثي ، فالمديح ، فالهجاء ، فالأدب ، فالنسيب ، فباب الصفات والتشبيهات ، وأخيرا باب الملح . وهو في تقسيمه هذا متأثر بمنهج أبي تمام في تقسيمه للأبواب – أي حسب الغرض – ، كما ابتعد عن تقسيم البحتري لحماسته ، حيث قسّمها هذا إلى معانٍ جزئية وفرعية كثيرة ، كما خالف ابن الشجري أبا تمام في بعض الأبواب كما سيذكر الدارس لاحقاً .

وقسّم ابن الشجري أيضاً بابي : النسيب ، والصفات والتشبيهات إلى فصول فرعية كثيرة وقصيرة ، فقسّم باب النسيب إلى : فصل في الارتياح عند هبوب الرياح ، وآخر في الاشتياق عند لمعان البروق ، فآخر في النزاع عند نوح الحمائم ، ففي الطيف والخيال ، ومقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين .

أما باب الصفات والتشبيهات ، فقد قسّمهُ إلى الفصول التالية : فصلٌ في طيب النهكة وعذوبة الريق ، فآخر في طيب الريح ، ففي وصف العين والنظر ، فحسن الحديث وطيبه ، فالمضاجعة وشدة الالتزام ، فوصف النار ، فالتنائف والوحوش والإبل والركب وأخبية السفر ، ففي الليل والنجوم والمجرة والهلال والصبح ، فالرياض والمياه والنبات ، فالسحاب والغيث والبرق ، فآلة الحرب وتشبيهاتها ، فالكتب والخط وآلته ، فالشعر ، فالشيب والشباب والخضاب ، فالصفات والتشبيهات الخمرية ، فالتشبيهات الغزلية ، فتشبيهات المدح ، فالهجاء ، فتشبيهات وصفات في معانٍ مختلفة ."ويبدو أن ابن الشجريلتأخره كان قد تأثر بالأفكار البلاغية والنقدية التي استفاض الحديث فيها في القرن الرابع الهجري وبعده .هذا ما ظهر أثره فيما سماه باب الصفات والتشبيهات، فهو يعني بالصفات هنا صفات النساء ثم يعود فيمزج الصفات بالتشبيهات

فيورد نماذج من الصفات والتشبيهات في الليل والنجوم والمجرة،ثم ينتقل من الطبيعة إلى صفات آلة الحرب وتشبيهاتها. ويمثل هذا الباب الذي هو أضخم الأبواب في حماسة ابن الشجري أساسا جديدا في الاختيار. إنه يضيف إلى التفريع المعنوي الذي رأيناه في حماسة البحتري عناية خاصة بالتشبيهات الفنية الرائعة في كل الأغراض الرئيسية والمعاني الفرعية.وهذا كله من أثر ذيوع الأفكار البلاغية "[١].

يلاحظ مما سبق أن ابن الشجري جعل الصفات والتشبيهات معاً في باب واحد ، وأنه قدّم الصفات ، وجعل الجزء المتبقي من الباب للتشبيهات ، كما يلاحظ أيضا أنه افرد التشبيهات في جزء مستقل عن الأغراض الخاصة بها ، فهناك تشبيهات المدح والهجاء والغزل ... ، مختلفة عن هذه الأغراض الشعرية والتي ذكرها في محلها .

كما يلاحظ أنه في صنيعه هذا يقرب من البحتري في تقسيماته ، ويختلف عنه في أن البحتري أبواب حماسته تحمل معاني أخلاقية وعظية وهو ما قصده أصلا لتأليف حماسته ، فلم يقسمّها حسب الأغراض الشعرية كما فعل أبو تمام قبله ، أمّا ابن الشجري ، فطابع منهجه تذوقي أخلاقي. أما باقي فصول ابن الشجري فإنه لم يقسمها إلى معانٍ جزئية كما فعل مع الفصلين المذكورين .

أما أبواب الحماسة الداخلة في المقارنة، ودراستها فهي على التفصيل :

---

[١] إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص١١٤ .

الحماسة الشجرية	حماسة أبي تمام	الوحشيات	حماسة الظرفاء
١. الشدة والشجاعة	١–الحماسة	١ -الحماسة	١–الحماسة
٢. اللوم والعتاب	٢–المراثي	٢ -المراثي	٢–المرافي
٣. المراثي	٣–الأدب	٣ -الأدب	٣–الأدب
٤. المديح	٤–النسيب	٤ -النسيب	٤–الحكمة
٥. الهجاء	٥–الهجاء	٥ -الهجاء	٥–الكبر والمشيب
٦. الأدب	٦–المديح والأضياف	٦ -السماحة والأضياف	٦–النسيب
٧. النسيب	٧–الصفات	٧ -الصفات	٧–الهجاء
٨. الصفات والتشبيهات	٨–السير والنعاس	٨ -المشيب	٨–المديح
٩. الملح	٩–الملح	٩ -الملح	٩–الأستعطاف والأعتذار
	١٠–مذمة النساء	١٠–مذمة النساء	١٠–الأضياف والسخاء واسصطناع المعروف
			١١–الوصف
			١٢–الملح والأشياء المستظرفة

يلاحظ مما سبق ما يلي :-

- أن عدد أبواب الحماسة عند ابن الشجري تسعة ، في حين أنها عند أبي تمام في كتابيه : (الحماسة والوحشيات) تبلغ عشرة ، أما حماسة الظرفاء فهي اثنا عشر باباً .

- اشتركت الحماسات الأربعة في الأبواب التالية : باب الحماسة أو الشدة والشجاعة ، وباب المراثي والمديح ، والهجاء ، والأدب ، والنسيب ، والصفات أو الوصف ، والتشبيهات والملح .

- انفرد ابن الشجري عن باقي الحماسات بباب اللوم والعتاب، ولعلَّ أصحاب الحماسات الأخرى دمجوا بينه وبين الهجاء لقرب البابين من بعضهما . أما أبو تمام فقد انفرد بباب السير والنعاس في (الحماسة) ، كما دمج بين بابي المديح والأضياف في (الحماسة) وبابي السماحة والأضياف في الوحشيات ، كما خصص باباً فيما قيل في النساء على سبيل الذم وسماه" باب مذمة النساء " . وكان ذلك في (الحماسة) و (الوحشيات) على السواء . أما ما خصّ به الوحشيات دون الحماسة فهو باب المشيب ، وهو ما شارك به صاحب (حماسة الظرفاء) أبا تمام . كما انفرد صاحب (حماسة الظرفاء) بباب الحكمة ، وباب الاستعطاف والاعتذار .

وهناك من أخذ على أبي تمام إسقاطه لفن الاعتذار ويرى أنه " فن كريم من القول جد لا هزل فيه ولا عبث ، يتصل في الباعث عليه والقول فيه بطبيعة الحياة وأدب السلوك "[١]، ويرى كذلك أنه كان من الأجدر عليه لو أسقط الملح التي احتوت على كثير من الخنا والتصريح بالعوراء بدلاً من إسقاطه فن الاعتذار . كما رأى الدكتور ناصف أن باب " السير والنعاس " عند

---

[١] محمد سالم، محمد بهي الدين، حماسة الظرفاء، ص٦٠-٦١. وانظر أيضاً ناصف علي، دراسة في حماسة أبي تمام، مطبعة الرسالة، ط١، ١٩٥٥، ص٢٠ .

أبي تمام ما هو إلا جزء من باب "الوصف " ، ولا يعلم سبب إفراد أبي تمام لهذا الباب بباب مستقل عن باب الوصف [١]

ويرى الدارس أن الاختلاف في أبواب الحماسات ما كان إلا لأن صاحب الحماسة حاول أن يظهرتميزه عن غيره ، إذ يريد أن يضيف أغراضا جديدة ويسقط أخرى . ويظهر هذا التميز كذلك في تسمية الباب الأول من حماسة ابن الشجري ، إذ سماه " باب الشدة والشجاعة " خلافاً لحماسة أبي تمام ، إذ سماه بـــ " الحماسة " ، مع أن موضوعهما واحد وهو الحديث عن حماسة القبائل في الحروب ، والفخر بانتصار القبيلة وشجاعة الأفراد .

وقد أنصف كل من ابن الشجري والزوزني المرأة إذ ابتعدا عما صنعه أبو تمام في اختياره لباب خاص سماه " مذمة النساء " في كلا الكتابين " الحماسة " أو " الوحشيات " يتحدث فيه عن أشعار قيلت في المرأة على سبيل الذم لها .

بقي أن نقول في هذا الموضع إن حماسة أبي تمام تقع في ثمانمئة واثنتين وثمانين مقطوعة عند المرزوقي ، وثمانمئة وأربع وثمانين عند التبريزي ، كما اختلفت المقطوعات عند كل منهما في ترتيب الأبيات ، بتقديم بعضها على بعض ، وفي عدد الأبيات في المقطوعة الواحدة أحيانا ، فمثلا المقطوعة (٦٩٦)[١] عند المرزوقي مكونة من بيتين ، بينما هي عند التبريزي[٢] خمسة ابيات ، والمقطوعة (٧٣٠)[٣] عند المرزوقي ثلاثة أبيات ، بينما هي[٤] أربعة عند التبريزي ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر .

---

[١] ناصف، علي، دراسة في حماسة أبي تمام، ص٢٠ .

[٢] التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، مج ٢، ص٩٤٤.

[٣] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، مج ٢، ص١١٦٤.

[٤] التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، مج ٢، ص٩٧٨.

أما كتاب الوحشيات، الذي يُعدُّ الحماسة الصغرى لأبي تمام، فيتكون من خمسمئة وسبع مقطوعة ، وإنما سميت بـــ (الوحشيات) لأن أغلب هذه المقاطع " أوابد وشوارد لا تعرف عامة، واغلبها للمقلين من الشعراء أو المغمورين منهم[١]. وهذا كما ذكره الباقلاني في إعجاز القرآن بقوله : " والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام ، من الجنس الذي جمعه في كتاب " الحماسة" ، وما اختاره من " الوحشيات"، وذلك أنه تنكب المستنكر الوحشي ، والمبتذل العامي ، وأتى بالواسطة[٢]. وهناك دراسة اعتنت بدلالة لفظة " الوحشيات " عند اللغويين والبلاغيين والنقاد والشعراء، واستنتجت أن الغريب في كتاب الوحشيات يكمن في بعض الشعراء المغموريين ،كما يكمن في ألفاظ وتراكيب المقطوعات المستعصية الفهم.

أما حماسة البحتري ، فإنها تقع في مئة وأربعة وسبعين باباً ، وقد قسّمها إلى أغراض جزئية ومعانٍ دقيقة ، ولم يقسّمها حسب الأغراض الشعرية العامة المعروفة كما هو عند أبي تمام وابن الشجري والزوزني ، فإذا كان أبو تمام قد جمع مقطوعات شعرية لباب "الحماسة " ، فإن البحتري قد قسَّم هذا الباب إلى معانٍ دقيقة ومضامين أكثر تفصيلاً في عناوينها العامة ، ولم يربطها برابط عام ، أي لم يجمع هذه العناوين كلاً على حدة حسب الغرض الشعري ، بل تجاهل الأغراض العامة كلياً .

وهذه العناوين تدور معظمها حول الأخلاق العامة من: الشكر واللين والشدة والإخاء ، وكتمان السر ، شاملة للأخلاق السلبية المعاكسة للأخلاق الإيجابية: كالحرص ، والطمع ، والشماتة والبغي والظلم ، كما تتضمن أحوال الأمم المختلفة وتغير أحوال العصر ، كما أنه خصص

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهر، ط٣، المقدمة . وانظر العاني، سامي والعدواني، عبد الوهاب، المكتبة، ١٩٧٩م، المكتبة الوطنية، بغداد، ص٢٣٩ .

[٢] الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣هــ)، إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ص٨٤.

الأبواب السبعة والعشرين الأولى في (الحماسة) مجاراة لصنيع أبي تمام ، ولكن دون أن يحمل المسمى الكبير (الحماسة) ، وإنما إلى عناوين فرعية كثيرة تدل عليه كما قلنا سابقاً ، من الأمثلة على ذلك ، الباب الأول في حمل النفس على المكروه عند الحرب ، والثاني فيما قيل في الفتك ، والثاني عشر في التشمير عند الحرب ورفض النساء ، .... الخ . ومن محاسن هذه الحماسة أنها أسعفت كثيرا ممن يريد الاطلاع على المعاني أكثر مما أسعفت حماسة أبي تمام التي أجملت الأغراض دون التطرق إلى المعاني. ومع ذلك لم تنل من الشهرة والذيوع ما نالت حماسة أبي تمام ولذلك لم نجد من قام بشرحها[١]. وجميع أبواب حماسته متناسقة تماما مع أساس منهجه في التصنيف، وهو الأساس المعنوي، إلا الباب الأخير منها وهو الباب الرابع والسبعون بعد المئه (باب المراثي) فهذا الباب يقوم على أساس موضوعي لأنه يعتمد فيه على الفن الشعري أساسا للاختيار وهو فن المراثي[٢].

أما حماسة الظرفاء فإنها تقع في ألف وأربعمئة وأربع وثمانين مقطوعة، وهي بهذا الحجم تشكل أضخم مجموعة حماسية بين الحماسات قيد الدراسة ، إذ يضم الباب الواحد على الأغلب فوق المئة مقطوعة حماسية ، ما عدا بابين ، باب (المديح) ؛ إذ يضم تسع وثمانين مقطوعة، (والاستعطاف والاعتذار) حيث يضم اثنتين وستين مقطوعة .

وهذه الكتب الحماسية تخضع لمعايير نقدية اختار أصحابها على ضوءها حماساتهم وكتبوا فيها كالمعيار الأخلاقي عند البحتري والجمال الفني عند أبي تمام. والذوقي والتعليمي[٣].

---

[١] الدقاق، عمر، مصادر التراث العربي، دار الشرق، بيروت، لبنان، ص٥٧-٥٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص٧٣ .

[٣] انظر الدروبي، محمد، المختارات الشعرية ومعاييرها النقدية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، ١٩٨٣. وانظر ايضاً حمودة، حنان، المعايير النقدية في المختارات الشعرية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م .

شعراء الحماسة :-

نهج ابن الشجري نهج أبي تمام بإيراده لشعراء مختلفين منهم الجاهلي والمخضرم والأموي والعباسي ، فأبو تمام يعد مبتدع هذه الطريقة ، حيث كان يورد ذكر أشعارهم دون ترتيب زمني يذكر ، فيذكر الأموي إلى جانب الجاهلي ، والمخضرم مع العباسي ... الخ . مع العلم بأن عدد الشعراء العباسيين والمولدين هم قليل جداً في حماستيه (الحماسة) و (الوحشيات)؛ ولعلّ ذلك يعود إلى تفضيله شعر الأقدمين على شعر من عاصره أو سبقه من العباسيين والمولدين ، أو أنه أراد أن يجمع قدراً لا بأس به من شعر الأقدمين كنوع من التراث الذي لا يحبذ له أن يضيع، والله أعلم . كما أن البحتري حذا حذو أستاذه أبي تمام في أن معظم شعرائه من الجاهليين والإسلاميين، والقليل منهم كان من المحدثين وغالبية هاؤلاء الشعراء من المغمورين المجيدين، كما كان لطئ قبيلته نصيب واف من تلك الأشعار في حماسته الكبرى[١].

أما ابن الشجري فقد خالفهما في هذه الناحية، فحماسته إضافة إلى احتوائها الشعر القديم "تحتفل أكثر منها بالشعر المحدث أو شعر المولدين، فهي تنطوي على شطر ذي بال من شعر العصر العباسي لبشار وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز ودعبل وأبي دلامة وديك الجن وعلي بن الجهم والسري الرفاء والصنوبري وأبي فراس والشريف الرضي وغيرهم . وقد راق المصنف فيما يبدو ما بلغه الشعر المولد في ذلك العصر العباسي من رقة وعذوبة ، فأفرد بالإضافة إلى ذلك ما أسماه (مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين) "[٢].

---

[١] العاني، سامي والعدواني، عبدالوهاب، المكتبة، ص٢٣٩ .

[٢] الدقاق، عمر، مصادر التراث العربي، ص٧٣.

وأبو تمام لم يكتف بالمشهور من الشعر الذائع ، بل جمع كل ما وقع عليه اختياره من الدواوين والكتب التي كانت بين يديه . قال المرزوقي : " وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، المجيب لكل داع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرميهم ، وإسلاميهم ومولديهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ؛ لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه ، وحتى إنه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده"[١].

وكما سار جميع أصحاب الحماسات المختارة على هذا النهج من اختيار الأشعار لشعراء من أزمنة مختلفة دون ترتيب يذكر .

كما قد يتردد ذكر اسم الشاعر أكثر من مرة عند أصحاب الحماسات المختارة في الباب الواحد ، وفي الأبواب المختلفة ، حيث يُوْرد له أكثر من مقطوعة واحدة في بعض الأحيان . ومن الأمثلة لا الحصر على ذلك ، عند ابن الشجري ، حيث أورد للفرزدق المقطوعتين (٢٢٦) و (٢٢٧) في باب الرثاء[٢]، كما أورد له المقطوعات التالية في باب الهجاء (٣٤٦) و (٣٤٧) و (٣٤٨) و (٣٤٩)[٣]، وفي باب الصفات والتشبيهات المقطوعتين (٦٤١) و (٦٤٢) للفرزدق أيضا[٤]. أما أبو تمام في الحماسة ، فإنه يورد للعباس بن مرداس المقطوعتين اللتين تحملان رقم (١٥٠) و (١٥١)[٥] في باب الحماسة ، كما يورد المقطوعة (٤١٩) في باب المراثي له

---

[١] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، مج ١، ص٣٠٠-٣٠١.
[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية ، على التوالي: ج١، ص٣٠٠، ج١، ص٣٠١.
[٣] المصدر نفسه، على التوالي: ج١، ص٤٢٦، ٤٢٦ – ٤٢٧، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٢٨.
[٤] المصدر نفسه، الصفحتان على التوالي: ج٢، ص٧٢٠ – ٧٢١ ، ٧٢١-٧٢٢.
[٥] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الصفحتان على التوالي: مج١، ص٣١٥ -٣١٧، ٣١٧-٣١٩.

أيضا[١]. وفي الوحشيات يذكر المقطوعتين (٥٨) و (٥٩) للأسعر الجعفي في باب الحماسة[٢]، والمقطوعتين (٢٩٠) و (٢٩١) لقيس بن الملوح في باب الأدب[٣]، والمقطوعات (٣٠٧) و (٣٠٨) و(٣٠٩) و(٣١٠) في باب النسيب للمجنون أيضا[٤].

أما البحتري فإنه يذكر مقطوعتين لعمرو بن هبيرة في باب (ذل من اغترب عن قومه وعدا عليه من له عز وعشيرة)[٥]، ومقطوعة للنابغة الجعدي في باب (فيما قيل في قطع من اعترض في وده)[٦]، وأخرى له في باب (فيما قيل في رعاية الأمانة وترك الخيانة)[٧]، وفي حماسة الظرفاء نجد المقطوعتين (١٠) و (١١) لابن الرومي في باب الكبر والمشيب[٨]، ولأحمد بن إسحق الكاتب المقطوعة (٧٤) في باب الهجاء[٩]، و(٩٩) في باب الملح والأشياء المستظرفة[١٠].

وشعراء الحماسة مختلفون من حيث الشهرة، منهم المشهورون، ومنهم المغمورون أو المقلون. كما أورد أصحاب الحماسات أشعارا لشعراء مجهولين، دون تحديد أسماءهم، فقط ينسبه إلى قبيلتهم: " وقال رجل من محارب ..."[١١]، " وقال بعض بني بولان من طيء ..."[١٢]،

---

[١] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مج٢، ص٨١٠-٨١٢ .

[٢] أبو تمام، الوحشيات، الصفحتان على التوالي: ص٤٣ – ٤٥ ، ٤٦.

[٣] أبو تمام، الوحشيات، الصفحتان على التوالي : ص١٧٨ ، ١٧٩.

[٤] المصدر نفسه، الصفحات على التوالي : ص١٨٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٠.

[٥] البحتري، الحماسة، ص١٢٩ – ١٣٠.

[٦] المصدر نفسه، ص٨٠ .

[٧] المصدر نفسه، ص٩١ – ٩٢.

[٨] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٣٤٣ – ٣٤٤.

[٩] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٤ –٩٥.

[١٠] المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٢.

[١١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤ ، رقم الحماسة (٢) .

[١٢] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لابي تمام، مج١، ص١٢٣.

أو ينسبهم إلى بلدهم، "وقال بعض الحلبيين"[١] و " وقال بعض شعراء المغرب"[٢] وقد يكون القائل من الأعراب ، فيكتفي بذكر " وقال أعرابي " في كثير من الأحيان ، وقد ينسب صاحب الحماسة القائل حسب مذهبه الديني ، أو التزامه الأخلاقي : " وقال رجل من الخوارج ... "[٣]،" وقال رجل من لصوص طيء ..."[٤]، " وقال رجل من الصعاليك "[٥].

وربما يكون صاحب الحماسة أحياناً غير متأكد من نسبة الحماسة إلى قائلها الحقيقي ، فيذكر روايتين لها، فابن الشجري نسب المقطوعة (٩٣٧) إلى"بعضهم وقيل لابن أبي أمية"[٦]، والمقطوعة (١٥٠) " لجشامة بن قيس الكناني وقيل قائلها الحارث بن وعلة الشيباني "[٧]، وفي المقطوعة (٨٩) من الوحشيات " رياح بن الأعلم بن الخليع، ويقال هي لدريد بن الصمة "[٨].

والملاحظ أننا في أبواب المديح والهجاء والعتاب والنسيب والرثاء على الأخص ، وفي الأبواب جميعاً على العموم ، لا نجد أصحاب الحماسات يحددون لنا من الموجه إليه الخطاب في المقطوعة ، أي المخاطب ، إلا أن صاحب الحماسة يصنع ذلك في بعض الأحيان . نجد ذلك في المقطوعة (١٨٤) عند ابن الشجري ، وهي للشاعر الأسلع بن كليب الأسدي يعاتب فيها أخاه ضبيعة[٩]، والمقطوعة (١٨٩) للحارث بن كلدة يعاتب فيها بني عمه[١٠]، وفي الوحشيات

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٤١، رقم الحماسة (٦٧٤).
[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٤٩٥، رقم المقطوعه (٤٢٢).
[٣] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص ١٢٤.
[٤] المصدر نفسه، ج١، ص١٣٥.
[٥] المصدر نفسه، ج١، ص١٦٨.
[٦] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٩٤٧.
[٧] المصدر نفسه، ج١، ص٢٠١.
[٨] أبو تمام، الوحشيات، ص٦٦.
[٩] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٥٣.
[١٠] المصدر نفسه، ج١، ص ٢٦٠ .

المقطوعة (٨٣) للحارث الفزاري يعاتب فيها حصين بن حذيفة وامرأته أسماء بنت حصن[١]، والمقطوعة (٩١) لعامر بن علقمة أو العباس بن عبد المطلب – حسب الرواية – يخاطب فيها أبا طالب[٢]. وفي جماسة الظرفاء نجد المقطوعة (٤) من باب المراثي لغلام أبي نواس يرثي فيها سيده أبا نواس[٣]، والمقطوعة (٨) من نفس الباب لأبي نواس يرثي فيها محمد بن زبيدة[٤]، والمقطوعة (١٢) من نفس الباب أيضا لفاطمة بنت محمد، عليه السلام، ترثي فيها أباها سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم حين قُبر[٥]، والمقطوعة (٣٤) من باب المديح لطاهر بن القاسم الجنزري يمدح فيها أبا علي الصغاني[٦]، والمقطوعة (٤٨) من نفس الباب لشاعر لم يحدد اسمه يمدح طبيباُ[٧].

في بعض الحماسات نجد مقطوعة لشاعر ، تليها مقطوعة أخرى لشاعر يرد عليه . فعند ابن الشجري في المقطوعة (٢٨)، دريد بن الصمة يهجو بني الحارث من بني الديان[٨]، وفي المقطوعة التي تليها يرد عبد الله بن عبد المدان عليه[٩] وفي المقطوعة (٢٣) يفتخر الحارث بن همام الشيباني بشجاعته، ويعرِّض بابن زيَّابة[١٠]، فيجيبه ابن زيَّابة في المقطوعة التي تليها يثبِّط من عزيمة الحارث ويفتخر بذاته[١١]. وفي المقطوعة (١٣٠) من الوحشيات نجد الزماني يحكي

---

[١] ابو تمام، الوحشيات، ص٦٢.
[٢] المصدر نفسه ، ٦٦ .
[٣] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٩١.
[٤] المصدر نفسه، ج١، ص١٩٤.
[٥] المصدر نفسه، ج١، ص١٩٦.
[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٩.
[٧] المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٥.
[٨] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٧ .
[٩] المصدر نفسه، ص١، ص٤٨.
[١٠] الزوزني، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مج ١، ص١٠٩.
[١١] المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩-١١١ .

حكايته مع يحيى بن أبي حفصة في حيّة وجداها في باب جحر[١]، فيرد عليه يحيى بن يزيد أبو حفصة في مقطوعة تالية[٢].

ثالثاً: الروايات الشعرية

يلاحظ أن أصحاب الحماسات المدرجة في البحث كانوا قليلاً ما يذكرون صاحب الرواية التي أخذوا المقطوعة الشعرية عنه؛ ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنهم يختارون أشعارا مشهورة ينتقونها انتقاء دون حاجة إلى معرفة الراوي الذي روى هذه المقطوعة. ولكننا لا نعدم وجود نسبة بعض المقطوعات إلى راويها، فالمقطوعة (١٩١) لابن الشجري ، تنسب لأعرابي عن رواية الأصمعي[٣] والمقطوعة (٦٨٠) للأعشى في صفة امرأة يشبهها ورائحتها وحسنها بحسن الروض ، فيورد ابن الشجري رواية أبي عبيدة فيها : " قال أبو عبيدة : لم يقل في الروض أحسن من هذه الأبيات " ثم يورد رواية الأصمعي وغيره في تفسير ألفاظ الأبيات[٤].

وفي المقطوعة رقم (١٣٥) أورد رواية المفضل الضبي ، حيث كان في صحبة إبراهيم بن عبدالله بباخمرى[٥] حيث سرد لنا رواية قتله ، وكيف أنه طلب من المفضل أن ينشده شعراً حيث رأى أن " البياض يقل ، والسواد يكثر " مما ادى الى تحمسه ، والهجوم على أعدائه حتى قتل[٦].

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص٨٦.

[٢] المصدر نفسه، ص٨٦–٨٧ .

[٣] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٦٢.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤٩.

[٥] أورد ابن الشجري في الهامش، ج١، ص١٨٠ – ١٨٢ بأن: باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط قتل فيه إبراهيم.

[٦] المصدر نفسه، ج١، ص١٨٠ – ١٨٢.

وفي حماسة أبي تمام المقطوعة (٨٨٠) لأبي الغطمش من رواية أبي عبيدة[١]. وفي الوحشيات أورد مقطوعة (٣٩٢) لأيوب بن سعف النهشلي ، وأورد رواية دِعْبِل التي تنسبه (أيوب بن سعفة النَّخَعي)[٢] ، والمقطوعة (٣٥٩) من الوحشيات ايضا ، هي لأبي المهوَّش الأسَديّ من بيتين .

أما البحتري في باب (فيما قيل في مجاملة الأعداء وترك كشفهم عما في قلوبهم) فقد أورد بيتين لمعن بن أوس المزني ، وذكر بأنها تروى لغيره ، دون ان يذكر لمن تروى ايضا حسب الرواية ودون ذكر اسم الراوي[٣]، ومثله فعل في باب (فيما قيل في اختلاف الليل والنهار والشهور والأحوال وتقريبهم الآجال)، حيث أورد بيتين لأبي قلابة الطائي وقال " وقد رويت لغيره "[٤]. وغير ذلك من الأمثلة.

وفي حماسة الظرفاء ، في مقطوعة (١٠) من باب النسيب نجد أبياتاً أنشدها (ناصر بن منصور) لصاحب الحماسة – أي الزوزني –[٥]، وفي المقطوعة (٢٠) من باب الهجاء رواية قصة كانت سبباً لإنشاء المقطوعة : " حدثني بديع الزمان قال : أنشد كاتب بكر في مجلس قوله: رق الهواء وأضحت السماء ، وفي المجلس رجل من أصحاب اللغة ، فقال له : كنت إذ قصرت الهواء وهو ممدود . فقال ارتجالاً : والأبيات في ذم اللغة التي تتطلب المد[٦].

---

[١] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مج٢، ص١٣١٧.

[٢] أبو تمام، الوحشيات، ص٢٣٥.

[٣] البحتري، الوحشيات، ص٢١٨.

[٤] المصدر نفسه، ص١١٣.

[٥] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٩.

[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٥.

ويلاحظ أن ابن الشجري كان يتعفف فلا يورد الألفاظ البذيئة في الأشعار التي يستشهد بها تاركا مكانها فراغا.

رابعاً : مناسبة المقطوعات

جاءت أغلب قصائد الحماسات دون مقدمة لكل مقطوعة منها توضح سبب كتابتها، إلا أننا لا نعدم بعض الروايات التي تفسِّر سبب قول الشاعر لمقطوعته ، وقد ورد بعضها في باب الحديث عن الروايات . وكان ذلك أكثر ما يكون عند ابن الشجري فقد "استغل ابن الشجري معرفته بالأخبار ومناسبات الأشعار فكان كثيرا ما يقدم بين يدي الحماسة بما يشير إلى مناسبتها وفي بعض الأحيان كان يسرد ما يشبه القصة عن طريق النماذج الشعرية المختارة المتعلقة بواقعة واحدة "[١].

ومن ذلك في الحماسة الشجرية المقطوعة (١٨٩) وهي من رواية الاصمعي تقول : بأن الحارث بن كلدة خرج الى الشام وكتب الى بني عمٍّ له فلم يجيبوه ، مما حدا به الى كتابة أبيات يعاتبهم فيها تبدأ بـــ[٢]:

ألا أبْلِغْ مُعاتَبتي وقَولي   بَني عَمِّي فقد حَسُنَ العتابُ

وفي المقطوعة (٤٩٠) أورد رواية أن ابن ميّادة (الرماح بن أبرد الذبياني) وفد على الوليد بن يزيد ، ولازمه بأمرٍ منه ، فكتب أبياتاً تدل على حنينه وشوقه إلى وطنه وأهله ، مما

---

[١] إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص١١٠.
[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٦٠ – ٢٦١.

حدا بالوليد عندما سمع ذلك بأن أذن له في القفول إلى وطنه وأهله ، وأرسل معه هدية ، والأبيات هي[١]:

ألا لَيتَ شِعري هل أَبيتنَّ ليلةً	بِحرَّةِ ليلى حيث ربَّتْني أَهلي ؟
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدهر أصواتَ هَجْمَةٍ	تطلّعُ من هجل خصيبٍ إلى هَجْل ؟
بِلادٌ بها نِيطتْ عليّ تَمائِمي	وقُطِّعْنَ عني حيثُ أدْرَكَني عَقلي
فإنْ كنتَ عنْ تلكَ المَواطِنِ حابسي	فاخشَ على الرزقِ واجْمعْ إذنْ شَملي

وقد تكون مناسبة القصيدة وصفاً للأبيات وفيما قاله فيها : المقطوعة (٥٨٨) : " وقال العطوي في وصف امرأة"[٢] المقطوعة (٦٢٢): " وقال الطائي يصف مسافرين "[٣]. المقطوعة (٦٤٠) : " وقال حميد بن ثور يصف ذئبا تبع جيشاً طمعاً أن يتخلف رجلٌ فيثب عليه لا يرغب في القتلى ، ولا يكاد يأكل الا ما فرسه "[٤]، إلى غيرها من المقطوعات. وقد كثر هذا في باب الصفات والتشبيهات عند ابن الشجري على الأخص .

ومن مناسبات القصيدة في حماسة أبي تمام ، المقطوعة (١٦) من رواية البرقي حيث قال : " الشعر لسويد بن صميع المرثدي ، من بني الحارث ، وكان قُتل أخوه غيلة فقتل قاتل أخيه نهاراً في بعض الأسواق من الحضر". وتبدا الأبيات بـــ[٥]:

---

[١] المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧١-٥٧٢.

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٦٧٢.

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠١.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٧١٩.

[٥] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ج١، ص٩٣.

بَني عَمِّنا لا تَذْكُروا الشِّعرَ بعدَ ما   دَفَنْتُمْ بِصحراءَ الغُمَيرِ القوافيا

فلسْنا كَمَنْ كُنْتمْ تصبون سَلّةً   فَنقتل ضيماً أو نَحكُم قاضيا

وفي المقطوعة (٦٤٣) في باب الهجاء:"وقالت امرأة قُتل زوجها"، والمقطوعة تبدأ بـــ[١]:

متى تَرِدُوا عُكَاظَ تُوافِقُوها   بِأَسْماعٍ مَجَادِعُها قِصَار [٢]

وفي المقطوعة (٨٤٤) من باب الملح: " وقالت قابلة لامرأة أخذها الطلق واسمها سحابة"، أبياتاً لا تخلو من فحش[٣].

أما الوحشيات ، فنجد المقطوعة (١٠٥) من باب الحماسة ذكر فيها أبو تمام أولها : " فلما قُتل سويد قال ابن عم له " الأبيات التالية[٤]:

لقد سُرَّ حتى استُحْمِقَتْ آلُ مالكٍ   بقتلِ سُويدٍ غَثُّها وَسمِينُهَا

ستعلمُ إن طال المدى الُ مالك   أبالرُّشْدِ أمْ بالغي قَرَّتْ عُيونُها

فإنَّا وإياكم وإنْ طالَ تَرْكُكُمْ   كَحامِلَةٍ يزدادُ ثِقْلاً جَنينُها

وفي باب النسيب المقطوعة (٣٠٦) بيتان للأحوص بن جعفر يروي بهما قصة رجل من بني الأحوص صحب رجلاً من كلب ، وكان الكلبي لا يستقر في موضعه طرباً إلى امرأته ، فأضرَّ ذلك بالجعفري ، وكان اسمها (صعود) ، فقال [٥]:

---

[١] المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٥٨.
[٢] شرح المرزوقي البيت بقولة : متى وردتم عكاظ وافيتموها أذلاء قد اكتسبتم عاراً يخزيكم فتصير كالمثلة عليكم، فكأن آذانكم قد استوعب صلمها عقوبة لكم بما عاملتم به جاركم من إخفار وإسلام حين قتل في جواركم واستبيح محرماته في ذممكم .
[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٩٥.
[٤] أبو تمام، الوحشيات، ص٧٤.
[٥] المصدر نفسه، ص١٨٨ .

لقد مَنعَتْ بَرْدَ الشَّرَابِ وَقَطَّعَتْ   بِرَمَّانَ[١] أنفاسَ المَطيِّ صَعُودُ

قَصِيرةُ هَمِّ الزَوْجِ أمَّا شِتاؤُها   فَسُخْنٌ وأَمَّا قَيْظُهَا فَبَرودُ

وفي حماسة البحتري في باب (فيما قيل في مجاملة الاعداء ...) قول لأبي الربيع بن لقيط يعيِّر فيه الكميت بن معروف بقبول دية كان قد قبلها ، وكانت قبيلته تلقب بالكُرْش فقال[٢]:

شرا الكُرْشُ عن طولِ النَّجيِّ أخاهمُ   بمالٍ كأنْ لم يسمعوا قولَ حِذْلِمِ

شروه بحُمْرٍ كالصخور وأجْذَموا   على العارِ ، مِنْ لم يُنكِرِ العارَ يُخذَم[٣]

ونجد في باب (في الصبر على المصائب والتجلد للشامتين وترك الاستكانة) مقطوعة لأم الأسوار الكلابية حيث كانت محبوسة بالمدينة بسبب جناية قد جناها ابنها ، فتقول[٤]:

كلانا إذا ما قَيدُه عُضَّ ساقُه   وَأُحْكِمَ حتّى زَلَّتِ القَدَمانِ

أَرَى شاهِدَ الأَعْداءِ منه جَلادَةً   وَإن كانَ مَرْمِيَّاً بِنَا الرَّجَوَانِ

أما حماسة الظرفاء ، فنجد في باب الأدب والحكمة مقطوعة رجزية رقم (١٥) لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – " وقد حضر كدس شعير له ، وكان يطرد الطير عنه ويرجع إليه[٥]:

---

[١] رمان: جبل في بلاد طيء في غربي سلمى أحد جبلي طيء، وهو جبل في رمل، وهو مأسدة. انظر : الحموي، ياقوت ابن عبدالله، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٦٨.

[٢] البحتري، ديوان الحماسة، ص٢٤.

[٣] يخذم : أي ينقطع .

[٤] البحتري، ديوان الحماسة، ص١٥٧.

[٥] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٧٦ – ٢٧٧.

عَجِبْتُ من نفسي وَمِنْ إِشْفاقِهَا

وَمِن طَرْدي الطَّيرَ عن أَرْزَاقِها

في سَنَةٍ كَشَفَتْ عن سَاقِهَا

والموت في عُنْقِي وفي أَعْناقِهَا

وهنا سؤال يطرح نفسه " هل كان عمر بن الخطاب يقول الشعر حقيقةُ ، ام أن ما سبق هي أبيات استشهد بها أو تمثل بها فقط ؟ ورد في " الأغاني " أن عمر شاهد متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله في أخيه فأنشده :

لَعَمْري وما دَهْري بِتَأْبِينِ مَالِكٍ ولا جَزِعٍ مما أصابَ فَأَوْجَعا

لقد كُفِّنَ المِنْهالُ تَحْتَ ثِيابِهِ فَتًى غَيْرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

حتى بلغ إلى قوله :

وَكُنَّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمَةٍ حِقْبةً من الدَّهْر حتى قِيْلَ لَنْ يَتَصدَّعا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنا كَأَنِّي وَمَالِكاً لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لم نَبِتْ لَيْلَةً مَعَاً

فقال عمر: " هذا والله التأبين، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي زيداً[١] بمثل ما رثيت به أخاك .."[٢]، فهذه رواية إن صحت فيها دلالة قاطعة على أن عمر لم يكن يقول الشعر، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون يقول البيت والبيتين، أو أنه يتمثل بأقوال الشعراء. أما الأبيات السابقة

---

[١] يقصد بزيد أخاه زيد أبن الخطاب .

[٢] الاصفهاني، ابو فرج، الاغاني، ج١٥، ص٣٠٨.

فقد ذكر محقق حماسة الظرفاء في حاشيتها أنها لرؤبة أخذاً عن محاضرات الراغب ، وأنها تنسب لأعرابي أخذا عن البصائر والذخائر[١].

وفي باب الكبر والمشيب ، المقطوعة (٣٢) للعباس بن مرداس، وقد قالها بعدما شاخ حيث نصحه قومه في شرب النبيذ إلا أنه رفضه حيث قال : " لا أصبح رئيس قومي ثم أمسي وأنا سفيههم " ، والأبيات هي[٢]:

رَأَيْتُ النَّبيذَ يُذِلُّ العَزِيزَ وَيَزدْادُ فِيهِ الوَضِيعُ انْفِسَاخاً

وَيُوقِعُ في سَوأَةٍ شارِبِيهِ وَيَكسوُ التَّقيَّ النَّقِيَّ اتِّسَاخَا

فَإِنْ كَانَ ذا جَائِزاً في الشَّبَابِ فَمَا العُذْرُ فيه إِذَا المَرْءُ شَاخَا

وقد يعرض صاحب الحماسة للرواية بعد ذكر المقطوعة تتميماً لها ، وتفسير لقصة ناتجة عنها . ففي المقطوعة (٣٧٨) في باب الهجاء من الحماسة الشجرية ، أورد لنا ابن الشجري هجاء النجاشي (قيس بن عمير بن مالك) لبني عجلان ، بعد ذلك ذكر لنا قصة بني عجلان مع عمر رضي الله عنه حين استعدوه على النجاشي : " فسألهم ماذا قال فيه ، فأنشدوه :

إذا اللهُ عادى أهلَ لُؤْمٍ ودِقَّةٍ فعادى بني العَجْلانَ رَهطَ ابنِ مَقْبِلِ

فقال : اذا كان مظلوماً استجيبت له ، وإن كان ظالماً لم يستجب له ، فأنشده :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال : هذه صفة قوم صالحين ليتني كنت فيهم ، فأنشده :

---

[١] انظر الهامش في حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٧٧.

[٢] الزوزني : حماسة الظرفاء ، ١ / ٣٥٣.

ولا يَرِدُونَ الماءَ إلا عَشِيَّةً　　　إذا صدرَ الوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ

فقال : ذاك أخف للزحام ، فأنشده :

وما سُمِّيَ العَجْلانُ إلا لِقَولِهم　　　خُذِ القَعْبَ واحْلُبْ أَيُّها العَبْدُ واعجَلِ

فقال سيد القوم خادمهم . فأنشده :

تَعافُ الكلابُ الضَّارياتُ لحُومَهُمْ　　　وتَأْكلُ من كَعبٍ وعَمْرٍو ونَهْشَلِ

فقال : وصفكم بأنكم أحررتم موتاكم . فقالوا : ليس لك معرفة بالهجو يا أمير المؤمنين ، فابعث إلى حسان ، فبعث إليه فلما أنشده الابيات قال : ما هجاهم يا امير المؤمنين ، ولكن سلح عليهم(١)".

وهذه الرواية – إن صحت – فإنها تحتمل أن عمر كان يتألف قلوبهم ويهدئ من روعهم؛ جلباً للصلح وتهدئة للوضع ، وإلا فمن المعروف أن عمر بن الخطاب كان ذوّاقةً للشعر ، بصيراً به ، ذا خبرة في معرفة السقيم من الصحيح وناقداً له ، فلا يمكن أن يفوته مثل هذا الهجاء .

وفي المقطوعة (٤٨) بعد أن ذكر ابن الشجري أن عروة بن زيد الخيل كان فارساً شجاعاً شهد القادسية وحسُن بلاؤه فيها ، أورد مقطوعتة المذكورة في هذه المناسبة والتي تبدأ بـــ :

بَرزتُ لأهْلِ القادسيَّةِ معلماً　　　وما كُلُّ من يغش الكريهةَ يُعْلَم

---

(١) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٥٢-٤٥٤.

وذكر في نهاية المقطوعة خبراً متمماً : " قال : وشهد مع علي رضي الله عنه صفين ، فأبلى جهاراً بين يديه " وهي من رواية حماد الراوية[١].

وفي المقطوعة رقم (٢٥٣) أورد بيتاً لجرير في رثاء الفرزدق ثم بيتين آخرين يليهما في الحماسة (٢٥٤) في نفس المناسبة وفي نهايتها قال : " ثم قال : والله ما تصاول فحلان فمات أحدهما إلا كان الآخر سريع اللحاق به . فما لبث جرير بعده إلا يسيراً "[٢].

ونجد مثل ذلك عند أبي تمام في " الوحشيات " ، ففي المقطوعة رقم (٣٥٦) وهي لعوف ابن الأحوص الكلابي في هجاء بني يزيد بن الصعق ، أورد ابو تمام في نهايتها ، أن رجلاً من أهل اليمن نزل بيزيد بن الصعق فلم يحسن جواره ، فلقيه الرجل بعد ذلك باليمن ، فسلمه الى عبيد له فما زالوا ... (بعد هذه اللفظة كلاماً محذوفاً إلى قوله " حتى مات " ، على ما يقال " . والابيات هي مع وجود (حذف لبعض مفرداتها[٣]:

حَدَّثْتُموني أَنَّ شَأْنَ أَبيكُمُ   ثَملٌ وأَحْسَبُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ

أَبَنِي قَتيل ... إِنَّ أَبَاكُمُ   بالجِزْعِ مِنْ نَجْرانَ لَمَّا يُنقَلِ

طلَبوا ... حين انْتَشَى   ... حُمْرٍ كَـسُوقِ الحِثْيَـل

وفي المقطوعة رقم (٤٦٦) في باب السماحة والأضياف ، أعرابي يمدح ابنه في الكرم:

وُهِبتُه أَبْيَضَ مثل البدْرِ   يَقْري إِذا أَمحلَ صَوبُ القَطْرِ

وهبَّت الريحُ البرُودُ تَسْري   ذاتُ حمـامٍ وَعُصُـوفٍ كُدْرِ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٥٢-٤٥٤.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٣٣١-٣٣٢.

[٣] ابو تمام، الوحشيات، ص٢١٦.

رحْبَ الفَناءِ مُبْرِزاً للْقِدْرِ

أورد بعدها أبو تمام قول ام الصبي:"أجل ، إذ كان أبوه يعقل! فقال أبوه : انتِ البليّة"[١].

وفي المقطوعة رقم (٤٩٠) في باب الملح لغويَّة بن سلمى بيتان :

وَدِدْتُ مَخَافَةَ الحجَّاجِ أَنِّي بِكَابُل في استِ شَيْطانٍ رَجِيمِ

وَدِدْتُ مَخَافَة الحجَّاجِ أَنِّي مِنَ الحِيتَانِ في بَـــحْرٍ أَعُــومُ

فاورد بعدها رواية مجهولة : " قيل له : أقويت ؟ قال : لو كان لي عقلٌ ما أقويت . قلتُ: يجوز أن يكون الشعر بيتاً ، قال : بيتاً ، ثم قال : البيت الآخر بعده بسنة "[٢].

خامساً : تفسير ابيات الحماسة

نكاد نقول بأن ابن الشجري هو الوحيد من أصحاب الحماسات الذي تعرَّض لتفسير بعض الأبيات ، وإذا أطلقنا عليه هذا الحكم ، فإننا نؤمن بجور مثل هذا الحكم نسبيا؛ إذ لم يكن يفسّرُ ابن الشجري سوى القليل من الأبيات قد تكون بيتاً أو بيتين أو حتى جزء من بيت . وقد اهتم في هذه الأبيات القلائل بتفسير بعض ألفاظها أو بالمعنى الجزئي للبيت أو الجزء منه .

وإنما أصدرنا هذا الحكم مقارنة مع الحماسات الأخرى التي لم تكن تفسِّرُ شيئاً مطلقاً ، يستثنى من ذلك أبو تمام في " الوحشيات " في أربعة مواضع أو ألفاظ فسَّرها . وسنتعرض لذكر ذلك بعد الحديث عن تفسير ابن الشجري لحماسته :

تفسيره لألفاظ غريبة :

---

[١] ابو تمام، الوحشيات، ص٢٧٦.

[٢] المصدر نفسه، ص٢٩٥.

من ذلك قوله في البيت :

تَقولُ سُلَيْمَى لِجاراتِها أَرَى ثَابِتاً يَفَناً حَوْقَلا

" اليفن : الشيخ الكبير . ويقال : حوقل : إذا أدبر عن النساء "[١].

وقوله في البيت التالي .

فقلتُ له : اشرَبْ لو وَجَدْتَ قَضيَّةً قُرِيتَ الذُرا من مُرْبِعاتٍ بهازِرِ

" القضية بالضاد : التي تحرر في الصدقة فتقضي عن صاحبها ، وبالصاد غير المعجمة : الكريمة تقصى عن الابل صوناً لها[٢]، وقد يورد أقوال العلماء في تفسيرهم للألفاظ مما يدل على سعة اطلاعه وغزارة علمه. حيث قال في تفسير هذا البيت :

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطيَّ إلا وَشيجُهُ وَتُغْرَسُ إلا في مَنابِتِها النَّخْلُ

قال : قيل : وشيجة : عروقه . قال الاصمعي : هذا خطأ ، وانما أراد وهل ينبت القنا إلا القنا . والوشيج : القنا "[٣].

وفي البيت التالي :

فَظَلَّ يُراعي الجيشَ حتّى تَغَيَّبَتْ حُبَاشٌ وحالَتْ دونَهنَّ الأَجارِعُ

"حباش:اسم هضبات.وقال بعضهم حباش:اسم من أسماء الشمس وليس ذلك بمعروف"[٤]

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٧٨.
[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٩٦١.
[٣] المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٠.
[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٧١٩.

كما أنه في بعض الأحيان يصرِّف اللفظة إلى مشتقاتها وأوزانها ليستدل بذلك على معناها : (يقال ثوبٌ هلهل وهلهال وهلهلة وهو الرقيق النسيج " ثم يدلل على ذلك معنى اللفظة في السياق أكثر بقوله : " إنما وصف أوائل ضوء النهار ، فوقعت لفظة المهلهلة في موضعها " . وذلك للتدليل على معنى هلهلة في البيت التالي[١]:

حَتّى إِذا نَزَعوا الدُّجى وتَسَرْبَلوا   من ثَوْبِ هَلْهَلَةِ الصَّبَاحِ النَّائرِش

وقد يضبط اللفظة حسب ما رُوي عنها من روايات فسَّر (دُراب) في قوله :

أَقاتِلَي الحَجَّاجُ أَنْ لَم أَزُرْ لَهُ   دَرابَ وأَتْرُك عنْدَ هِنْدٍ فُؤادِيا

"أراد دَراب جرد بلد من فاَرس فحذف ، وروي أبو حاتم سهل بن محمد : بكسر الدال"[٢]. وقال في البيت :

سِرْنا وأَنْتِ مُقيمَةٌ ولَرُبَّما   كانَ المقيمُ علاقَةً للسائِرِ

فقال : " العلاقة من الحب بفتح العين ، وعِلاقة السوط بكسر العين "[٣].

كما قد يذكر لفظة ومؤنثها في اللفظ : " القرقر والقرقرة : القاع المستوي الاملس "[٤]، " الأمعز والمعزاء : المكان الغليظ الصلب فيه حصى صغار "[٥].

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٥٠.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٨.

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢٢.

[٤] المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٣.

[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٦٨.

وفي أحد المواضع استشهد ابن الشجري بآية قرآنية للتدليل على معنى حرف جر : " معنى لفظة أزرَ له : أي لأجله وطاعته ، كقوله تعالى : " ألم نشرح لك صدرك " أي " لهداك " فاستدل باللام في اللفظة على اللام في الآية القرآنية[١]. ومن باب الاستدلال بحرف على حرف آخر قوله : إلى بمعنى مع في قوله[٢]:

مُلاعِبَةُ العِنانِ بِغُصْنِ بانٍ إلى كَتِفَيْنِ كالقَتَبِ الشَّميمِ

كما استشهد بمثل للاستدلال على معنى لفظة ، ففسَّر معنى " الفقع" في قوله :

وظَننْتَني فَقْعاً بِقَرْقَرَةٍ فَوطِئْتَني وَطْئاً على حَنَقِ

بقوله : " الفقع : ضرب من الكمأة تنجله[٣] الدواب بأرجلها يشبه به الذليل ، يقال : أذل من فقع بقاعٍ "[٤].

كما كان يضرب أمثلة على لفظة للتدليل على معناها من الأقوال العامة.ففسَّر كلمة (العميم) في قوله :

يُضاحكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَميمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

بقوله : " العميم : التام الحسن ، يقال : نخل عمّ أي طوال "[٥].

ومثله كلمة " الحزاور " في قوله :

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٠٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٦٨.

[٣] تنجله : أي تضربه بمقدم رجلها فيتدحرج .

[٤] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٦٣.

[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤٩.

فما رَامَ حَتَّى مَسَّتِ الشَّمسُ جِلْدُهُ   ولانَتْ على الحافي رؤوسُ الحَزاورِ

" الحزاور : جمع حزورة ، وهي الارض الغليظة ، ومنه قيل غلام حزوَّر"[١]. ومنه : " خالها : قيِّمها . يقال نعم الخال هو ، ونعم خائل المال لمعنى البيت[٢]:

يُصَبُّ لَها نِطافُ القَوْمِ سِرّاً   وَيَشْهَدُ خالُها أَمْرَ الزَّعيمِ

كما استشهد لمعنى لفظة ببيت شعري خارج عن أبيات الحماسة (أعجلها الشباب لداتها : أي سبقت لداتها في الشباب ، وذلك في قوله :

بيضاءُ أَعْجَلَها الشَّبابُ لِداتِها   موسومةٌ بالحسنِ غيرُ قَطوبِ

استشهد عليها بالبيت التالي :

لَمْ تَلْتَفِتْ للداتِها   وَمَضتْ على غُلَوائها

وهو بيت لابن قيس الرقيات[٣].

كما أورد لنا رواية على لفظ بيت مع بيان أيهما أفضل فقال في قول الشاعر :

تَفْتَرُّ عن حُمْشِ اللِّثاتِ كأنه   بَرَدٌ جَلَتْه الرّيحُ عن شُؤبوبِ

" يردي جلته الشمس وهو أجود "[٤]. وقوله في قول الشاعر :

عَلاتَيْنِ تمْضي ليلةُ الطَّلِ عَنْهُما   وَقُورَيْنِ تحتَ الساقِطِ المتواتِرِ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٩٦٥ .

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٦٧.

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦٠ .

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦٠ .

" ويروى أيضاً رقودين ورفودين من الرفد ... "[١].

كما قد يورد لفظة مقابل للفظة الوارده في بيت الحماسة :

أَنَخْنَ لتَغْويرِ ، وَقَدْ وَقَدَ الحَصا وذابَ لُعابُ الشمسِ فوقَ الجَماجِمِ

" التغوير : الاستراحة نصف النهار مثل : التعريس آخر الليل "[٢].

وقد يبدي رأيه في سبب تسمية لفظة بما سميت به : قال في قول الشاعر :

فَرائِدَ يَسْتَجْلِي الرُّواةُ قَرِيضَها وَيَلْهو بِها من لاعِبِ الحَيِّ سامِرُ

" القريض : الشعر وكأنه إنما سمي قريضاً لأنه قرض من الكلام "[٣].

ومن تفسير معاني الأبيات ككل أو بعضها ، نجد في قوله :

ولا تَأْخُذُ الكُومُ المَخاضُ سِلاحَها لِتَوبَةَ في صِرِّ الشِّتاء الصَّنابِرِ

بعد تفسيره لكلمة الصنابر بـــ " البارد " قوله في معنى البيت :

" يقول : لا تدفعه عن عزها لحسنها "[٤]. وقوله في البيت :

إذا ما رَأَتْهُ قائِمًا بِسلاحِهِ تَقَتْهُ العِجافُ بالثِقالِ البَهازِرِ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٩٦٣.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠٧ .

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٨ .

[٤] المصدر نفسه، ج١، ص٣١٣ .

" البهازر : السمان واحدتها بهزرة ، وبهزرة أي دفعته المهازيل عن نحرها بالسمان"[١]. وفي قوله :

إِليكَ سَرى بالمَدْحِ قَوْم كَأَنَّهُم   على المَيْسِ حَيَّاتُ اللِّصابِ النَّضانِضُ

تَشيمُ بُرُوقاً منْ نَداكَ كَأَنَّها   – وَقَدْ لاحَ أُولاها – عُروقٌ نَوابضٌ

" أخبر أنهم أعيوا من السير حتى صاروا كالحيات في الدقة "[٢].

كما قد يفسر اللفظة حسب دلالتها العميقة في السياق ، كما في :

فَما بَرِحْت حَتَّى مضى اللَّيلُ وانْقَضى   وأَعضَلَها داعي الصَّباحِ المُلَمَّع

فنقول في قوله " الملمع" " لم يورد لفظة " الملمع " على سبيل اضطرار القافية اليها ، ولكن لها معنى صحيح لا يقوم غيرها فيه مقامها ، لأن أوائل الصباح ، وقيل ابيضاض الصبح وانتشاره ويكون البياض ممزوجا بالسواد ملمعاً به ، لأن بياض الصبح لم يظهر كل الظهور فكأنه أراد أنه لطيف فارقه أول الصبح وقبل انتشاره "[٣].

كما يوضح الصور الفنية أحياناً ، كقوله في البيت :

أَغَرَّ مِنَ البُلْقِ العِتاقِ يَشُفُّهُ   أَذى البَقِّ إِلا ما احْتَمى بالقَوائِمِ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣١٣.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٩٨–٦٩٩.

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٦١٨.

" شبه ما ضربوه عليه من أرديتهم ليستظلوا به لاختلاف ألوان الثياب بفرس أبلق، ووصفه بكثرة الاضطراب لأن الريح تحركه فكأنه فرس قائم ، والبق يؤذيه ، وهو يحتمي بقوائمه من البق "[١].

كما يبين لنا من خلال تفسيره سبب تخصيص الشاعر للفظة معينة بالذكر كقوله :

ما روضةٌ مِنْ رياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ   خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ

" خص رياض الحزن لأنها أحسن من بياض الخفوض وأطيب رائحة" وقوله في الأصل في نفس المقام في قوله :

يَوْماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ   ولا بأحسنَ منها إذ دَنا الأُصُل

" وإنما خص هذا الوقت لأن النبت فيه أحسن ما يكون لتباعد الشمس والقرعنه "[٢].

كما قد يعلّلُ سبب ذكر البيت أخذا عن رواية :

وَوَجْدي بالشَّباب وإنْ تَوَلّى   حَميداً دونَ وجدي بالمشيبِ

" قال المرتضى رضي الله عنه : إنما جعل وجده بالشباب أقل من وجده بالمشيب ، لأنه يفارق الشباب بالشيب ، وصاحب الشيب في قيد الحياة على كل حال ، ولا يفارق الشيب إلا بالموت ، والإيثار للبقاء اقوى"[٣].

كما أنه بيَّن على ماذا يعود الضمير في لفظة (جماد) في قوله :

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٠٧.
[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤٩.
[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٨٢٨.

جَمادِ لها ، جَمادِ ، لولا تَقُولنَ   لها يوْماً إذا ذُكِرَتْ حمادِ

" الضمير في لها يعود على القرينة . يقال : جماد لفلان أي ذمه ، وحماد له : (أي احمده) . وجماد مأخوذ من الجمد ، فهو الصلب الغليظ من الارض"[١].

هذا مجمل تفسير الشجري لأبيات حماسته ، وهي تدل كما قلنا سالفاً على مدى سعة اطلاعه ، وغزارة علمه ، وثقافته العالية إذ إن له خبرة واسعة بالمعاني والألفاظ وتصرفاته .

أما أبو تمام في (الوحشيات) فإنه لم يتعرض للتفسير إلا في أربعة مواضع قصيرة ، ففي موضع فسَّر لفظة الخيعل في قول الشاعر :

ما زِلْتُ أَضْرِبُهُ وأَنْعى مالِكاً   حَتّذَى تركتُ ثِيابَهُ كالخَيْعَلِ

بــ " ضربٌ من الثياب غير منصوح الفرجين[٢] تلبسه العرب "[٣].

وفسَّر " القدير " في قوله :

وَمُلْتَمِسٍ بعِيراً ظلَّ يُشْوَي   لَهُ مِنْهُ ويتْبعُهُ قديرُ

بــ " المطبوخ في القدر "[٤].

ولعلَّ غرابة اللفظين هي التي جعلت أبا تمام يفسرهما ، فالأولى مبهمة ، والثانية قد تشتبه على القارئ بصفة " قدير " أي قادر.

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص ٨٤٠ .

[٢] نصح الثوب : أنعم خياطته .

[٣] ابو تمام، الوحشيات، ص١٨.

[٤] المصدر نفسه، ص٢٩٥.

أما الموضع الثالث فقد عرَّف بعلمين ذكرا في البيت :

لَعلَّ اللهَ يُمْكِنُني عَلَيْها   جِهاراً مِنْ زُهَيْرٍ أَو أَسِيدِ

فأخبر أنهما " زهير بن جذيمة العبسي ، وأخوه أسيد بن جذيمة "[١].

وفي الموضع الرابع عرَّف من هو المقصود بلقب فشيشة في قول الشاعر :

ذَهبتْ فَشيشَة بالأَباعِرِ حوْلَنا   سرَقاً فَصُبَّ على فَشيشَةَ أَبْجَرُ

" فشيشة لقب أسيد بن عمرو "[٢].

وهذا الموضعان الأخيران إنما اضطرَّ أبو تمام إلى تفسيرهما اضطراراً؛ لتوضيح بعض الأعلام أو الألقاب في الأبيات؛ ليتمكن القارئ من معرفة ذلك .

وإذا كان أصحاب الحماسات لم يفسِّروا أبيات مقطوعاتهم ، إلا ما كان بعض ذلك من ابن الشجري وأبي تمام ، فذلك لأن الحماسة ليست كتاب شرحٍ وتفسير وإنما كتاب مختارات شعرية اختارها أصحابها حسب ذوقهم؛ للتعليم أو الإفادة أو المتعة .

---

[١] المصدر نفسه، ص١٠١.

[٢] المصدر نفسه، ص٢١٨.

سادساً : النقد

لم يتحاش ابن الشجري أن يضمّن كتابه بشئ يسير من النقد ، وكان هذا النقد بسيطاً ، الحكم على البيت بالاستحسان والجمال في الموضع الذي يرى الكاتب أنه أهل لذلك . وعموماً يمكن أن نطلق الملاحظت التالية على نقد ابن الشجري :

- يلاحظ أن نقده نادر مبثوث بين ثنايا الصفحات ببضعة كلمات ، والأغلب على كتابه خلوه من النقد .

- يمكث النصيب الأوفر من نقده في باب " الوصف " ، إذ إن أربعاً وأربعين مقطوعة لها النصيب الأوفر من نقده في باب الوصف ، واثنتين في باب النسيب ، وواحدة في باب الأدب ، واثنتين في باب المديح .

- كما أن نقده يقوم على الذوق الشخصي فحسب ، أي الانطباعي التأثري من مثل قوله : " وقال النظار الفقعسي وأحسن ما شاء "[١].

" وقال البحتري ولم يقصر عن غاية الإحسان "[٢]، ومن حَسَنِ الوصف قول البحتري[٣]، قال ابن الرومي في المساعر وأحسن التشبيه[٤]، ومن أحسن ما قيل في ضمر الإبل قول البحتري [٥]، ومن أحسن ما قيل في تشكي الإبل قول ذي الرمَّة[٦]، ومن أحسن ما قيل في استتار

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٦١٣ .

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦٢.

[٣] المصدر نفسه،ج٢، ص٦٧٣.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٩٣.

[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠٢.

[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠٥.

النجوم بالغيم قول أبي المعتصم[١]، ومن المديح المستحسن قول امرئ القيس[٢]، ومن البديع في طول الليل قول ابن الاحنف[٣]، ومن المبالغة في وصف الثغر قول النابغة[٤]، وقال البحتري ولم يقصر عن غاية الاحسان[٥]، وابدع الجدلي في قوله[٦]، وقال بشار في تشبيه السيوف في الغبار مبلغ الغاية[٧]، ومن روائع التشبيه قوله[٨].

– لم يخلُ نقد ابن الشجري من ذكر بعض الروايات المستحسنة للمقطوعة – المعجبة بالمقطوعة – ، كقوله : " قال أبو عبيدة : لم يقل في الروض أحسن من هذه الأبيات[٩]، وقوله : " وكان الجاحظ يستحسن هذه الابيات "[١٠].

– يبدو أن ابن الشجري كان معجباً بامرئ القيس ، مقدراً له ثمن السبق في أوصاف كثيرة . وليس أدل على ذلك من كثرة إيراده لشعر امرئ القيس وحديثه عنه ، فمثلاً في المقطوعة (٥٨٢) يقول عنه : " وممن سبق بهذا المعنى ففاق فيه المحدثين[١١] امرؤ القيس في قوله "[١٢]. ومن ذلك قوله : " ومن القديم المستحسن قول امرئ القيس [١٣]، و " من القديم الحسن

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٣٣.
[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣٧.
[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤٣.
[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦٢.
[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦٢.
[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦٢.
[٧] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٩٣.
[٨] المصدر نفسه، ج٢، ص٨٦٤.
[٩] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤٩ ، ويقصد بالأبيات أبيات الأعشى في صفة امرأة.
[١٠] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٠٣ ، أي أبو نواس في مقطوعته التي أولها:
على خبز اسماعيل وافيةُ البخل فقد حلَّ في دار الامان من الاكل .
[١١] أي في وصف ريق الفتاه بالخمر.
[١٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٦٧ .
[١٣] المصدر نفسه،ج٢، ص٧٣٧.

في ذم الليل قول امرئ القيس[١]" ومن محاسن التشبيه قول امرئ القيس[٢]، وابن الشجري لم يكن بدعاً في الامر بإعجابه بامرئ القيس وتقديره لسبقه في أشياء كثيرة ، وإنما يردد ما قاله النقاد القدامى في ذلك مثل ابن سلام الجمحي ، وابن قتيبة ، والآمدي ، وغيرهم . وحق ذلك لامرئ القيس فهو يعد بحق رائد القصيدة الجاهلية في أوصاف كثيرة لأنه أقدم شاعر وصل إلينا شعرة سالماً من النحل والتحريف .

– المقطوعة (٥٢١) هي المقطوعة الوحيدة التي تناولها ابن الشجري بشيء من التفصيل أخذاً عن رواية المرتضي فيها من كتابه (طيف الخيال)[٣] ، وهي حماسية لعمرو بن قميئة هي :

نَأَتْكَ أُمامَةُ إلا سُؤالاً   وإلا خَيالاً يُوافي خيالا

يُوافي مع اللَّيْلِ مُسْتوطِناً   وَيَأْبَى مع الصبْحِ إلا زِيالا

خَيالٌ يُخَيِّلُ لي نَيلَها   ولَوْ قَدَرَتْ لَمْ تُخَيِّلْ نَوالا

يقول ابن الشجري : " نقلتُ هذه الأبيات من كتاب (الطيف والخيال) للمرتضي – رضي الله عنه – ، ورأيته قد أطنب في مدحها ، فقال عقب إيراده لها : انظر هذا الطبع المتدفق والنسج المطرد المنسَّق من أعرابي قح قيل إنه أول مفتتح لوصف الطيف ، وكأنه لانطباع سبكه وجودة رصفه لما قال هذا المعنى الكبير ، وقلَّب باطنه وظاهرهُ ، وباشر أوله وآخره ، قد سمع فيه من اقوال المحسنين ، وإجادة المجيدين ، ما سلك منهجه ، وأخرج كلامه مخرجه . لكنَّ ما

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٤٤.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٢٤.

[٣] هذا هو اسم الكتاب كما ذكر في عدة مصادر قديمة ، لا كما سماه ابن الشجري (الطيف والخيال) ، كتبه للوزير أبي علي الحسن بن حمد ، بناءً على طلبه ، في أوصاف طيف الخيال ، ويشتمل على شعر الطائيين ثم شعر أخي المرتضي وشعر المرتضي نفسه . والكتاب محقق مطبوع.

أودع هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة هداهم من مسالك البلاغة إلى ما هو ظاهر باهر ولهذا ما كان القرآن معجزاً وعلماً على النبوة دالاً ، إلا أنه أعجز قوماً هذه صفاتهم ونعوتهم"[١].

وهكذا نجد أن ابن الشجري تميز عن غيره من كتاب الحماسة بشيء من النقد اليسير الذوقي الذي لم يظهر فيه التفصيل.

أحدها رواية عن الاصمعي في باب الرثاء : " قال الأصمعي : ما ابتديت مرثية بأحسن من ابتداء أوس بن حجر حيث قال[٢]:

أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعاً   إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعا

والموضع الثاني في باب الهجاء : " ومن أجود ما قيل في البخل لابي اسحق الصابي [٣]وقوله في الموضع الثالث في نفس الباب : " ومن غريب الهجاء قول العبد لكاني[٤]. كما أن ابن الشجري في بعض الأحيان "يورد الحماسية ثم يتبعها بأخرى أخذت عنها وينص على هذا الأخذ"، ويذهب الدكتور عز الدين إسماعيل إلى أن ذلك عائد إلى تأثره ببعض الأفكار النقدية المستفيضة في عصره كقضية السرقات الشعرية[٥].

سابعاً : الاستشهاد

استشهد ابن الشجري بحديث شريف تعزيزاً لمعنى الشعر الذي أستشهد به . فقبل أن يورد مقطوعة لأعشى قيس في باب (الشدة والشجاعة) ورقمها (١١٥) ذكر أن أعشى قيس قالها

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٦١١-٦١٣.

[٢] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٩٠.

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص١١١.

[٥] انظر إسماعيل، عزالدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص١١٤.

في الحرب التي كانت بين العرب والفرس وذكر حديثاً نبوياً في مناسبة ذلك " إذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اليوم انتصفت العرب من العجم " . والمقطوعة أولها[١]:

فِدىً لبني ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتي　　　وراكبُها يومَ اللِّقاءِ وَقَلَّتِ

هُمُ ضَرَبوا بالحِنو حِنْوِ قُراقِرٍ　　　مُقَدِّمَةَ الهامَرْزِ حَتَّى تَولَّتِ

وفي المقطوعة (٢٠٠) أورد حديثاً نبوياً آخر أستشهد به على البيت الثالث والذي يشكل حكمة إنسانية [٢]:-

إنّ السَّعيدَ لَهُ في غَيْرِهِ عِظَةٌ　　　وفي التَّجارِب تَحْكيمٌ ومُعْتَبَرُ

فقال إنه يشبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " السعيدُ من وعظ بغيره ". كأنه يشير إلى ظاهرة تداول المعاني، أو ما يسمى حديثاً بظاهرة التناص .

ويلاحظ أن حماسة الظرفاء للزوزني تميزت عن سائر الحماسات قيد الدراسة بخاتمتها النثرية إذ كان الزوزني يختم كل باب شعري في حماسته بكلام نثري يحتوي على أحاديث نبوية وآيات قرآنية وأمثال وروايات نثرية .

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٥٧ – ١٥٩ .
[٢] المصدر نفسه، ص٢٠٣.

الفصل الثاني

أهم المضامين الشعرية

الفصل الثاني

أهم المضامين الشعرية

يتناول هذا الفصل الحديث عن أهم المضامين الشعرية في كتب الحماسات الشعرية – قيد الدراسة– وهي:–

١ - الفخر والحماسة.

٢ - الرثاء

٣ - المديح.

٤ - الهجاء.

٥ - العتاب واللوم.

٦ - الغزل والنسيب.

٧ - الوصف.

٨ - الحكمة.

ذكرت سابقاً أن أصحاب الحماسات الشعرية – قيد الدراسة– قسموا حماساتهم حسب الأغراض الشعرية ــ إذا ما استثنينا البحتري ــ، وقد وجدتُ أن أهم الأغراض الشعرية بين أصحاب الحماسات هي:– الفخر والحماسة، والرثاء، والمديح، والهجاء، والعتاب واللوم، والغزل والنسيب،ثم الوصف، فالحكمة.

وما ذكروه من "باب الأدب"، فهو داخل ضمناً في أبواب الفخر والحماسة والحكمة. ومن "باب الملح" مثلاً فهو داخل ضمن بابي الهجاء والوصف. وما ذكره أبو تمام من "مذمة النساء" فداخل ضمن باب الهجاء وباب الوصف.

وسأتناول في هذا الفصل أهم الأغراض الشعرية المذكورة سابقاً عند أصحابها، موازناً بينهم قدر الإمكان.

أولاً:– الفخر والحماسة:

يختلط فن الفخر بفن الحماسة كثيراً؛ ذلك أن الحماسة هي جزء من الفخر، فإن الشاعر إذا ما أورد مقطوعته في الحماسة، نجده يفتخر بها بذاته أو بقبيلته. إلا أن الفخر يضم شيئاً آخر زائداً عن فن الحرب، فهو يضم إلى جانب ذلك الافتخار بالكرم وحسن الأخلاق واحترام الجار والوفاء بالعهد إلى غير ذلك. ولعل الحفاظ على هذه الأمور الأخلاقية السامية هي مرَد نشوب الحروب بين القبائل، فهي أحد أسبابها، فكم قد جرت من حروب بسبب المحافظة على الجار، أو إكرام ضيف وغيرها من أسباب.

وقد ذكرت في التمهيد معنى "الحماسة" . أما الفخر فقد ورد في لسان العرب أنه يعني

(التمدح بالخصال والافتخار وعد القديم) [١].

ويمكننا في هذا المقام أن نُقسم باب الفخر والحماسة إلى الأقسام التالية:-

أ - الفخر الفردي.

ب - الفخر القَبَلي.

ج - شعر الحوادث والحروب.

د - من مظاهر الافتخار.

ه - المنصفات.

و - الصعلكة.

وفيما يتعلق بالفخر الفردي والفخر القبلي نجد الدائرة بينهما متداخلتان، فإن الشاعر حين يفتخر بذاته، يؤمن في ذات الوقت أنه فرد من قبيلة ينتمي إليها ويعتز بها، كما أنه إن افتخر بقبيلته فقد اعتز بذاته وسما بنفسه. فذات الشاعر هي ذات القبيلة وذات القبيلة هي ذات الشاعر. ويشكل هذا الأمر أكثر ما يكون في المجتمع الجاهلي، لما يمتاز به من تمييز طبقي، وتقسيم قَبَلي.

ولا تخلو المجتمعات الإسلامية من هذا الأمر؛ فالإنسان مفطور على حب القبيلة بانتمائه إليها واعتزازه بها. يدلك على ذلك أوضح ما يكون: المنافرات التي كانت تدور ما بين المثلث الأموي – الفرزدق وجرير والأخطل- فقد وصل الهجاء بينهم إلى تناول قبيلة الآخر منهم بالذم والشتم، والافتخار بقبيلته.

يمثل لنا تداخل القسمين: الفخر الذاتي والفخر القَبَلي خير تمثيل قول عامر بن الطفيل، وقد

---

[١] ابن منظور، لسان العرب (مادة فخر).

سودته قبيلته عليهم، فيفتخر بأن سيادته لم تكن عن وراثة، وإنما بسبب شجاعته ونجدته فهو الذي يحمي قبيلته، ويدافع عنها خير دفاع[١]:

إني وإن أَصْبَحْتُ فارسَ عامرٍ ووافِدَها المَحْمودَ في كلِّ مَذْهَبِ

فما سَوَّدتْني عامِرٌ عن وِراثةٍ أبى اللهُ أنْ أَسْمو بِأُمٍّ ولا أب

ولكنَّني أحمي حِماها وأَتَّقي أذَاها وأَرْمي مَنْ رَماها بِمَنْكبِي

ومن باب الافتخار بالذات نجد قيس بن الخطيم يفتخر بأنه طعن شخصاً يدعى (ابن عبد القيس) طعنة نافذة عميقة، لا يستطيع علاجها الأطباء، كما يفتخر بأنه يرد المسبة بمثلها، فالمسبة القادمة من الطرف الآخر نتيجتها تهييج الشاعر للقتال حتى إنه ليقدم في المعركة وكأنه لا يريد إبقاء نفسه[٢]:

طعنتُ ابْنَ عبدِ القَيْسِ طعنهَ ثائِرٍ لها نَفَذٌ لولا الشَّعَاعُ أَضَاءَها

ملكتُ بها كَفِّي فأَنهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قائِمٌ مِنْ دُونِها ما وَرَاءَها

يَهون عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِراحُها عُيُونَ الأَواسي إذْ حَمِدْتُ بَلاءَها

وكنتُ امْرَءاً لا أَسْمَعُ الدهرَ سُبَّةٌ أُسَبُّ بِها إلا كَشَفْتُ غِطاءَها

ومن باب الافتخار بالقبيلة نجد حيان بن ربيعة يفتخر بقبيلته، فهم جادون في امرهم إذا ما لبسوا السلاح للقتال وهم يضربون الكتيبة كثيرة السلاح حتى يرجعوها القهقرى، تشهد لهم بذلك السيوف، كما أنهم هم أرباب الفصاحة والبلاغة والشعر إذا ما تنافرت الأقوام في مجالس

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢١.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٣٢-٣٣.

الشعر والأدب[١]:

لقد عَلِمَ القبائِلُ أَنّ قَوْمي ذَوُو جدٍّ إذا لُبِسَ الحَديدُ

وأنّا نِعْمَ أحلاسُ القوافِي إذَا استَعَرَ التنافُرُ والنَّشِيدُ

وأَنّا نَضرِبُ المَلْحَاءَ حتَّى تُولِّي والسُّيوفُ لنا شُهودُ.

من مظاهر الفخر والحماسة: الوعيد. فنجد أبا محرز الضبي يتوعد من يتوعده، ويقول له بأن أقل ما ينشب الحروب الوعيد، فوعيدك لا يخيفني لأن كماتنا تصطاد الرماح إذا ما حضر الوغى، وحولي جماعة قوية كالأسود، فأنا عزيز في قومي[٢]:

ألا أَيُّها المُهدي إِلَيَّ وعيدَه أَفِقْ فَأَقَلُّ الحرْبِ ضُراً وعيدُها

وإنا لَتَصْطادُ الكماةَ رِماحُنا إذا سابقاتُ الخَيْلِ زَلَّتْ لُبودُها

إذا جِئْتَ سَعْداً والرِّبابَ وجدَتني تَنَمَّرَ حَوْلي في المَحَلِّ أُسودُها

ومثل ذلك نجد ابن زيابة التيمي يرد على وعيد شخص يدعى عمراً[٣]، ومن ذلك وعيد النجاشي الحارثي والذي بعث برسالة إلى أخي خولان يهدده بها بأن الكتائب لا تهزم بالرسائل وإنما بالسيوف[٤].

ومن الشعراء من افتخر بحسبه، رابطاً بينه وبين الكرم، فهذا عمرو بن الأهتم يفتخر

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٥٣

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣-٤.

[٣] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٥-٢٦.

[٤] ابن الشجري، الحماسة الشجرية،ج١، ص٣-٤.

بأنه من صميم بني سعد، فهو ممن يعفُ فقيرها عن الطمع والخبيث، ويعطي غنيها من مالهم[١]:

إِنا بَنُو مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ   فِيْنا سُرَاةُ بَني سَعْدٍ ونَادِيهَا

جُرْثُوْمَة أُنُفٌ يَعْتَفٌّ مُقْتِرُها   عَنِ الخَبِيْثِ وَيُعْطِي الْخَيْرَ مُثْرِيها

والبَذْلُ مِنْ مُعْدَمِيها إِنْ أَلَمَّ بها   حَقٌ ولا يَشْتَكيها مَنْ يُنادِيها

وشبيه بذلك المبالغة في إكرام الضيف، فالبحتري يقرر بأنه لا يسلم ضيفه إلى الموت حتى يموت هو، أو يذهب الضيف في سبيله[٢]:

لا يسلم ابن حرة أكيله   حتى يموت أو يرى سبيله

ومن الشعراء من يذكر اعتناءه البالغ بجاره، فهو يشعر بالخزي إذا ما أكل وجاراته نحيفات طاويات لا طعام عندهن[٣]:

وِإنِّي لَأَخْزى أَنْ تُرى بِيَ بِطْنَةٌ   وجاراتُ بيتي طاوِياتٌ وَنُحَّفُ

وإِنِّي لَأُغْشِي أَبْعَدَ الحَيِّ جَفْنَتِي   إذا زَعْزَعَ ٱلأَطْنَابَ نَكْبَاُء حَرْجَفُ

ويقرر أحدهم وهو زيد الخيل الطائي بأنه لا يخون جاره بعد غيابه عن بيته، فيتعرض لزوجة الجار بسوء[٤]:

والجارُ يعلَمُ أَنِّي غَيْرُ خَاذِلِهِ   إِنْ نَابَ دَهْرٌ لعَظْمِ ٱلجَارِ يَعْتَرِقُ

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٥٣.

[٢] البحتري، الحماسة، ص٦١.

[٣] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٥٢-٥٣.

[٤] المصدر نفسه، ص٦٦.

ومنهم من يدعو إلى الحلم وتحكيم العقل في العدو، وخاصة إذا كانوا كثيري العدد. فهذا الشاعر النابغة الذبياني يدعو ابنه إلى استخدام الحكمة والتحلي بالحلم، فإن الفوارس الذين أصابوا منه يوم ما أصابوا كان ذلك لأنهم كانوا غضابا، لذا فقد لاقوك على أشدهم، ولو لم يكونوا كذلك لاستطاع أن ينتصر عليهم[١]:

فَكُنْ كأبيكَ أَوْ كَأَبي بَرارٍ   تُوافِقكَ الحُكومَةُ والصَّوابُ

ولا تَذْهَبْ بِحلْمِكِ طاخِياتٌ   مِن الخُيَلاء لَيسَ لَهُنَّ بابُ

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَناهى   إذا ما شِبْتَ أَوْ شابَ الغُرابُ

فَإِنْ تَكُنُ الفَوارِسُ يَوْمَ حِسْي   أَصابُوا مِنْ لِقائِكَ ما أصابُوا

فَلَمْ يَكُ ذاكَ مِنْ نَسَبٍ بَعيدٍ   ولَكِنْ أَدْركوكَ وَهُمْ غِضابُ

ومن الإنصاف أن يدعو الشاعر عدوه إلى السلم قبل أن تبدأ الحرب، لا عن خوف منه أو جُبن، ولكن ليبدو الشاعر في نظر عدوه حليماً، فإن أبى رماه بضرب قوي حتى تركه صريع الخيل، وهذا شأن الشاعر جثامة بن قيس الكناني مع عدوه[٢]:

أَتانِي يَشُبُّ الحَرْبَ بَيْني وبَيْنَهُ   فَقُلْتُ لَهُ: لا بَلْ هَلُمَّ إِلى السِّلْمِ

إذا أَنْتَ حَرّكْتَ الوَغَى أو شَهِدْتَها   فإنْ لم يَكُنْ قَتْلٌ فَلابُدَّ من كَلْمِ

فلما أَبَى أَرْسَلْتُ فَضْلَةَ ثَوْبِهِ   إلَيْه فَلَمْ يَرْجِعْ بِحَزْمٍ ولا عَزْمِ

وَلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوادَهُ   وَلابُدَّ أَنْ نَرْمي سَوادَ الذي يَرْمي

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٠٩.

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٠١-٢٠٣.

فَكانَ صَرِيعَ الخَيْلِ أَوّلَ شَدَّةٍ   فَبُعْداً لَهُ مُخْتارَ جَهْلٍ على عِلْمِ

وإذا كان الشاعر في أكثر أحواله يفتخر بشجاعته وبسالته، نجد بعض الشعراء يفر من المعركة، ويسوغ فراره بشدة القتال واحتدامه، فيفدي قدميه الهاربتين بأمه وخالته[١]:

فدىً لكما رِجْلَيَّ أمي وخالَتِي   غداة الكُلاب إذْ تُحَزُّ الدَّوابِرُ

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مِثْلَهُ   كَأَنِّي عُقابُ عِنْدَ تَيْمَنَ كاسِرُ.

ومن الشعراء من افتخر بفصاحته في الكلام، ويربط بينه وبين الدفاع عن قومه في المعركة[٢]، ومنهم من افتخر بقتال خيار الناس في المعركة لا أشرارهم، ومطعمي الأضياف منهم[٣] بل كبش القوم أي سيدهم ورئيسهم[٤].

المنصفات:

المنصفات هي تلك القصائد التي قالها الشعراء يصفون فيها قوة عدوهم وشجاعته وعدته وبأسه، يقول صاحب طبقات فحول الشعراء: "المنصفة: هي القصيدة التي يمدح فيها الشاعر أعداءه، ويذكر ما أوقعوه بقومه، وما أوقع قومه بهم، إنصافاً وعدلاً"[٤].

فمن ذلك منصفة العباس بن مرداس، حيث يصف فيها عدوه وشكيمته، وبالمقابل يصف شجاعته هو وشجاعة قومه، فهم يكرون ويضربون القوانس بالسيوف، أما أعداؤهم فينصبون لهم صدور الرماح والخيل للطعن بهم والقتل، إذا ما شدوا عليهم، وهم (الشاعر وقومه) يكرون عليهم الخيل

---

١ أبو تمام، الوحشيات، ص٧٧.

٢ ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٥٣-٥٤، ٢١٤.

٣ المصدر نفسه، ص٣٧.

٤ الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٤٥.

ليصرعوا منهم مثل ما صرعوا منهم، فلا ترجع الخيل إلا عوابسا[١]:

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحَيِّ حَيَاً مُصَبَّحاً ... ولاْ مِثلَنا يومَ التَقَيْنا فَوارِسا

أكرَّ وَأَحْمى لِلْحَقيقَةِ مِنْهُمُ ... وأضْرَبُ مِنّا بالسيوفِ القَوانِسا

إذا ما شَدَدْنا شدَّةً نَصَبُوا لَنا ... صدورَ المَذاكي، والرِّماحَ المداعِسا

إذا الخَيْلُ جَالَتْ عَن صَرِيعٍ نَكُرُّها ... عليهمْ فما يَرْجِعْنَ إِلّا عَوَابِسَا

ومن ذلك منصفة فَرْوَةَ بن مُسَيْك، والذي وصف بها العدو بالشجاعة وعدم الجبن وسرعة الطعن، وبيَّن فيها أن كلا الفريقين قد خضبه الدم، وقد عادت الخيل بطيئة السير من الإعياء والجهد، وفي الفريقين كان للسنان حكم فيهما[٢]:

تَجَاوَزْنا اللَّفيفَ بِمُوشِكَاتٍ ... وَزُرْنا في مَسَاكِنِها السَّكُونا

ولَاقَيْنا فَوارِسَ غَيْرَ مِيلٍ ... عِجَالِ الطَّعْنِ غَيْرِ مُعَرَّدِينا

كَأَنَّ ثَيابَنا مِنَا وَمِنْهُمْ ... خُضِبْنَ بِأُرْجُوانٍ أَوْ طُلِينا

فَآبَتْ خَيْلُنا قُطُفَاً وَفِيهُمْ ... نَوافِذَ مِنْ أَسَّنِتِنا وَفينَا

ومن ذلك منصفة المفضل العبدي، الذي يصف لقاءه مع عدوه بمكان (ذي طريف)، وكان كلا الفريقين حانقاً على الآخر ويصف مجيئهم إلى فريق الشاعر وكأنهم العارض البرد الذي يرمي البرد، أما فريق الشاعر فقد ملأ الجوانب كالسيل الذي ضاق به الطريق. فهو افتخار بكثرة العدد. ثم يصف ما رموا به عدوهم من النبل حتى كأن الحناجر والحلوق تغص به، وكأن

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٨٢.

[٢] المصدر نفسه، ص٨٢.

تقاذف الرماح بينهم جراد تحركه ريح شآمية، ثم يصف المشهد بعد انتهاء المعركة، ففي كل قرارة من قرارات الأرض يوجد بنان فتى وجمجمة مفلوقة، وكم من سيد من الطرفين بالمنطقة يشهق أو يلفظ أنفاسه الأخيرة[١]:

تَلاَقَيْنَا بِسَبْسَبِ ذِي طُرَيْفٍ	وَبَعْضُهُمُ عَلَى بَعْضٍ حَنِيقُ
فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنا	كمثْلِ السَّيْلِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ
رَمَيْنا فِي وُجُوهِهِم بَرِشْقٍ	تَغَصُّ بِهِ الحَناجِرُ وَالْحُلُوقُ
كَأَنَّ النَّبْلَ بَيْنَهُمُ جَرادٌ	تُكَفِّيهِ شآمِيَةٌ خَرِيقُ
بكُل قَرَارَةٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ	بَنَانُ فَتىً وَجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ
وكمْ مِنْ سَيِّدٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ	بِذِي الطَّرْفَاءِ مَنْطِقُهُ شَهيقُ
قَتَلْنا الحَارِثَ الوَضَّاحَ مِنْهُمْ	كَأَنَّ سَوَادَ لِمَّتِهِ الْعُذُوقُ
وَقَدْ قَتَلُوا هُمُ مِنَّا غُلَاْماً	كَرِيماً ما تَخَوَّنُهُ الْعُروقُ

ومن المنصفات أيضاً: منصفة عبد الشارق بن عبد العزى [٢] ،ومنصفة خداش بن زهير[٣] والمنصفات في كتب الحماسات قليلة.

وإذا ما تحرينا كثيراً من هذه القصائد المسماة بالمنصفات، نجدها مجانبة للعدل، ذلك أن الشاعر لم يقصد من ورائها تحري العدل والإنصاف في وصف قوة العدو وبسالته، وإنما أراد

---

[١] البحتري، حماسة البحتري، ص٦٣-٦٤.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٨٢.

[٣] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١١٦.

بيان مدى قوته هو وقوة قومه، ومدى ثباتهم في المعركة أمام عدوهم، وصبرهم على مواجهته، وأن قتاله لم يكن هيناً، بل يحتاج إلى أبطال شجعان بواسل مثلهم.

الصعلكة:

الصعلوك كما ورد في لسان العرب: "الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري ولا اعتماد .... وكان عروة بن الورد يسمى: عروة الصعاليك، لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه". [١]

أما في الاستعمال الأدبي فمن الممكن أن نعرف الصعلكة بأنها هي طائفة من الناس فقيرة تقوم حياتها على النهب والسلب والتجرد للغارات لسد حاجتها وحاجة الفقراء مثلها. وهم دائماً من العبيد أو من الموالي سواء أكانوا عبيداً أعتقوا أم خلعاء شذاذاً فقدوا صلتهم بقبائلهم[٢]، وكان شعارهم الموت ولا حياة للعبودية، والهلاك ولا التغاضي عن ظلم المجتمع لهم[٣].

وقد اشتهر من الشعراء الكثير من المتصعلكين ، ولم تخل كتب الحماسة الشعرية –قيد الدراسة– من ذكر مقطوعات لبعضهم، فمثلاً أورد ابن الشجري مقطوعات لعمرو بن براقة [٤]، ولمالك بن الريب[٥]، وبَكر بن النطاح[٦]، وعبيد الله بن الحر الجعفي[٧]، وأورد أبو تمام في ديوان حماسته للشنفرى[٨] ولجُحدر بن ضبيعة[٩] ولأبي خراش الهذلي[١٠]، وغيرهم.

---

١ ابن منظور، لسان العرب، مادة (صعلك).
٢ هدارة، محمد ، اشتراكية الشعراء الصعاليك، مجلة اقلام، بغداد، ج٢، السنة الثانية، ١٩٦٥م، ص٣١.
٣ المرجع نفسة، ص٣٥ .
٤ ابن الشجري، الحماسة الشجرية،ج١،٢١٠.
٥ المصدر نفسة، الصفحات ٧٨،٧٩،٨٠،٢٧٥ .
٦ المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٦.
٧ المصدر نفسه،ج١، الصفحات ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ٢٥٧، ٣١٦، ٣١٧
٨ أبو تمام، ديوان الحماسه، ص٨٨.
٩ المصدر نفسه، ص٩١.
١٠ المصدر نفسه، ص١٤١.

أما في الوحشيات فقد أورد مقطوعة للشنفرى[١] وأخرى لجحدر بن ضبيعة[٢] ولعبدة بن الطيب[٣] ، وأورد البحتري في حماسته لعمرو بن براقة[٤] ،والأعلم الهذلي[٥] ، وحاجر بن عوف الأزدي[٦]، أما الزوزني فقد أورد لبكر بن النطاح [٧] وجحدر بن ضبيعة [٨] وغيرهما.

وقد حدد الدكتور محمد أمين ضناوي أسباب الصعلكة بالنقاط التالية: الفقر وعدم وجود دولة جامعة لهم، وظهور زعامات غير متزنة، وعدم التوازن بين الفقر والغنى، كما أن طبيعة الأرض صحراوية قفراء[٩] ، كما حدد الدكتور يوسف خليف أسبابها بعدة عوامل منها : التفسير الجغرافي كطبيعة الحياة الصحراوية، والتفسير الاجتماعي كفقدان إحساسهم بعصبيتهم القبلية لتخلي قبائلهم عنهم، وتفسير اقتصادي إذ إن المال كان قائماً على اختلال التوازن الاقتصادي ما بين الأغنياء والفقراء[١٠].

أما صفاتهم فهي: قوة الإرادة والصبر والثبات. فالصعلوك ينهب ليطعم نفسه ويطعم الفقراء معه، كما أن نومه قليل، وهو دائماً مغامر، مستهين بالموت، يكب نفسه عليه دون أي

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص٣٨.
[٢] المصدر نفسه، ص١٨٣.
[٣] أبو تمام، الوحشيات، ص١٥٦.
[٤] البحتري، الحماسة، ص٢١، ٣٢.
[٥] المصدر نفسه، ص٥١،٥٠.
[٦] المصدر نفسه، ص٤٩-٥٠.
[٧] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٩٤،٦٥١.
[٨] المصدر نفسه، ج١، ص١٠٧.
[٩] انظر ضناوي، محمد أمين، أمر الصعاليك في الجاهلية، لصوص أم رواد ثورة اجتماعية، دار الشرق الأوسط، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٧م، ص٦١-٧٠.
[١٠] انظر خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص٦٠-١٣٦

اعتبار، ذو حذر دائم ويقظة مستمرة، كما أنه معتاد على الجري [١].

فهذا تأبط شراً ينفي عن نفسه الضعف حتى بعدما كبر وشاخ، ويقرر أنه لم يكن في يوم ضعيفاً مرتعش الساق عند الجري، وأثناء المعركة إذا ما واجه جماعة الرجال فإنه يهلك الخيل بسيره حتى يكسو هواديها من غبار المعركة .

ويشبهها وحاله معها بحمر الوحش[٢] :

تَقولُ سُلَيْمى لِجاراتِها   أَرَى ثَابتاً يَفَنَا حَوْقَلا

لَها الَوْيلُ ما وَجَدُوا ثَابِتاً   أَلَفَّ الَيَديْنِ ولا زُمَّلا

ولا رَعِشِض الْسّاقِ عِنْدَ الجِراءِ   إِذا بَادَرَ الحَمْلَةُ الهَيْضَلا

كما أنه يثبت عزيمته إذا ما همَّ بأمر، فهو يفعل ما يقول:

وكنتُ إِذا ما هممْتُ اعْتَزَمْتُ   وَأَحْرِ إِذا قُلْتُ أَنْ أَفْعلا

ويصف أبو كبير الهذلي في مقطوعة له تأبط شراً، فيخبرنا بأنه قليل النوم، فإذا ما نام انتبه سريعاً حتى إنك إذا ما رميته بحصاة انتبه وإذا هب من نومه، فإنه يهب منتصباً نشيطاً، سريع الولوج في الفجاج والصحارى، كما انه صعبٌ في المواجهة، ماضي العزيمة، يحمي أصحابه في حالة الشدة، ويعاملهم معاملة الأولاد في حالة الرخاء (بأن يعطيهم من غنيمته) [٣]:

وَإِذا نَبَذْتَ لَهُ الحَصَاةَ رَأَيْتهُ   يَنْزو لِوَقْعَتِها طُمُورَ الأَخْيَلِ

---

١ انظر ضناوي، محمد، أمر الصعاليك في الجاهلية، ص٦٨-٧٠.

٢ ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٧٧-١٨٠.

٣ أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٨.

وَإِذا يَهُبُّ مِنَ المَنَامِ رَأَيْتَهُ   كَرُتُوب عَظْم الساقِ لَيْسَ بِزُمَّلِ

ما إِنْ يَمَسُّ الأرضَ إِلَّا مَنْكِبٌ   مِنْهُ وَحَرْفُ الساقِ طيَّ المِحْمَلِ

وإِذا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجاجِ رأيْتَهُ   يَهْوِي مَخَارِمَها هُوِيَّ الأَجْدَلِ

صَعْبُ الكَرِيهةِ لا يُرام جَنابُهُ   ماضي العزيمةِ كالحُسَامِ المَقْصَلِ

يَحْمِي الصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيهةٌ   وإِذَا هُمُ نَزَلُوا فَمَأْوَى العُيَّلِ

الحوادث والحروب :

لقد كان العرب يؤرخون حوادثهم وأيامهم مع أعدائهم، ويقولونها شعراً، ونثراً. فالشعر هو ديوان العرب الذي يضم الكثير مما حدث للعرب من حوادث في حالة النصر أو الهزيمة. فإذا ما انتصروا على عدوهم افتخروا بذلك في أشعارهم وأبدوا حماسهم وقوتهم وشجاعتهم، أما إذا ما انكسروا، فإن الحماسة تدب بهم من خلال تحسرهم وتفجعهم لما حدث لهم، وأن ما حدث يجب ألا يتكرر معهم، وأن عليهم أن يتحلوا بالصبر وأن يكونوا أشد قوة ومتانة فيهزموا عدوهم كما هزمهم.

فمن وقائع العرب التي تغنوا بها في انتصاراتهم، ما جرى بين العرب والفرس، فالأعشى اعتز بانتصار العرب على الفرس في إحدى حروبهم معهم، حتى أنهم ضربوا سيدهم "الهامرز" حتى ألقوه صريعاً، هذا على كثرة عددهم، حتى كأن قلنسواتهم كالنجوم اللامعة المتدلية من كثرتهم، وقد أتوا بفرسانهم إلى أرض المعركة وهم باذخون متباهون بأنفسهم، فثاروا

ضد العرب، وثار ضدهم العرب، فجرعوهم كأساً من الموت(١):

فِدىً لبني ذُهْل بنِ شَيْبانَ ناقتي ... وراكِبُها يومَ اللِّقاءِ وقَلَّتِ

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنو حِنْوِ قُراقِر ... مُقَدِّمَةَ الهَامَرْزِ حَتَّى تَولَّتِ

فلِلّهِ عَيْناً مَنْ رَأى من عِصابةٍ ... أَشَّد إِذا خَامَ الكماةُ مِن الَّتي

أَتَتْنا مِن البَطْحاءِ يَبْرُقُ بَيْضُها ... وَقَدَ بَذَخَتْ فُرْسانُها وأَدلَّتِ

فثارُوا وَثُرْنا والمنيةُ بَيْنَنا ... وهاجَتْ علينا هَبْوَةٌ فَتَجَلَّتِ

نُحاسيهُمُ كَأْساً من الموتِ مُرَّةً ... وقَدْ رُفِعَتْ راياتُهُمْ فاستَقَلَّتِ

بأيديهُمُ البِيضُ الخِفافُ وَفَوْقَهُمْ ... من البِيضِ أَمْثالُ النجومِ تَدَلَّتِ

فَمَرّ على الهامَرْزِ وَسْطَ بُيوتِنا ... شآبيبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ فاستَهَلَّتِ

لَعَمْرُكَ ما شَفَّ الفَتى مِثْلُ هَمِّهِ ... إذا حاجةٌ بين الحيازِيمِ حَلَّتِ

ويصف إياس بن مالك حرب المسلمين مع الخوارج، فقد ذهبوا إلى قتال الحروريين منهم، وقد توعدهم الأعراب والمهاجرون، وجمعوا لهم جيشاً ضخماً، واستعملوا فيهم الرماح والسيوف، وكانت حرباً شديدة حتى قُتل من قُتل وسُلب من سُلب، فيصف شجاعة المسلمين في المعركة، حيث لم تكل أيديهم ولم تنثن رماحهم(٢):

سَمَوْنا إلى جَيْشِ الحَرُورِيّ بعدَما ... تَنَاذَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَالمُهَاجِرُ

---

(١) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٥٧-١٥٩.

(٢) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٠٦.

بجمعٍ تظَلُّ الأُكْمُ سَاجِدَةً لَهُ ... وأعلامُ سَلْمَى والهِضابُ النَّوادِرُ

أَنَخْنا إليهِمْ مِثْلَهُنَّ وزادُنا ... جِيادُ السُّيوفِ والرِّماحُ الخواطِرُ

فلم أرَ يوماً كانَ أكثر سَالِباً ... وَمُسْتَلِباً سِرْبالَهُ لا يُناكِرُ

وَأَكْثَرَ مِنَّا يافِعاً يبتغي العُلا ... يُضارُب قِرْناً دارِعاً وهْوَ حَاسِرُ

فما كَلَّتِ ٱلأَيْدِي ولا انأطَرَ القنا ... ولا عَثَرتْ منَّا الجُدُودُ العَواثِرُ

ويفتخر الشاعر عبد الله بن سبرة بقتله لملك الروم (أطربون) بعد أن قطع هذا يده[١]، كما يفتخر الشاعر الحارث بن ظالم المري بشجاعته في معركة (ذي الحيات) حيث علا رأس عدوه بالسيف وفتك به فتكاً شديداً[٢] ، ويذكر شاعر آخر (أبو مسلم الخراساني) سعيه في إنهاء دولة بني مروان على يديه، حيث استغل رقدتهم بالشام وغفلتهم، فضربهم وقاتلهم حتى انتبهوا على حين غرة، وكانت النتيجة قيام دولة بني العباس[٣] .

مما تقدم يتضح أن كتب الحماسات الشعرية تناولت فن "الحرب" والحماسة والفخر في شعرها، فتناولت افتخار العرب ببطولاتها وفروسيتها، ونخوتها ونجدتها وكرمها وجودها، كما أن جميع كتب المختارات الشعرية –قيد الدراسة– تناولت المنصفات في شيء من الذكر، ولم تغفل الصعاليك من الشعراء، فأنبأتنا عن أخبارهم وتحركاتهم وتحولاتهم من خلال شعرهم.

بقي أن نقول بأن هذا الغرض اتخذ الحيز الأكبر من كتب الحماسات بالنسبة لحجم الكتاب الواحد، إذ أنه أهم أغراضها، بل سميت كتب الحماسات نسبة إليها، فهي الغرض الأول

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص٢٥–٢٦.

[٢] البحتري، الحماسة، ص١٩.

[٣] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٢٨.

الذي يهدف إلى تعليم الناشئة حب الفروسية والبطولة، ويحثهم على مكارم الأخلاق من خلال الكرم والنجدة والغوث والوفاء بالعهد إلى غير ذلك مما تضمنته مقطوعات الشعراء داخل هذه الكتب، وغيرها من كتب الحماسات الشعرية.

ثانياً: الرثاء

جاء في لسان العرب "رثى فلان فلانا يرثيه رثياً ومرثيةً بكاه بعد موته ... ورثيتُ الميت رثياً ورثاء: مدحته بعد الموت وبكيته. ورثوت الميت أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً"[١]، نستنتج من ذلك أن الرثاء يعني: بكاء الميت وتعديد محاسنه وصفاته الحميدة.

ومن الممكن أن نقسم الرثاء الشعري في كتب الحماسات –قيد الدراسة– إلى الأقسام التالية:–

أ - رثاء الأهل.

ب -رثاء الأقارب.

ج - رثاء الأبطال في المعركة.

د - رثاء الملوك والخلفاء والقادة.

ه - رثاء النفس.

و - زاد الزوزني في حماسته "حماسة الظرفاء" رثاء يد قطعت من صاحبها، ورثاء حيوان كهر ورثاء بعض أنواع الجمادات كرثاء سطل أو أشياء معنوية كرثاء العلم أو الأمانة وأداء الحقوق وسنتحدث عن هذه الأنواع في شيء بسيط من التفصيل.

رثـــاء الأهــل :

كرثاء الإخوة والأخوات، والإبن. ونمثل على رثاء الأخ رثاء الشاعرات لأخوتهن كالخنساء وفارعة بنت شداد.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة (رثى).

فمن ذلك رثاء فارعة بنت شداد لأخيها مسعود، حين وقع في أسر (جرم)، ولم يسقوه حتى مات عطشاً. فتقول مخاطبة لهم:- هلا أمهلتموه حتى شرب. وتصفه بأنه كان يشهد الأندية، ويرفع الألوية في الحروب أي يقود الشجعان في المعركة، كما أنه يسد أبواب الشر إذا ما فتحت، ويفتح باباً آخر من الشر، ونقصد بذلك قتاله لعدوه وعدم نكوصه عنه، كما تصفه بالكرم، فهو ينحر النوق للجياع، ويقتل الطاغية، ويفك الأسارى، كما تصفه بأنه مقوال في الخطب، ومفرج للملمات[١] :-

هَلَّا سَقَيْتُمْ بني جَرْمٍ أَسِيرَكُمُ   نفسي فِداؤُكَ من ذي غُلَّةٍ صادي

شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ، رَفَّاعُ أَلوِيَةٍ   سَدَّادُ أَوْهِيَةٍ، فَتَّاح أَسْدادِ

نَحَّارُ راغِيَةٍ، قَتَّالُ طاغِيَةٍ   حَلَّالُ رابِيَةٍ، فَكَّاكُ أَقْيادِ

قَوَّالُ مُحْكَمَةٍ، نَقَّاضُ مُبْرَمَةٍ   فَرَّاج مُبْهَمَةٍ، طَلّاعُ أَنْجادِ

ويتضح من الأبيات صدق قائلتها، من خلال استخدامها لأساليب صيغ المبالغة المنتشرة بكثرة في الأبيات، ويشبه هذا بيتاً لسعدى بنت الشمردل من أبيات قالتها في رثاء أخيها سعد وهو[٢] :

جوَّابُ أَوديةٍ بِغَيْرِ صَحابةٍ   كَشَّافُ أَرْدِيَةِ الظّلامِ مُشَيَّعُ

وهذه قد وردت في الحماسة (٢٣٤)، من الحماسة الشجرية في حين أن أبيات المقطوعة الأولى وردت في الحماسة (٢٣٢) من نفس الكتاب، مما يدل على توارد الخواطر وتداعي

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٠٤-٣٠٥.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٦

الأفكار في جلب ابن الشجري للمقطوعتين في رقمين متقاربين.

ومن ذلك رثاء الخنساء لأخيها معاوية، فتقرن في ذكره عدة صفات له كالحمد الذي يتحلى به والجود والصدق، إذا خاف قرنه في المعركة فربما يعفو عنه ويصدق في العفو[1]:

فَالحَمْدُ حُلَّتُهُ وَالجُودُ حِلْيَتُهُ   وَالصِّدْقُ حَوْزَتُهُ إِنْ قِرْنُهُ هَابَا

كما أنه يحمل الألوية، فهو قائد لقومه، كما أنه يشهد مشورات قومه، فلا يتشاورون دونه، ويقطع الفيافي ترحالاً وسفراً، وهذا مما افتخرت به العرب قديماً، كما أنه يطلب ثأره إن وتر أناساً في أهله وقومه:

خَطَّابُ مَعْضِلَةٍ فَرَّاجُ مُظْلِمَةٍ   إِنْ هَابَ مُفْظِعَةً أَتَّى لَهَا بَابَا

حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ شَهَّادُ أَنْجِيَةٍ   قطَّاع أَوْدِيَةٍ لِلْوِتْرِ طَلَّابَا

ويبدو أن البحتري هو صاحب السبق في الإتيان بشعر يحمل مثل هذه الصيغ البلاغية التي تهدف إلى المبالغة، وكثرة الفواصل بين السجع، وأن ابن الشجري مقلد له.

رثــــاء الأقـــارب:

يرثي رجل من بني هلال ابن عم له، فيصفه بحسن النسب وخلوصه، فهو من أبناء المحصنات اللواتي يعرفن كيف يربين أبناءهن[2]:

بَنِي المَحْصَنَاتِ الغُرِّ مِنْ آلِ مالِكٍ   يُرَبِّيْنَ أَوْلاداً لِخَيْرِ حَلِيلِ

---

[1] البحتري، الحماسة، ص٣١٩.

[2] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٩١-١٩٢.

رثـــاء الأبـــطـــال:

من ذلك رثاء الأشهب بن رميلة لمَجَّاعَةَ بن نشبة، فيصفه بالشجاعة في الحروب، والقوة في الشدة، وبأنه يصل خليله، ويحفظ السر[١]:

فلا يُبْعَدِنْكَ اللهُ مِنْ ذي حَفيظَةٍ   وذي ساعِدٍ عَبْلٍ إذا حَزَبَ الأَمْرُ

فَقَدْ كُنْتَ وَصَّالَ الخليلِ وإن نَأَى   أَميناً إذا ما السِّرُّ أَسْلَمَهُ الصّدْرُ

شَدَدْتَ فَلَمْ تَنْكُلْ كما شَدَّ خادِرٌ   مِن الأُسْدِ وَرْدٌ لا يُنَهْنُهِهُ الزَّجْرُ

ويقرن دريد بن الصمة في رثائه بين وصف مرثيه بالشجاعة وعدم الجبن وبكرم ضيفه في الجدب، كما أنه في نظره غير طائش أي (إن رمى أصاب)، غير برم، كما أنه مجد في أموره كلها، وضامر البطن لأنه يؤثر بزاده غيره، فهو ينفق من ماله[٢]:

فإِنْ يَكُ عبدُ اللهِ خَلَّى مَكَانَهُ   فما كانَ وَقَّافاً ولا طائِشَ اليَدِ

ولا بَرَماً إذا الرماحُ تَنَاوَحَتْ   بِرَطْبِ العِضَاهِ والهَشيمِ المُعَضَّدِ

كَميشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصفُ ساقِهِ   بَعيدٌ مِنَ الآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

تَراهُ خَميصَ البَطْنِ والزَّادُ حَاضِرٌ   عَتِيدٌ ويَغْدُو في القَمِيصِ المُقَدَّدِ

وإنْ مَسَّهُ الإِقْواءُ والجَهْدُ زَادَهُ   سَماحاً وإِتْلافاً لِما كانَ في اليَدِ

ويرثي شاعر آخر شخصاً يقال له الأسدي في مرثيه أداء الأمانة والحقوق ورعي الذمة

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٩٩.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٤٤-١٤٦.

كما يرثي فيه علو منزلته[١]:

هَلْ يَنْفَعَنَّكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ   فِيهَا أَدَاءُ أَمَانَة وَحقُوقُ

ذَهَبَتْ بِكَ الأَيَّامُ عُلْواً بَعْدَما   كانَتْ بِكَ الأَرْضُ الفَضَاءُ تَضِيقُ

حتَّى السماءِ فَكُنْتَ قُرْبَ نُجومها   ولَئِنْ بَلَغْتَ نُجُومَها لَحَقيقُ

رثـــاء الخلفـــاء أو الملـــوك:

ونجد هناك من الشعراء من رثى الخلفاء أو الملوك، فهذا الشماخ يرثي الخليفة عمر بن الخطاب، فيدعو الله أن يجزيه خيراً ويبارك في جسده الممزق من أثر طعنات السيوف، وقد مات وترك وراءه دواهي مخبأة وفتناً كثيرة، بعد أن كان قد نظم شمل الأمة[٢]:

جَزَى اللهُ خَيْراً مِنْ أَميرٍ وبارَكَتْ   يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَديمِ الممزَّقِ

فَمَنْ يَسْعَ أو يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ   لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأَمْسِ يُسْبَقِ

قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غادَرْتَ بَعْدَها   بَوائِجَ في أَكْمامِها لم تُفَتَّقِ

ويرثي أبو نواس الأمين مؤكداً حبه له وخشيته عليه من الموت حتى إذا حضر القدر وكان لا مفر منه[٣]:

طوى المَوْتُ ما بَيْني وبَيْنَ مُحَمَّدٍ   ولَيْسَ لِما تطوي المَنِيَّةُ ناشِرُ

لَئِنْ عَمَرَتْ دارٌ بِمَنْ لا أُحِبُّهُ   لَقَدْ عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ المقابِرُ

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص١٥٠.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٩٨.

[٣] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٣٥-٣٣٦.

وكنتُ عليهِ أَحْذَرُ المَوْتَ وَحْدَهُ   فلم يَبْقَ لي شيءٌ علَيهِ أُحاذرُ

ومن رثاء الملوك نجد رثاء أمرئ القيس لملوك كندة عندما قتلهم المنذر حيث يقول[١]:

أَلا يَا عَيْنُ بَكي لِي شَنِينَا   وَبَكِّي لِي المُلُوكَ الَّذاهِبِينَا

مُلُوكًا مِنْ بَنِي حُجْر بْنِ عَمْرٍو   يُسَاقُونَ العَشِيَّةَ يُقْتَلُونَا

فَلَوْ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ أُصِيبُوا   ولَكِنْ فِي دِيارِ بَنِي مَرِينَا

تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ   فَتَنْتَزِعُ الحَواجِبَ والعَيَونَا

ومن غريب الرثاء : رثاء جرير للفرزدق بعد موته، فيخبر بأنه قد مات بعد أن أشبعته هجاءً، وكان يتمنى لو عاش قليلاً، ويصفه بأنه حامل للديات عن غيره كما أنه يحمي عرض تميم[٢]:

ماتَ الفَرَزْدَقُ بَعدَما جَدَّعْتُهُ   لَيْتَ الفَرَزْدَقَ كان عاشَ قليلا

وقد قال بعدها :

فُجِعْنا بحمَّالِ الدِّياتِ ابنِ غالبِ   وحامي تميمٍ عِرْضها والمراجِمِ

ويمكن لنا أن نفسر هذه الظاهرة، بأن الهجاء الذي كان قيد أولا بين المثلث الأموي – الفرزدق وجرير والأخطل– لم يكن هجاءً حقيقياً أو مقصوداً لذاته، وإنما كان على سبيل المداعبة، والتنافر في الوصول إلى أشد أنواع الهجاء إقناعاً، أي المهارة في فن الهجاء والسب، وذلك إظهاراً للقدرة على ذلك ليس أكثر، وإلا كان أقلها داعياً إلى الحرب والقتال.

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٢١.

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٣١-٣٣٢.

ومما تميزت به كتب الحماسات رثاء الشاعرات لأحبائهن فهذه ليلى الأخيلية تتجرأ على رثاء حبيبها توبة، فتصفه بكثرة السفر والترحال، وهو في سفره يؤثر أصحابه بأن يفرش لهم الأبراد الرقاق كي يجلسوا عليها، وهو ضامر البطن لأنه يؤثر بطعامه غيره من الجياع، فهو يطعمهم حتى إنه ليفرق بين الناقة وولدها، كما تصفه بالرفعة والسناء والحياء، فهو أشد حياء من الفتاة العذراء، كما أنه جريء، فهو أشد جرأة من الليث(١):

كَأَنَّ فَتى الفِتيانِ تَوْبَةَ لمُ ينخْ	قَلائِصَ يَفْحَصْنَ الحَصا بالكراكِرِ
ولَمْ يَبْنِ أَبراداً رِقاقاً لفتيةٍ	كِرامٍ ورَجْلٍ قَيَّلُوا في الهواجِرِ
ولَمْ يَتَجلَّ الصُّبْحُ عَنْهُ وبَطْنُهُ	لَطيفٌ كطَيِّ السِّبِّ لَيْسَ بِحادِرِ
فَتَىً لا تَراهُ النَّابُ إِلفاً لِسَقْبِها	إِذا أَجْحَفَتْ بالنَّاسِ إِحْدى الكبائِرِ
فَتىً كانَ لِلْمَوْلى سَناءً ورِفْعةً	ولِلطّارِقِ السَّاري قِرىً غَيْرَ فاتِرِ
فَتىً كانَ أَحْيا مِنْ فَتاةٍ حَيِيَّةٍ	وَأَجْرَأَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانَ خادِرِ

وتتضح صدق العاطفة في تكرار لفظة "فتى" ثلاث مرات في ثلاثة أبيات متوالية، وفي صيغ التفضيل في البيت الأخير (أحيا، أجرأ)، وبتسميته "فتى الفتيان" على سبيل المبالغة، إضافة إلى الصفات الحسنة التي أطلقتها عليه.

رثــاء النــفس:

ومن الشعراء من رثى نفسه قبل موته ، ويشكل هذا النوع من الرثاء أصدق أنواع

---

(١) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣١١-٣١٤.

الرثاء عاطفة، وأشدها لوعة وحرارة، فالنفس هي أغلى ما يملك الإنسان، وخاصة إذا عرف الإنسان أنه مقبل على مصير مجهول.

فهذا الشاعر لبيد يرثي نفسه، حين رأى نفسه مقبلاً على الموت، فيخبرنا بأن ابنتيه تتمنيان له أن يعيش، ولكن الموت يعم الجميع حتى ربيعة ومضر اللذين منهما الشاعر، فتقوم ابنتاه باكيتين على أبيهما، فيوصيهما هو بدوره بألا يخمشان وجهاً ولا يحلقان شعراً بعده، وأن تندباه بصفاته الحسنة. فهو كما يخبر عن نفسه لم يضع صديقه، ولم يخن خليله، ولم يغدر، فهو يطلب من ابنتيه أن تندباه حولاً كاملاً بهذه الصفات، وبعد الحول عليهما أن ينسياه[١]:

تَمَنَّى ابْنَتايَ أَنْ يَعْيشَ أَبوهُما   وَما أَنا إِلّا مِنْ رَبيعَةَ أَوْ مُضَرْ

وَنائِحَتانِ تَنْدُبانِ بِعاقِلٍ   أَخِي ثِقَة لا عَيْنَ مِنْهُ وَلا أَثَرْ

فَقُوْما فَقُولا بِالَّذي قَدْ عَلِمْتُما   فَلا تَخْمِشا وَجْهاً ولا تَحْلِقا شَعَرْ

وَقُولا هُوَ المَيْتُ الذِي لا صَدِيقَهُ   أَضاعَ ولا خَانَ الخَلِيلَ ولا غَدَرْ

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما   ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

وقد تميزت حماسة الظرفاء بأن تضمنت رثاءً لعضو من أعضاء الجسم، وهو اليد، فابن مقلة يرثي يده عندما قطعت، فليس بعد قطع اليد اليمنى لذة عيش، ويتمنى الموت[٢]:

مَا سَئِمْتُ الحَيَاةَ لَكِنْ تَرَفَّقْ   تُ بِأَيْمَانِهِمْ فَبَانَتْ يَمِينِي

بِعْتُ دِينِي لَهُمْ بِدُنْيَايَ حَتَّى   حَرَمونِي دُنْيَاهُمُ بَعْدَ دِينِي

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص١٥٤.

[٢] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٥٢.

لَيْسَ بَعْدَ اليَمِينِ لَذَّةُ عَيْشٍ   يَا حَيَاتِي بَانَتْ يَمِينِي فَبِينِي

ومما ضمنه الزوزني حماسته أيضاً رثاء المتاع، فهناك أعرابي رثى سطله[١]، وأيضاً رثاء الحيوان، فهناك مرثية هرة لابن العلاف[٢]، كما أن هناك رثاء لأهل العلم عامة[٣]. وتتسم رثاء المتاع ورثاء الحيوان بعدم الصدق في العاطفة، وبرود الإحساس، كما ضمن الزوزني حماسته بما وجده أو سمعه من أشعار مكتوبة على جدران المقابر، تتضمن رثاء لصاحبها، أو حكماً عن الموت بشكل عام[٤].

كما ضمن حماسته بما سماه "مقلوب الرثاء"، أي هجو الميت وذكره غيبةً، بدلاً من ندبه وذكر محاسنه فمن ذلك قول أبي بكر الخوارزمي[٥]:

مَاتَ أَبُو سَهْلٍ فَوَاحَسْرَتَا   إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ مُذْ جُمْعَةْ

وَحَسْرَةٌ أُخْرَى بِأَنْ لَمْ يَمُتْ   بِمَوتِهِ مِنْ أَهْلِهِ تِسْعَةْ

مُصِيبَةٌ لَا غَفَرَ اللهُ لِي   إِنْ أَنا أَذْرَيْتُ لَهَا دَمْعَةْ

ومن ذلك قول المتنبي[٦]:

قَالُوا لَنَا مَاتَ إِسْحَقُ فَقُلْتُ لَهُمْ   هَذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِن الحُمُقِ

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتَهُ   خَوْنَ الصَّدِيقِ ودَسَّ الغَدْرِ فِي المَلَقِ

---

١ الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٥٢.
٢ المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦.
٣ المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٦.
٤ أنظر مثلاً الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٩٥و ١٩٨.
٥ المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٨.
٦ المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٩.

وهي تمثل نوعاً من الشماتة في المرثي، وبعضها جاء على سبيل المداعبة.

أما العادات التي وجدت في أشعار الرثاء، فمنها النياحة على الميت أو البكاء عليه مع شق الجيوب ولطم الخدود، وهذا ما حدث مع أبي عطاء السندي حيث قتل ابن هبيرة، وسمع بمقتله، فلم ترق عينه من البكاء[١]:

أَلا إِنّ عَيْناً لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ   علْيك بِجاري دَمْعِها لَجَمُودُ

عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحاتُ وَشُقِّقَتْ   جُيوبٌ بِأَيْدي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ

ومن عاداتهم: الوقوف على القبر، كما فعل أرطأة بن سهية، فقد وقف على قبر مرثيه ابن ليلى دون جزع أو بكاء، فالدهر لا يعتبه أحد[٢]:

وقفتُ على قبرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ   وُقُوفي عليهِ غيرَ مَبْكيً ومَجْزَعِ

عن الدهرِ فاصفحْ إنَّهُ غيرُ مُعْتِبٍ   وفي غيرِ ما قد وارتِ الأرضُ فاطْمَعِ

ومن ذلك الدعاء للميت بأن يصلي الله عليه، فهذا مويلك المزعوم يدعو الله بأن يصلي على زوجته بعد ان تركته وخلفت ابنة صغيرة وراءها[٣]:

صلَّى عليكِ اللهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ   إِذْ لا يُلائِمُكِ المكانُ البَلْقَعُ

فلقدْ تَرَكْتِ صَغِيرةً مَرْحُومَةً   لمْ تَدْرِ ما جَزَعٌ عليكِ فَتَجْزَعُ

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٤٣. انظر لطم الخدود في قول حارثة بن العبيد: الوحشيات، ص١٢٨.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٥٩.

[٣] المصدر نفسه، ص١٦١.

ومن العادات أيضاً : طلب السقيا للقبر[١] وعقر الناقة عنده، فحفص بن الأحنف كاد أن يعقر ناقته على قبر مرثيه لولا حاجته بها في السفر والترحال[٢]:

لاَ يْبعَدَنَّ رَبِيعَةُ بْنَ مُكَدَّمٍ — وسَقَى الغَوَادِي قَبْرُهُ بِذَنُوبِ

لا تَنْفِرِي يا ناقُ منهُ فإِنَّهُ — شرِّيبٌ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبٍ

لَوْلا السِّفارُ وبُعْدُ حَرْقٍ مَهْمَهٍ — لَتَركْتُها تَحْبُو على العُرْقُوبِ

ومن العادات الإسلامية: الدعاء للميت. فأحد الشعراء يدعو لميته بأن يجزيه الله خيراً، وأن يعفو عنه إن أذنب[٣]:

فيا جازِيَ الفِتْيانِ بالنِّعَمِ اجْزِهِ — بِنُعْماهُ نُعْمَى واعْفُ إِنْ كانَ مُجْرِماً

وقد ورد ذكر الهامة في شعر قرارة بن غوية، حيث قال[٤]:

ألا لَيْتَ شِعري ما يَقُولَنْ مُخَارِقٌ — إذا جاوبَ الْهامُ المُصَيَّحُ هامتي

وَدُلِّيتُ في زَوْرَاءَ يُسْقى تُرابُها — عليَّ طويلاً في ذَراها إقامَتي

ومن العادات: ندب الميت، محمد بن بشير يشير إلى أن بنات مرثيه أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة يندبنه، وهن صوادق في ذلك[٥]:

وَقَدْ عَلِمَ الأقوامُ أَنَّ بَناتِهِ — صَوادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وقواصِرُ

---

[١] انظر طلب السقيا للقبر في رثاء الخنساء لأخيها صخر، البحتري، حماسة البحتري، ص٣١٧-٣١٨.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٦٢.

[٣] المصدر نفسه، ص١٧٥.

[٤] المصدر نفسه، ص١٨١.

[٥] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٨٦. انظر أيضاً قول مسلم بن الوليد في الوحشيات، ص١٣٥.

بعد دراستنا لفن الرثاء في كتب الحماسات –قيد الدراسة– تبين لنا ما يلي:

- تنوع الرثاء ما بين رثاء النفس ورثاء الأهل والأقارب والأصدقاء، ورثاء الأبطال ورثاء القادة والخلفاء والملوك.
- أضاف الزوزني إضافة إلى الأنواع السابقة: رثاء سطل ورثاء هرة، ورثاء يد قطعت من صاحبها. ورثاء لأهل العلم قاطبة وهذه ميزة امتاز بها الزوزني يجب أن تذكر له.
- مما امتاز به الزوزني أيضاً إتيانه لما سمّاه ب "مقلوب الرثاء" وهو الشماتة في الميت والدعاء عليه وذكر مساوئه بدلاً من ندبه وذكر محاسنه، قصد الشاعر بذلك الشماتة حقيقة أو على سبيل المداعبة.
- يعد الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية تعبيراً عن النفس، وأشدها لوعة وتحسراً، لأنها نابعة من القلب إلا ما ورد على سبيل التهكم، كرثاء السطل والهر عند الزوزني ويعد رثاء النفس من أصدقها عاطفة، وأكثرها تفجعاً.
- لم ينس أصحاب الحماسات ذكر رثاء الشاعرات لإخوانهن أو أزواجهن، ويتضح من خلال هذا الرثاء صدق صاحباتهن الشاعرات، وقوة أسرهن في الشعر، وشدة لوعتهن على صاحبهن.
- ومن ذلك رثاء الشاعرات لأحبائهن كرثاء ليلى الأخيلية لتوبة بن الحمير، ورثاء الخنساء لأخيها صخر، ورثاء ليلى بنت طريف لأخيها الوليد.
- ورد في كتب الحماسات الشعرية أيضاً بعض العادات التي استخدمها الشعراء للتعبير عن حبه لميته كالدعاء له وطلب السقيا لقبره، والوقوف على قبره وعقر الناقة عنده، وذكر الهامة، إضافة إلى البكاء والنياحة أحياناً من النساء.

ثالثاً: المديح:

ذكر ابن منظور في لسان العرب أن المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء ... فلان يتمدح: إذا كان يقرّظ نفسه ويثني عليها[١]. إذن فالمديح يعني : حسن الثناء على الممدوح وذكر خصاله الحميدة.

وقد تنوعت صور المديح، فهناك مديح للكرم والجود، وهناك مديح للشجاعة، وآخر لحفظ العهد وعدم الغدر، والوفاء بالجار، والحلم، وإطعام الضيف وغيرها.

ومن أنواع المديح : مديح القبيلة، فالقبيلة التي ينتمي إليها الشاعر إن مدحها كأنه يمدح ذاته، لأنه منها. وهي مصدر فخر له أيضاً. ومن ذلك مديح الفرسان في المعركة، ومديح الخلفاء والقادة والسلاطين، وسنمثل هنا على كل نوع من هذه الأنواع.

أولاً: المـــديح القـــبلي:

أما المديح القبلي فهو لا يخرج عن باب الافتخار كما قلنا ، فهو يختلط بفن الحماسة والفخر الذين تحدثنا عنهما في موضعها السابق، ويشكل الافتخار بالقبيلة أكثر تمركزاً في الشعر الجاهلي، فالجاهلي أكثر تعصباً لقبيلته والذود عنها، وذكر خصالها الحميدة.

فهذا عمرو بن معد يكرب يمدح في قبيلته شجاعتها ثم يقرر بأنهم لا يقتلون شرار الناس في الحرب، بل يسمون إلى قتل خيارهم وصالحيهم من مطعمي الأضياف والسادة والشجعان، وذلك أبلغ في غيظ العدو، والانتقام منه[٢]:

---

[١] ابن منظور لسان العرب، مادة (مدح).

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٧.

فَلَمْ نَقْتُلْ شِرارَهُمُ ولكنْ قَتَلْنا الصّالحِينَ ذوي السّلاحِ

قَتَلْنا مُطْعِمَ الأضيافِ مِنْهُمْ وأصحابَ الكريهةِ والْصَّبّاحِ

ويمدح آخر كرم قومه فهم يطعمون الضيف، ويمنعون الجارة من الضيم، إضافة إلى البأس في الحروب[١]:

إنّي مِنَ القَوْمِ الذينَ إذا انْتَدَوا بَدَؤُوا بِحَقِّ الله ثُمَّ النائِلِ

المانِعينَ من الخَنا جاراتِهِمْ والحاشِدِينَ على طَعامِ النازِلِ

والعاطفينَ على ألمضافِ خُيولَهُمْ والمُلْحِقِينَ سُيوفَهُمْ بالنّابِلِ

ويمدح أحدهم في قومه جدتهم في أمرهم إذا ما لبسوا السلاح للقتال، فهم يضربون الكتيبة كثيرة السلاح حتى يرجعوها القهقرى، تشهد لهم بذلك السيوف، كما أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة والشعر في مجالس الشعر والأدب والتنافر[٢]:

لقد عَلِمَ القبائِلُ أَنّ قَوْمِي ذَوُو جِدٍّ إذا لُبِسَ الحَديدُ

وأنّا نِعْمَ أحلاسُ القوافِي إذَا اسْتَعَرَ التّنَافُرُ والنَّشِيدُ

وأنا نضرب الملحاء حتى تولّي والسيوف لنا شهود

ثانياً: مديح الملوك:

في هذا النوع من المديح، نجد الشاعر المادح كثيراً ما يركز على صفتي الكرم

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢١٣

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٥٣.

والشجاعة، فالشعر هو وسيلة للتكسب وطلب العطاء وبعضه يكون صادقاً نابعاً من القلب إذا أسدى الممدوح للشاعر معروفاً.

فالأخطل يمدح يزيداً بعد أن حماه من النعمان بن بشير حين هجا الأخطل الأنصار، فهو قد أطفأ نار النعمان عنه ودافع عن الشاعر والممدوح في نظره ممن لا ينقضون عهداً، وهو شديد القوة، من أبناء الملوك الذين يعطون العطاء، ذو سؤدد عظيم(١):

أبا خَالدٍ(٢) دَافَعْتَ عَنِّي عَظيمةً ... وَأَدْرَكْتَ لَحْمي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدا

وَأَطْفَأْتَ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَما ... أَعَدَّ لِأَمْرٍ حازِمٍ وَتَجَرَّدا

ولَمّا رأَى النُّعْمانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ ... طَوَى الكَشْحَ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْني وَعَرَّدا

وَلاقَى امْرأً لا يَنْقُضُ القَوْمُ عَهْدَهُ ... أَمَرَّ القُوى دُونَ الوُشَاةِ فَأَحْصَدا

فَلَوْلاَ يَزْيدُ ابنُ المُلُوكِ وَسَيْبُهُ ... تَجَلَّلتُ حِدْباراً مِنَ الشَّرِّ أَنْكَدا

ويمدح ابن قيس الرقيات مصعب بن الزبير، فيصفه بأنه شهاب من الله انكشفت عن وجهه الظلمات، ملكه ملك رحمة، ليس فيه جبروت أو كبرياء، كما يصفه بالتواضع، والتقوى، فهو يتقي الله في كل أمره(٣):

إنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّـ ... ـهِ تَجلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ ... جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ

---

(١) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٤٢.

(٢) يقصد يزيد بن معاوية وكنيته أبو خالد. انظر ديوان الأخطل، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٧٦.

(٣) الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص١٤٢.

يَتَّقِي اللهَ فِي الأُمورِ وَقَدْ أَفْـــــ ـــلَحَ مَنْ كَانَ شَأْنُهُ الاتِّقَاءُ

ويتسم شعر مديح الملوك بشكل خاص بعدم صدق قائلها فهو يمدح ملكه إما طلباً للعطاء أو اتقاء شره، وبعضها اتسم بالصدق حين يغيث مادحه كما فعل الأخطل مع يزيد.

وهناك نوع خاص من أنواع المديح وهو "المديح النبوي" وقد ابتدأ الزوزني باب المديح في حماسته بهذا النوع وحق له الصدارة، بقصيدة لكعب بن زهير يستعطف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توعده بالقتل، لكلامه في الإسلام، فيصف الرسول بأنه النور المضيء، وأنه سيف من سيوف الله، في عصبة من المهاجرين الذين هاجروا لا ضعفاً ولا جبناً وإنما حقناً للدماء، وإلا فهم شجعان عند اللقاء[١]:

إَنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا

زَالُوا، فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ ولا عُزُلُ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيْلُ مَعَازِيلُ

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولُ اللهِ أَوْعَدَنِي والَعفْو عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

مَهلاً هداك رسول الذي أعطاك نافلة ال ـــقرآن فِيها مواعيظ وتفصيل

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ ولَمْ أُذْنِبِ ولَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

الأسبـــاب المتعــلقة بالمـــديح:

من مظاهر المديح أو من الأسباب المتعلقة به: الدعاء للممدوح بالبركة والخير، كما دعا

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص١٣٥.

أسماء بن خارجة للخليفة عبد الملك بن مروان بالبركة له ولبنيه، كما جعل نفسه فداء له[١]:

فَبُورِكَ في بَنيكَ وفي أَبيهِمْ   إِذا ذُكِروا ونَحْنُ لَكَ الفِدَاءُ

ومن ذلك قطع التنائف والبلاد المقفرة، والصحراء الواسعة من أجل الوصول إلى الممدوح، والتمتع بعطاياه الواسعة[٢]:

إِلى المجتَدَى مَعْنٍ تَخَطَّتْ رِكابُنا   تَنَائفَ فيما بينَها الرِّيحُ تَلْغُبُ

كأَنَّ دَليل القَوْمِ بَيْنَ سُهوبِها   طَرِيدُ دَمٍ مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ يَهْرُبُ

بَدَأْنا عَلَيْها وهْيَ ذاتُ عَجارِفٍ   تُقاذِفُ صُعْراً في البُرى حين تُجْذَبُ

فَما بلغَتْ صَنْعاءَ حَتَّى تَبَدَّلَتْ   حُلوماً وقَد كانتْ من الجَهْل تَشْغَبُ

إِلى بابِ مَعْنٍ يَنْتَهي كلُّ راغبٍ   يُرجّي النَّدى أو خائفٍ يَتَرَقَّبُ

فهذا هو الشاعر مروان بن أبي حفصة وقد قطع التنائف التي تصوت بها الرياح مما يزيد المكان وحشة، حتى إن الدليل فيها يحار خائفاً كأنه مطلوب بدم ، ولكن حين بلغ الشاعر صنعاء –موطن ممدوحه معن– أنس المكان بوجود سكانه. وانتهت الصحراء

مما سبق تفصيله عن المدح في كتب الحماسات الشعرية يتبين لنا ما يلي:

- تنوع المديح بين مديح نبوي ، أو مديح خليفة ، أو والي ،أو قائد ، أو مديح لقبيلة.
- من مظاهر المديح: الدعاء للممدوح، وقطع الصحارى المقفرة في سبيل الوصول إلى الممدوح، والتكسب بالشعر عن طريق المدح.

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٨٥، الوحشيات، ص٢٤٧.

[٢] الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٨٧–٣٨٨.

– تميزت حماسة الظرفاء عن سائر كتب الحماسات الشعرية بإيرادها للمديح النبوي وهي قصيدة كعب بن زهير للرسول عليه السلام يستعطفه بها بعد أن أهدر الرسول دمه– إيرادها في بداية باب" المديح " .

في حين أن أصحاب الحماسات الأخرى لم يقدموا المديح النبوي في بداية الباب أو الأنواع الأخرى من المديح.

رابعاً: الهجاء

ذكر ابن منظور أن "هجاه يهجوه هجواً وهجاءً وتهجاءً شتمه بالشعر وهو خلاف المديح"[١].

إذن فالهجاء يعني شتم المهجو بالشعر، وذكر مساوئه وعيوبه على سبيل الذم.

وقد انتشر الهجاء بين القبائل العربية في الجاهلية بسبب العصبية القبلية التي كانت تدور بينهم، إضافة إلى إذكاء نار الفتنة بين القبائل حيث تُغِير إحداها على الأخرى فتسلبها مالها وعيالها ونساءها. لذا فقد كان الهجاء في العصر الجاهلي قبلياً فإذا ما هجا شاعرٌ آخر، فإنه يهجوه من أجل قبيلته، فسرعان ما ينطلق من هجاء فردي إلى هجاء القبيلة كلها.

وقد كان شعر الهجاء من اخطر الأغراض التي تجعل الكثير من الناس يتجنبون الشعراء لأجله، فلا يتعرضون لهم بسوء ، فالشعر سريع الانتشار بين الناس، كالنار المشتعلة لذلك يصبح المهجو عرضة للاشتهار بسبب رواة الشعر الناقلين له.

وقد تطور شعر الهجاء فيما بعد في العصور الإسلامية ، فاتخذ طابعاً دينياً في عصر صدر الإسلام، أقصد شعر النقائض بين المسلمين ممثلين بالأنصار والمهاجرين من جهة، وأعدائهم من الكفار والمنافقين من جهة أخرى. أما الهجاء الفردي بين من دخل في الإسلام خاصة، أو التعرض للشخص الفرد بالسب والطعن والذم، فقد ذمه الإسلام ورفضه. لذا فقد اضمحل في هذا العصر ولاسيما فيما يتناول نسب الناس وأعراضهم.

وقد عاد الهجاء قبلياً على ما كان عليه في العصر الأموي، واتخذ طابعاً شعوبياً في

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة (هجا).

العصر الأموي والعباسي الذي وليه، بسبب اشتعال نار الفتنة ما بين الأمويين أو العباسيين، والطوائف الدينية الأخرى من خوارج وشيعة وزبيريين، والقبيلة ما بين يمانية ومضرية وغير ذلك.

وقد استغل الخلفاء الأمويون والعباسيون كلاً في عصره، الشعراء ليتخذوا منهم وسيلة لجلبهم واكتسابهم إلى صفهم، من أجل هجو الطوائف الأخرى من أنصار معاوية وغيره. كما اتخذوا منهم وسيلة لإشعال نار الهجاء بينهم، وذلك لإبعادهم عن التدخل في سياسة المُلك والخلافة، والنظر في أمورها، فكان من ذلك أن انتشر الهجاء الشخصي بين أفراد الشعراء كالمثلث الأموي: الأخطل والفرزدق وجرير [١].

أما أهم ما تناوله الشعراء الهجاؤون في شعرهم، فهو القبح والمخازي، والهوان والذل، والجبن في المعركة، وعدم إكرام الضيف، وكثرة الأكل والسمن، ونقض العهد والغدر، وقلة الحياء والعقل والدين، واللؤم، وعدم الفصاحة في الخطب، والظلم بل هناك من هجا آخر لكونه فقط أعرابي لا من أهل الحضر، وهناك من اتهم مهجوه بأنه ابن زنا.

وهذه الصفات التي هجا فيها الشعراء مهجويهم، إنما تعكس ما عند الشاعر والقبيلة العربية من مكارم الأخلاق كإكرام الضيف والوفاء بالعهد. فما اتهم الشاعر الهاجي مهجوه بالبخل إلا أن صفة الكرم موجودة عند العرب، وما اتهمه بالخيانة والغدر إلا أن الأمانة والوفاء بالعهد موجودة عند العرب. وأخص بذلك الهجاء الذي كان متداولاً بين القبائل العربية، والتي هي بعيدة عن التعصب الديني والسياسي الذي كان متواجداً في العصرين الأموي والعباسي.

---

[١] أنظر الإسكندري، أحمد، وعنان، عبد الله محمد، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، المعارف، مصر، ط٧، ١٩٢٨م، ص١١١.

أولاً: الهــجاء الفــردي:

يهجو زُمَيْل بن الزبير في صاحبه بأنه سمين، فهو سمين مسترخي البطن، وهو أكثرمن أن يكون ابن زنا وفجور، فأمه حملت به وهي بعيدة عن الزواج في وقت احتلامها، لشدة غلمتها فهو بنظره شر من الزنية، فهو ليس من أصل ولا أب ينتسب إليه ولم يجد إلا نفس أمه كي يناكحها، لأنه لا يناكحه أحد لخسته وسقوط نسبه، كل هذا يوجهه زُمَيْل إلى عدوه المهجو بصيغة الخطاب في البيتين التاليين[١]:

وَلَسْتُ بِرِبْلٍ مُثْلِكِ احْتَمَلَتْ بِهِ　　حَصانٌ نَأَتْ عَنْ بَعْلِها وهْيَ حائلُ

فجئتَ ابْنَ أَحْلامِ النِّيامِ ولمْ تَجِدْ　　لِصِهْرِكَ إِلّا نَفْسَها مَنْ تُباعِلُ

ويهجو يزيد بن قنافة العدوي، شخصاً يدعى (حاتماً) فيتهمه بالجبن، فهو عندما حضرت ساعة المعركة جاء كالثور الهائج مغضباً متحمساً إلى القتال، ولكن حين ضيق عليه وجاء وقت الدفاع انهزم، ويشبهه وحاله هذه بنعامة حين سابقتها نعائم أعارت حاتماً رجليها، فكان إسراعه في العدو إسراعها[٢]:

لَعَمْرِي وما عَمْري عليَّ بِهَيِّنٍ　　لَبِئْسَ الفَتَى المَدْعُوُّ بالليل حاتِمُ[٣]

غَداةَ أَتَى كالثَّوْرِ أُحرِجَ فاتَّقَى　　بِجَبْهَتِهِ أَقتالَهُ وَهْوَ قائِمُ

كأنَّ بِصَحْراءِ المُرَيْطِ نَعامَةً　　تُبادِرُها جِنْحَ الظَّلامِ نَعائِمُ

أعارَتْك رِجْلَيْها وهافي لُبِّها　　وقَدْ جُرِّدَتْ بِيضُ المُتُونِ صَوارِمُ

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٨٦-٢٨٧.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٩٤.

[٣] حاتم : هو المضروب به المثل في الجود، ابن عبدالله الطائر .

ويهجو الفرزدق في (ابن عمار) بخله، فلو أن قِدْراً بكت من كثرة ما حبست ولم تستعمل لكانت قدر ابن عمار، فهو لم يستخدمها في طبخ لضيوف وغيره، لذا فلا تحتاج إلى ماء للغسيل ولم ترَ النار[١]:

لَوْ أَنَّ قْدِراً بَكتْ مِنْ طُولِ ما حُبِستْ على الحُفُوف بكَتْ قِدْرُ ابنَ عَّمارِ

مـــا مَسَّها بَـــللٌ مُذْ فُضَّ مَعْدِنُهـــا ولا رأَتْ غيْرَ نَار القَيْنِ مِنْ نار

ويهجو الحطيئة الزبرقان، فهو ذنابى القوم وآخرهم وشرهم وليس الذنب كالرأس[٢]:

والزِّبْرِقَانُ ذُنَابَاهُمْ وَشَرَّهُمُ لَيْسَ الذُّنابَى أَبَا العَبَّاس كالرَّاسِ

دَع المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتَها وَاقْعُدْ فَإِنَّك أَنْتَ الطَاعِمُ الكَاسِي

كما هجا الحطيئة أمه[٣] ، وقومه[٤]، بل ونفسه[٥]، وهناك من الشعراء من هجا أباه[٦]، وهناك من هجا أخاه[٧]، وآخر في امرأة أبيه[٨]، وآخر في عمه[٩].

ثانيـــاً: الهـــجاء القبـــلي:

نجد مثل ذلك في قول ذي الرمة يهجو قبيلة امرئ القيس، فيرميها بالقبح والعار

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص٢١٩-٢٢٠.
[٢] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٧٠.
[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠.
[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠ .
[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص٧١.
[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٢.
[٧] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣.
[٨] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣.
[٩] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤.

والمخازي، وقلة الأثر والصفات الحميدة. وأنها –امرؤ القيس– معتادة على الهوان، حتى إن جلودها لصلبة على الهوان، فالحاضرون لا ينتظرون الغائبين منهم حتى يشهدوا معهم الأمر الجلل، فلا يدخلونهم في الشورى، كما أن شهودها لا تستشار ولا تستأمر في الأمور العظيمة[1]:

العظيمة[1]:

أَلا قَبَّحَ اللهُ امرأَ القَيْسِ إِنَّها   كَثيرٌ مَخازِيها قليلٌ عديدُها

وَأَمْثَلُ أَخْلاقِ امرِئِ القَيْس أَنَّها   صِلابٌ على طُولِ الهَوانِ جُلودُها

وما انتُظِرتْ غُيَّابُها لِعَظيمةٍ   ولا استُؤْمِرَتْ فيما يَنوبُ شهودُها

ولجرير في قبيلة من تغلب تدعى (نسيَّة) هجاء، فيلعنها أو يدعو عليها باللعن، فهم أعراب بدو يرقعون من قطع الخباء خدوراً للنساء كما أنهم لا يعرفون المسواك، فلا يستخدمونه، ولا يمسون طهوراً[2]:

لَعَنَ الإِلهُ نُسَيَّةً مِنْ تَغْلِبٍ   يَرْقَعْنَ مِنْ قِطَعِ العَباءِ خُدوراً

لم يَجْرِ مُذْ خُلِقَتْ على أَنْيابِها   ماءُ السِّواكِ ولا تَمَسُّ طَهُوراً

وهجا الشاعر جوَّاس بن القعطل بني أمية، حين قاتل قوم جواس مع بني أمية في حربها ضد علي وصحبه، إلا أنه عندما انتهت المعركة بالنصر لبني أمية، طوت دنياها عنهم واستأثروا بها على حد زعمه، فيدعو عليهم بأن لا يجزيهم الله خيراً، لنكران صنيعهم معهم، فهم –بنو

---

[1] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٢١.

[2] المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٤.

أمية- أغراب عن الشام، قدموا إليها من البلد البعيد، فالشام تنكرهم حقيقة بكهلها وفتاها[١]:

صَبَغَتْ أُمَيَّةُ بالدِّماءِ رِماحَنا	وَطَوَتْ أُمَيَّةُ دُونَنا دُنْياها
أَأُمَيَّ رُبَّ كتيبَةٍ مَجْهُولةٍ	صِيدِ الكُماةِ عليكُمُ دَعْواها
كُنَّا أُلاتَ طِعانِها وضِرابِها	حتَى تَجَلَّتْ عنكُمُ غُمَّاها
فاللهُ يَجْزِي لا أُمَيَّةُ سَعْينا	وَعُلىً شَدَدْنا بالرِّماحِ عُراها
جِئْتُمْ مِنَ البَلَدِ البَعيدِ نِياطُهُ	والشامُ تُنكِرُ كَهْلَها وَفَتاها

ويهجو عبد الله بن همام السلولي أهل يثرب، فيصفهم بأنهم يبغون تقويمهم وتعديلهم، ولكنهم عوج في أصلهم، إن خطبوا أحسنوا الخطبة، ولكن فعلهم يخالف قولهم، وقد ذموا الدنيا للناس، وهم في حقيقة الأمر يتنافسون فيها كأنهم يرضعونها[٢]:

لَقَدْ رَابَنِي مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ أَنَّهُمْ	يَهُمُّهُمُ تَقْويمُنَا وَهُمُ عُصْلُ
إِذَا رَكِبُوا الأَعْوَادَ قَالُوا فَأَحْسَنُوا	وَلَكِنَّ حُسْنَ القَوْلِ خَالَفَهُ الفِعْلُ
وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا	أَفَاوِيقَ حَتَّى مَا يُدِرّ لَهَا ثَعْلُ

ويهجو عارق أجأ الجاهلي الملك عمرو بن هند حين غزا اليمامة وأخفق في مسعاه، فهو يريد أن يوصل رسالة إلى هذا الملك عن طريق الشعر، على ظهر النوق، فحوله جيش كثيف متصل وخيل من كميت وورد لا يستطيع أن يصل إليه وبينهما الرمل وبأنه قد غدر بعهده

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٣٠٢.

[٢] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص١٠٥.

معه[١]:

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ رِسالَةً	إذا استَحْقَبَتهْا العِيسُ تُنْضَى مِنَ البُعْدِ
أيوعِدُني والرَّمْلُ بَيْني وبَيْنَهُ	تَبَيَّنْ رُوَيْداً ما أُمامَةُ مِنْ هِنْدِ[٢]
ومْنِ أَجأٍ حَوْلي رِعانٌ كأَنَّها	قَنابِلُ خَيْلٍ مِنْ كُمَيْتٍ ومِنْ وَرْدِ
غَدَرْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَنْتَ اجتَذَبْتَنَا	إليهِ وبئسَ الشِّيمَةُ الغَدْرُ بالعَهْدِ
وَقَدْ يَتْرُكُ الغَدْرَ الفَتَى وطَعامُهُ	إذا هُوَ أَمْسَى حَلْبَةٌ مِنْ دَمِ الفَصْدِ

ويقصد بدم الفصد أن الرجل منهم إذا جاع فصد عرق بعير وأخذ مصيراً، فتلقى به دم ذلك العرق، فإذا امتلأ عقد على رأس المصير، ثم شواه وأكله[٣]. ويقصد بذلك أن المرء قد يترك الغدر وهو في شدة الجوع، فكيف لا تتركه وأنت ملك؟!

تبين لنا بعد دراستنا لغرض الهجاء في الحماسات الشعرية ما يلي:

- أن من الهجاء ما هو هجاء فردي ومنها ما هو هجاء قبلي، أو ما هو موجه للملوك، وقد احتوت كتب الحماسات ذلك كله.
- كانت حماسة الظرفاء أكثر تنوعاً في باب الهجاء، حيث جلب لنا الهجاء الذاتي –هجاء الحطيئة لنفسه–، أو لأقاربه كأمه، أو هجاء آخر لأبيه، أو آخر لعمه.
- بعض الهجاء في حماسة الظرفاء جاء على سبيل السخرية والتهكم، وبعضها جاء هجاء بشكل عام كهجاء اللغات لكاتب بكر وذلك حين لحن في كلامه، ورد عليه رجلٌ من

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٩٤-٢٩٥.

[٢] هند هي أم عمرو .

[٣] التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٨٧٥

أصحاب اللغة لحنه، فقال يشتم اللغات ما قاله[١]، وآخر هجا المبرد[٢]، وآخر في المستعربين[٣]، إلى غير ذلك.

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٧٥
[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨.
[٣] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٧٩.

خامساً: اللوم والعتاب.

لم يفرد أصحاب الحماسات الشعرية –قيد الدراسة– باباً منفصلاً للوم والعتاب، وإنما أدمجوه مع شعر الهجاء، إلا ما كان من ابن الشجري، فقد فصل ما بين البابين، فذكر باب اللوم والعتاب أولاً، ثم باب الهجاء مع الفصل بأبواب أخرى ما بين البابين.

وقد ذكر ابن منظور في مادة (عتب) "التعتب والمعاتبة والعتاب: كل ذلك مخاطبة الإدلال وكلام المدللين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرة بعضهم بعضاً ما كرهوه مما أكسبهم الموجدة. والعتب: الرجل الذي يعاتب صاحبه أو صديقه في كل شيء إشفاقاً عليه ونصيحة له[١]"

والعتاب من الممكن أن يكون بين الأخ وأخيه، أو بين الصديق وصديقه، وقد يكون عتاباً من الشاعر للأمراء أو الخلفاء. ومحور عتاب الإخوان أو الأصدقاء هو بعد ذلك الأخ أو الصديق عن الشاعر ونأيه عنه بجانبه، أما محور عتاب الأمراء والخلفاء فيدور حول تقديم آخرين إلى جانب الخليفة أو الأمير دون الشاعر المعاتِب، أو أن حاجب الأمير أو الخليفة منع الشاعر من الدخول إليه. ويتضح هذا الشيء من دراسة أبيات الحماسات.

أولا: عتـــاب الأقـــارب

مثل ذلك عتاب الشاعر الأسلع بن كليب لأخيه ضبيعة المتمثل في الأبيات التالية[٢]:

أَلا قَد أَرى أَنْ لستَ واللهِ مُصْلِحاً   مجاوَرَتي حتَى تَذُوقَ زِياليا[٣]

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة (عتب).

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٥٣-٢٥٤.

[٣] زياليا : خرائي

أَظُنُّكَ إِنْ فارَقْتَني لَسْتَ واجِداً   أخاً لَكَ يَكْفِيكَ الذي كُنْتُ كافِيا

فَما نُؤْتَ للْعَزَّاءِ إِلا تَذَبْذَبَتْ   حِبالُكَ ما لَمْ تَسْتَعِنْ بِحِباليا

بأيِّ سِنانٍ تَطْعَنُ القَوْمَ بعدما   قَطَعْت سِناناً من قَناتِكَ ماضِيا

وقد استخدم الشاعر ألفاظاً تدل على مثل هذا العتاب مثل: (تذوق زياليا)، (فارقتني)، (تذبذبت حباليا)، (قطعت سناناً ماضيا).

ويقول طارق بن السبق التميمي يعاتب ابن عمه[١]:

أَلا يا ابْنَ عَمِّي قَدْ قَصَدْتَّ عَدَاوَتي   وَتُقْبِلُ نَحْوِي بالبَشَاشَةِ والبِشْرِ

فيا لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَلاَّ تَغُولَنِي   وَتُقْبِلُ مَعْروفِي وَتَجْعَلُهُ شُكْرِى

ثانيـــاً: عتـــاب الأمـــراء أو الخلفـــاء

فمن ذلك عتاب طريح بن اسماعيل للوليد بن يزيد، فالوليد خيره يعم البرية إلا أنه لا يشمله، وهو يقدم رجالاً لم يبلغوا مبلغ الشاعر من وده، فيما الشاعر بعيد مُدفَّع عنهم، ويشبه ذلك بأن الشاعر يراح عن حياض الخليفة، بينما يشربه الآخرون[٢]:

إِنَي عَجِبتُ لِصَوْبِ غيثٍ مُرْسَلٍ   يَغْشَى البَرِيَّةَ وهْوَ عَنّي مُقْلِعُ

وَلِمَعشَرٍ لم يَبْلُغُوا مِنْ وُدِّكُم   ما قَدْ بَلَغتُ يُقَدَّمُونَ وأُدفَعُ

مالي أُحلَّأُ عَنْ حِياضِكَ مُفْرَداً   يَرِدُ الظُماةُ فَيُشرَبُونَ وأُقْدَعُ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٩٤.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٨.

ويعتب أبو العتاهية على الأمير علي بن يقطين حين دخل عليه وسلم، فأعرض عنه، فقال أبياتاً أنهاها بحكمة[١]:

مَالَكَ لا تَرْجِعُ السَّلامَ على الزُ ـــوَّارِ إلا بِلَمْحَةِ البَصَرِ

ما أَنْتَ إلا مِنَ العِبادِ وإِنْ أصْبَحْتَ في إِمْرَةٍ وفي خَطَرِ

ما أَقْدَرَ اللهَ أن يُغَيِّرَ ما أَصْبَحْتَ فيهِ فَكُنْ على حَذَرِ

واعْلَمْ بأَنَّ الأَيامَ يَلْعَبْنَ بالنَّـــ ـــاسِ وأنَّ الزَّمانَ ذو غِيَرِ

ولا تصل كلمات العتاب إلى درجة الهجاء من حيث قوة اللهجة، وحرارة العاطفة، فتجد أنها أقل لهجة، وليس فيها إقذاع الهجاء، دلالة على أن الشخص المعاتَب له في نفس الشاعر المعاتِب مكانة.

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٨٥.

سادساً: الغزل والنسيب

ذكر ابن منظور أن الغزل "حديث الفتيان والفتيات، ابن سيده: الغزل: اللهو مع النساء، ومغازلتهن: محادثتهن ومراودتهن"[١].

أما النسيب، فقد قال عنه: "نسب بالنساء: شبب بهن في الشعر وتغزل، وقال شمر: النسيب: رقيق الشعر في النساء"[٢].

وقد فرّق بعض النقاد بين النسيب والغزل، إلا أننا نرى أن المعنيين مترادفان.

وقد قسَّم النقاد الغزل إلى عدة أقسام، أشهرها من حيث النوع:

- الغزل العذري.
- الغزل الحسي.

وثمة قسم ثالث وهو الغزل التقليدي الذي يفتتح به الشاعر القصائد.

وسنتناول الحديث عن هذين القسمين الأولين من خلال أشعار كتب الحماسات الشعرية، ولكن نبدأ أولاً بتعريف كل منهما:

فالغزل الحسي: هو ما تناول فيه الشاعر الحديث عن صفات النساء الحسية وجمالهن البدني، من جمال الوجه والأنف والعينين وكذلك البنان، والخصر، إلى غير ذلك. أما الغزل العذري، فهو ما تجاوز فيه الشاعر ذلك للحديث عن صفات المرأة المعنوية مثل العفة والأخلاق العامة، إضافة إلى الحديث عن الطيف وألم الفراق، والبكاء على بُعد المحبوبة، وتلمس ديارها وآثارها، وتحميل الرياح سلاماً إليها إلى غير ذلك .

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة (غزل).

[٢] المصدر نفسه، مادة (نسب).

فمن الغزل الحسي: نجد في كتب الحماسات الأخطل يخبر عن محبوبته بأنها ناعمة مجرى الدمع، خفاقة الحشا، هيفاء، ترائبها (موضع قلادتها من صدرها) تبرق وكأنها من الحور، ويشبهها وحالها تلك ببيض الرخم المستكن في وكره، لا ينال بيضه، وكذلك سرها مدفون في القلب، كما يصفها بأنها مرتجة الأرداف، طيبة الرائحة[١]:

أَسِيلَةُ مَجْرى الدَّمْعِ خَفّاقَةُ الحشا	من الهيفِ مِبراقُ الترائِبِ والنَّحْرِ
مِنَ الجَازِياتِ الحُورِ مَطلَبُ سِرِّها	كَبَيْضِ الأَنُوقِ المُسْتَكَنَّةِ في الوكْرِ
وإنِّي وإيّاها إذا ما لَقيتُها	لكالماءِ مِن صَوْبِ السّحاَبةِ والخَمْرِ
لَياليَ نَلْهو في الشبابِ الذي خَلا	بِمُرْتَجَّةِ الأَرْدافِ طَيِّبةِ النَّشْرِ

كما يذكر الشاعر الحسين بن مطهر محبوبته وفراقه لها مما أفقده صبره حتى وكأن جمراً على كبده بطيئة الخمود تحرقه، وقد كان من قبل الفراق متجلداً صبوراً. وقد كان يظن أن صبابته وشوقه ستنتهي مع مرور الأيام والسنين، إلا أنها تزداد اضطراماً، فالمحبوبة مكنت حبها في حشا قلبه مما زاده شوقاً وحنيناً. ثم يعرض الشاعر بعد ذلك للأوصاف الحسية في محبوبته، فناصيتها سوداء، وأكفها حمراء، لما تستخدمه من حناء وغيرها من الأصباغ، أما ترقوتها فهي صفراء، وخدودها بيضاء، كما أنها ذات خصر مليح، كما أنها ترتدي العقود من الذهب وغيره مما يزينها[٢]:

لقدْ كُنْتُ جَلْداً قبلَ أَنْ تُوقَدِ النَّوىَ	على كبِدي جَمْراً بَطيئاً خُمُودُها

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٥٠٩.

[٢] أبو تمام: ديوان الحماسة، ص٢٣١.

وقد كُنْتُ أرجو أَنْ تَمُوتَ صَبابتي   إذا قُدِّمَتْ أيامُها وعُهُودُها

فقدْ جَعَلَتْ في حَبَّةِ القَلْبِ والحَشَا   عِهادَ الهَوَى تُولَى بَشْوقٍ يُعيدُها

بِسُودٍ نواصيها وحُمْرٍ أَكُفُّها   وصُفْرٍ تراقِيها وبِيضٍ خُدُودُها

مُخَصَّرَةُ الأوْساطِ زانَتْ عُقُودَها   بأَحسَنَ ممّا زَيَّنَتْها عُقُودُها

ومن الغزل العذري: قول عبد الله بن عزرة الجعدي يرد على من زعم أن المحب ينسى حبيبته ويسلاها مع مرور السنين –ذلك إذا ما تم البعد بينه وبينها–، ويصف كلامهم هذا بالكذب، لأنهم لم يروا عاشقاً من قبل، وكيف يسلو الشاعر وهو يزداد شوقاً بسبب اللذات، فكلما رام سلواً ازدادت حرقة قلبه وكأنها تحترق عليه[1]:

زَعَمُوا أَنَّ منْ تَشَاغل بالحُبِّ تَسلَّى حَبِيبَهُ وأَفَاقَا

كَذَبوا ما كَذَا يكون ولَكنْ لَمْ يكُونُوا فِيمَا أَرَى عُشَّاقَا

كَيْف شُغْلي يا قُرَّ بَعْدَكِ واللَّذَّاتُ يُحْدِثْن إِلَيْكِ اشْتِياقَا

كُلَّمَا رُمْتُ سلْوَةً تُذْهِبُ الحُرْقَةَ زَادَتْ قَلْبي عَلَيْكِ احْتراقَا

ومن ذلك قول أبي أحمد التمامي، حيث يرى أن المحب ميت وهو حي، أي كأنه قد ذاق طعم الموت وهو ما زال على قيد الحياة لفراقه لحبيبته، وكأن النار مشبوبة في أحشائه، ودمعه منسكب على بُعد حبيبته[2]:

ما ذَاقَ حَرُّ المَوْتِ قَبْلَ مَذَاقِهِ   إِلَّا مُحِبٌّ غَابَ عَنْهُ حَبْيبُ

---

[1] أبو تمام، الوحشيات، ص٢٠٤.

[2] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٣١.

النَّارُ في أَحْشَائِهِ مَشْبُوبَةٌ والدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ مَسْكُوبُ

ومما تميزت به حماسة ابن الشجري في هذا المقام إيرادها لمقطوعة شاعرة تتغزل بحبيبها الهلالي، الشاعرة هي ضاحية الهلالية تصف في مقطوعتها أن حب الهلالي قاتلها، وهو ممن استمال الغواني إليه، وتصفه بصفات الرجولة مناهضة لوصف الشاعر المتغزل محبوبته بصفات الأنوثة، فهو أشم (أبي) كغصن البان، جعد الشعر، مرجله، وقد شغفت به، ثم تخبر بأنها لم تجد كريقه ريقاً، وتشبه ريقه بالسلاف، أو ماء المزن الصافي[1]:

وَيا أُمَّتا حُبُّ الهِلَالِيِّ قاتِلي ومثلُ الهِلاليِّ استمالَ الغَوانِيا

أَشَمُّ كَغُصْنِ البانِ جَعْدٌ مُرَجَّلٌ شُغِفْتُ بِهِ لَوْ كانَ شَيْئاً مُدانِيا

ثَكِلْتُ أَبِي إِنْ كُنْتُ ذُقْتَ كَرِيقِهِ سُلافاً ولا ماءً مِنَ المُزْنِ صافِيا

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: كيف تجرؤ امرأة على التغزل بفتى؟ ألا يعوق دون ذلك معوقات كخوفها من أقاربها مثلاً أو العادات الاجتماعية التي تحول دون فعل المرأة لذلك؟

يخفف من هذا الأمر أن من تتغزل به الشاعرة هو من نفس قبيلتها فهو هلالي مثلها، وقد يكون زوجها، فهي تصرح بأنها لم تجد ريقاً كريقه، وكأنها قد ذاقت ريقه، ولا تجرؤ على ذلك إلا من تكون زوجة له، أو قد يكون من تتغزل به شخصية صنعتها من خيالها .

أما ما تميزت به حماسة الظرفاء فهو إيرادها للغزل بالغلمان، وهو الغلام الذي يقوم على خدمة القوم في الحوانيت، وعادة ما يكون متديناً بغير الإسلام – نصرانياً أو يهودياً أو

---

[1] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٥٣٦-٥٣٧.

مجوسياً، وعادة ما يرتدي زناراً في خصره.

فهذا أحد الشعراء يذكر تهيامه بغلام يهودي، فلا يكاد يخفي حبه له، وكأن الهوى صبغ لونه له، وأذاب ذكراه قلبه، ويذكر ما يحمله الغلام من العسلي، فمن شدة صفار وجهه يشبه العسلي الذي يحمله الغلام، وكأنه من دقة زناره الذي يرتديه في خصره، فهذه آثاره بادية في وجهه، لا تكاد تختفي، إن جحد هواه أو أنكره[١]:

مُتَهَوِّدٌ صبغَ الهَوىْ لَوْني لَهُ	وأذابَ قَلْبي في الهوى تَذْكارُهُ
فَكَأَنَّنِي مِنْ صُفْرَتي عَسَلِيُّهُ	وكأنني من دِقَّتي زُنَّارَهُ
فإذا جحدتُ هواه أو أنكرتُهُ	شَهِدتْ عليّ من الهَوى آثارُهُ

وقد بالغ الشعراء في حماسة الظرفاء وغيرها من كتب الأدب الواسعة بالتغزل بالغلمان، حتى جعلوه مخنثاً، ووصفوا لين جسده، ورقة حاله، وبياض وجهه، والسؤال الذي يدور في المخيلة هنا: إلى ماذا يفضي هذا التغزل كله؟!

كما بالغ الزوزني في حماسته حين أحصر مقطوعة لشاعر يتغزل فيها بخياط وبائع سكر وكاتب مختط[٢]ولعله أراد إدخال روح الدعابة في حماسته، ولاسيما إذا عرفنا أن تغزل الشاعر بالخياط أو بائع السكر أو الكاتب لا يحمل معنى كبيراً غزلياً.

يتبين لنا مما سبق ما يلي:

– استخدم مؤلفو الحماسات الشعرية عنواناً لباب الغزل "باب النسيب" ونرى أن

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٤٩

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠.

المصطلحين مترادفان، فالغزل هوالنسيب ذاته.

- تناول فن الغزل عند هؤلاء الكُتَّاب القسمين: الغزل الحسي، والغزل العذري.
- تميزت حماسة ابن الشجري عن سائر الحماسات بتطرقه لوصف شاعرة لحبيبها في الشعر وهي ضاحية الهلالية.
- تميزت حماسة الظرفاء عن سائر الحماسات، بإتيانها لغزل الغلمان، كما تميزت بذكر شاعر يتغزل في بائع سكر وآخر خياط وآخر في كاتب مختط.

سابعاً: الوصف

قسَّم ابن الشجري باب الوصف عنده إلى فصول كثيرة: ففصل في صفات النساء، وفي طيب النكهة وعذوبة الريق، ووصف الريح، والعين والنظر، وحسن الحديث وطيبه، والمضاجعة، ووصف النار، والتنائف والوحوش والإبل والركب وأخبية السفر، والليل، والرياض والسحاب، والكتب، والخط، والشعر والشيب والشباب، والخمر والغناء، إلى غير ذلك من الصفات الكثيرة. وقسمة هذه الأوصاف على فصول هي من ميزات ابن الشجري.

أما الزوزني فقد ذكر مقطوعات لكثير من الموصوفات دون تقسيمها إلى فصول، نذكر منها وصف الأسد، والحرب، والناقة، والشمس، والدهر، والحيوانات كالفيل والحمار والأفاعي، والخاتم ، ونزلة الشتاء، والنرجس، والكتاب، والموز، والسكر، والأباريق، والسكين، والفستق، والربيع، والشمعة، والنساء، والجلَّاد، وغيرها.

وأما أبو تمام فإنه في حماسته لم يذكر إلا بعض الصفات، فوصف الشواء ، والحية، والبرق، والسحائب، والسيف في أربع مقطوعات لشعراء مختلفين، كما وصف أثر الطعنة في الجسم، ووصف البيت، والأسد.

وقد رأيت في هذا المقام الاقتصار على ذكر مقطوعات تتضمن وصفاً واحداً ذكره أصحاب الحماسات جميعهم، ونقارن بينهم في هذا الوصف وقد وقع اختياري على **(وصف السحاب)**.

أورد ابن الشجري مقطوعة للبيد في السحاب يقول فيها[١]:

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ　　　يَكادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامَ بالرَّاحِ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٧٠.

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ　　　والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْواحِ

فهو في البيت الأول عبر عن دنو السحاب من الأرض وثقله حتى أن القائم ليكاد أن يصل إليه بيديه مسكاً أو لمساً، ثم يصف في البيت الثاني انتشار المطر في كل مكان، فقد عم السهل والجبل والوادي.

وفي ديوان الحماسة لأبي تمام مقطوعة لملحة الجرمي يربط فيها بين السهر والمطر، فقد أقلقه نزول المطر في الليل، مما جعله يتابع ما يسير في الطبيعة بنظره، من جو بارد، وهطول مطر، وكيف يسير المطر من أرض إلى أرض. ويصف صوت المطر بحنين النوق إلى بعضها البعض، ويشبه ثقل الغيوم وغزارتها وكثافتها في الجو بجبال لبنان المرتفعة طولاً وعرضاً. كما يعبر عن وصول الماء إلى الأرض وترويته للنبات البالي أو الذي كاد أن يبلى لانكساره واصفراره من العرفج النجدي والحمض[١]:

أَرِقْتُ وَطالَ اللّيلُ للبارِقِ الوَمْضِ　　　حَبِيّاً سَرَى مُجْتاب أرْضٍ إلى أَرْضِ

تَحِنُّ بِأَجْوازِ الفَلا قُطُراتُهُ　　　كما حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إلى بَعْضِ

كأَنَّ الشَّماريخَ العُلَى مِنْ صَبِيرهِ　　　شماريخُ مِنْ لُبْنانَ بالطُّولِ والعَرْضِ

يُبارِي الرِّياحَ الحَضْرميَّاتِ مُزْنُهُ　　　بِمُنْهَمِرِ الأرْواقِ ذِي قَزَعٍ رَفْض

يُرَوِّي العُرُوقَ الهامِداتِ مِنَ البِلَى　　　مِنَ العَرْفَجِ النَّجْدِيِّ ذُو بادَ والحَمْضِ

وفي الوحشيات نجد مقطوعة عدي بن الرقاع، وهو في أبياته أرق ومحزون أيضاً،

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٣٧٧.

فأخبر رفيقه بنزول الغيث أو السحاب من السماء، ويربط بين السحاب والريح، فالريح هي الباعثة على نزول المطر من السحاب، مما أدى إلى انتشار المطر في كل مكان وعمومه، وكأنه إنما ألبس المكان إلباسا، ثم يشبهه من ناحية أخرى بالجمل أو الناقة، فكما أن الناقة تجثم على الأرض وتغطي جزءاً منه بكلكلها (صدرها)، فكذا المطر غطى ذات أحفار، وساعده البرق بلمعانه وكأنه نار تأتلق، وبه يصير للنبات والعود حياته مرة أخرى، فينضر وتذهب يبوسته[1]:

فَقُمْتُ أُخْبِرُهُ بالغَيْثِ لم يَرَهُ   والبْرقِ إِذْ أَنَا مَحْزُونٌ لَهُ أَرِقُ

مُزْنٌ تَسيَّحَ في رِيحٍ يمانيةٍ   مَكلَّلٌ بعَماءِ المَاءِ مُنْتَطِقِ

أَلْقَى على ذَاتِ أَحْفَارٍ كَلاكِلَهُ   وَشَبَّ نِيرانَهُ وانْجابَ يْأتلِقُ

نَارٌ يُعاوِدُ مِنْهَا العُوْد جِدَّتُه   والنَّار تَسْفَع عِيداناً فَتَحترِقُ

وقد وردت في حماسة الظرفاء مقطوعة لشاعر في ذم فصل الشتاء، ويدعو المرء إن شاهد المطر أن يلزم بيته ولا يخرج حتى يجد صحو الجو، ويعلل ذلك بانزلاق القدم في الطريق، وأثر ذلك في ثيابه إن سقط المرء من اتساخ، كما أن راكب الخيل قد يسقط عن خيله فيضره الخيل والمطر[2]:

إذاَ كُنْتَ في بَلَدٍ نَازِلاً   وَحَلَّ الشِّتَاءُ حُلُولَ المُقيمْ

فَلَا تَخْرُجَنَّ إِلَى أَنْ تَرَى   مِنَ الصَّحْوِ يَوْماً صَحِيحَ الأَدِيمْ

فَكَمْ زَلْقَةٍ فِي نَوَاحِي الطَّرِيقِ   تَرُدُّ الثِّيَابَ بخِزْيٍ عَظِيمْ

---

[1] أبو تمام، الوحشيات، ص٢٧٩.

[2] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٢٥٨

وَكَمْ رَاكِبٍ فَوْقَ طِرْفٍ لَهُ　　　لَئِيمٍ أَضَرَّ بِماسِنٍ كَرِيمْ

مما سبق عند دراسة المقطوعات الأربعة السابقة يتضح ما يلي:

- أن المقطوعات السابقة تناولت نزول المطر وانسيابه في المكان. وأن المقطوعة الأولى منها (مقطوعة لبيد) تناولت عموم المطر للمكان حتى إن المقيم ببيته يدركه شيئاً من المطر.
- المقطوعتان: الثانية والثالثة (مقطوعة ملحة الجرمي، وعدي بن الرقاع) تناولتا مسألة الأرق في الليل والسهر ومراقبة نزول المطر.
- المقطوعة الثانية من المقطوعتين تحدثت عن صحبة الشاعر لآخر أراه هطول المطر ولمعان البرق.
- مقطوعة ملحة الجرمي فيها تمثيل لصوت المطر فشبهه بحنين النوق، كما فيه مصاحبة الريح للمطر ليكون أشد وقعاً لأثر المطر على الأرض وازدحامه.
- صورة البرق في مقطوعة ملحة الجرمي ومقطوعة عدي بن الرقاع : فهو "البارق الومض" في مقطوعة ملحة، وهو نار تحرق عيداناً في مقطوعة عدي.
- ظهور النبات وترويته بالماء من العرفج والحمض في مقطوعة ملحة.
- تميزت مقطوعة حماسة الظرفاء (المقطوعة الأخيرة) بإظهار روح الدعابة والسخرية من وقع المطر وأثره في انزلاق الأشخاص على الطريق واتساخ ثيابهم إلى غير ذلك.

ثامناً: الحكمة

ورد في لسان العرب أن "الحكمة هي: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم" [1]، وشعر الحكمة : هو ما عبر فيه أصحابه عن خلاصة تجارب في حياتهم ومعيشتهم الثقافية وصاغوه شعراً. والحكمة هي من أدل الأشياء على عقلية الشعوب وعاداتها. وهي (تفيد معنى واحداً من نهي أو أمر أو إرشاد) [2]، كما (تطلعنا على طبيعة البلاد وأحوال العباد كما تقفنا على

نزعاتهم وعقلياتهم ونظرهم على الحياة) [3].

لقد كان لباب الأدب في كتب الحماسات النصيب الأوفر من شعر الحكمة، فهي تحتوي إضافة إلى شيء من الفخر الذاتي والحماسة والمديح على الكثير من الحكم العامة، كما وجد شعر الحكمة مبثوثاً بين ثنايا المقطوعات في الأبواب الأخرى كأبيات قليلة. كما أن حماسة البحتري كانت من أغزر كتب الحماسات احتواء على أبيات الحكمة.

يمكن أن نقسم مضمون الحكم الشعرية الواردة في كتب الحماسات إلى ما يلي:

أ - الموت والفناء.

ب - تقلبات الدهر والشقاء والنعيم.

ج - الشيب والشباب.

د - مكارم الأخلاق.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكم).

[2] انظر الفاخوري، حنا، الحكم والأمثال، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ص٥٠.

[3] المصدر نفسه، ص١٧.

وقد احتوت الأخيرة على الكثير من الحكم التي تتحدث عن تقوى الله، وإكرام الضيف، وحفظ الجارة من السوء، والوفاء بالعهد، والصبر على المكروه، والظلم والغيبة المذمومة إلى غير ذلك.

وسنتحدث عن بعض ذلك باختصار.

من الحكم التي تتحدث عن الموت والفناء قول الشاعر(١):

فَصَبْراً تَميمٌ إِنَّمَا المَوْتُ مَنْهلٌ يَصِيرُ إِلَيْهِ صَابِرٌ وجَزُوعُ

وقد قالها الشاعر الفرزدق في رثاء وكيع بن أبي سود وهو أحد أفراد قبيلته، في معرض حديثه عن حزمه وبأسه في الحروب وشجاعته.

ومنها قول نهار بن توسعة في رثاء أخيه عتبان(٢):

وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يومٌ مَرَّةً يُبْكي عليكَ مُقَنَّعاً لا تَسْمَعُ

ومنها قول أبو عداس الحارث بن زيد حين حُبس ابنه عداساً من قبل جنود كسرى(٣):

لَعَمْرُكَ ما نَدْرِي أفي اليَوم أَوْ غَدِ نُنَادَى إلى آجَالِنَا فَنُجِيبُ

ومن ذلك محمد بن الحسن العبد لكاني والد الزوزني في رثاء أحد الأشخاص(٤):

---

١ ابن الشجري، الحماسة الشجرية،ج١، ص٣٠٠.

٢ أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٧٢.

٣ أبو تمام، الوحشيات، ص١٤١.

٤ الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٠٣.

لَا يَدْفَعُ المَوْتَ عِزٌّ وَلَا نَسَبٌ   وَلَا جُيُوشٌ وَلَا بِيضٌ وَلَا جَحَفُ[١]

ومن الحكم التي قيلت في الشيب والشباب قول الشاعر يزيد بن الطثرية في باب الحماسة[٢]:

أَمْسَى الشَّبابُ مُودَّعاً مَحْموداً   والشّيبُ مُؤتَنِفَ المَحَلِّ جَديدا[٣]

ويبدو أن البيت لا علاقة له بالحماسة كما وضعها ابن الشجري فيه.

وقول الشاعر سنبس بن حكم الطائي[٤]:

وَلَيْسَ لِمَرْءٍ بَعْدَما شَابَ رَأْسُهُ   نَجَاحٌ بِإِتْيانِ السَّفَاه وَلا عُذْرُ

فالشاعر يدعو إلى ترك السفه من الأمور ولاسيما بعد أن شاب الرأس.

ومن الأشعار التي قيلت في مدح الشيب وذم الشباب قول الشاعر[٥]:

الشَّيْبُ حِلْمٌ والشَّبَابُ جُنُونُ   وَأَخُو الشَّبيبَةِ بالسَّفَاهِ رَهِينُ

وَمِنَ البَلِيَّةِ أنَّ أَيَّامَ الصِّبَا   ذَهَبَتْ وَقَدْ غَلِقَتْ بِهِنَّ رُهُونُ

تَبْقَى تَبَاعَتُها عَلَيْكَ وَوِزْرُهَا   وَيَزُولُ عَنْكَ سُرُورُها وَيَبِينُ

فَفِراقُهُ أَسَفٌ وَطَاعَةُ أَمْرِهِ   تَلَفٌ وَصُحْبَتَهُ عَلَيْكَ فُنُونُ

كَذَبَتْكَ خُلَّتُهُ وَخَانَكَ عَهْدُهُ   إنَّ الشَّبَابَ لأَهْلِهِ لَخَؤونُ

---

[١] جحف : ضرب من الترس يتخذ من جلود الإبل .

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٢٦.

[٣] مؤتنف: من ائتنف: أي ابتدأ .

[٤] البحتري، الحماسة، ص٢٣٢.

[٥] المصدر نفسه، ص٢٣٥.

فالشاعر يرى أن في الشيب حلم، وأن في الشباب سفاه وجنون، وقد ولت عنه أيام الشباب وبقي وزرها عليه، وفراق الشباب يؤسف له على ما فيه من سفاهة، وصحبته فيه خيانة وغدر.

ومن الحكم التي تتحدث عن مكارم الأخلاق، هذه الحكم التي أوردها الزوزني في حماسته[١]:

قَدْ يَجْمَعُ المَالَ غَيْرَ آكِلِهِ   وَيَأْكُلُ المَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ   مَنْ قَرَّ عَيْناً بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ

وَصِلْ حِبَالَ البَعِيدِ ما وَصَلَ ال   حَبْلَ وَأَقْصِ القَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ

لا تَحْقِرَنَّ الفَقِيرَ عَلَّكَ أَنَ   تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

فالشاعر يطلب منا أن نرضى بنصيبنا من العيش، وأن لا نحتقر الفقير لفقره ، فربما تقلب الحال وأصبح الفقير غنياً، والغني الساخر به فقيراً، كما يطلب منا صلة البعيد ما وصلنا، وأن نقطع حبل القريب إن قطعه.

ومن ذلك شاعر آخر يدعو إلى تقوى الله والوفاء بالنذر والتحلل من الأيمان، وإكرام الضيف، والابتعاد عن منازل السوء، والتؤده إذا هم المرء بعمل سوء، والعجلة في عمل المعروف، وإتيان عمل الخير الأعف الأجمل إذا تشاجر في الفؤاد أمران[٢]:

اللهُ فاتقِهِ وأَوْفِ بِنَذْرِهِ   وإِذا حَلَفْتَ مُمارياً فَتَحَلَّلِ

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٧٠.

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٦٩-٤٧٠.

والضّيفَ أَكْرِمْهُ فإن مبيَتَهُ حَقٌ ولا تَكُ لُعْنَةٍ للنُّزّلِ

واتْرِكَ مَحَلَّ السَّوءِ لا تَحُلُلْ بِهِ فَإِذا نبا بكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوّلِ

وَإِذا هَمَمْتَ بِأَمْرِ سُوءٍ فاتَّئِدْ وإذا هَمَمْتَ بأَمْرِ خَيْرٍ فافْعَلِ

وإذا تَشَاجَرَ في فؤادِك مَرَّةً أَمْرانِ فاعْمِدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ

وينكر سعيد بن عبد الرحمن من يركض وراء تحصيل الرزق، ويقطع الفيافي الواسعة والصحاري المقفرة ابتغاء وراء ذلك، فالمرء ليس له إلا ما كتب له من الرزق مهما سعى، فقد يأتي الرزق للمقيم ويحرمه الحريص عليه[1]:

تُرى للرزقِ تَلْهَثُ كُلَّ يَوْمٍ يَطيرُ عَصائباً عَنْكَ القميصُ

مُجِدّاً في ابتِغاءِ المالِ تَطْوِي بِكَ الغِيطانَ ذَعْلَبَةٌ قَموصُ

فمالَكَ غَيْرُ ما قَد خُطَّ شَيءٌ وإِنْ كَثُرَ التَّقَلُّبُ والشُّخُوصُ

وَقَدْ يَأْتي المُقيَم الرِّزْقُ عَفْواً وَيَطْلُبُهُ فيحرُمُهُ الحَرِيصُ

ويذم دؤاد بن حمل الهمداني من يماطل بوعده، ويرى أن ذلك مما يزري وينقص من قدر الكريم[2]:

وَبَعْضُ مَوَاعِدِ الأَقْوَامِ كَادَتْ تَكُونُ أحَقُّ مِنْ دَيْنِ الغَرِيمِ

فَوَعْدُك لَا يُشِنْهُ المَطْلُ إنِّي رَأَيْتُ المَطْلَ يَزْرِي بالكَرِيمِ

---

[1] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٧٢.

[2] البحتري، الحماسة، ص١٧٤.

وآخر يفتخر بأدائه للأمانة، وينكر على من يخون أمانته[١]:

أَرْعى الأَمَانَةَ لا أَخُونُ أَمَانَتي   إنَّ الخَؤونَ على الطَّريقِ الأَنْكَبِ

ويرد عمر بن معدي كرب على عاذلته، ويرى أن البخل لا خير فيه، فالمال الجديد خير من القديم المخبأ، كما يفتخر بحلمه وبإكرامه لضيفه[٢]:

أعَاذِلَ إنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ   أَحَبُّ إليَّ مِنْ مَالٍ تِلادِ

وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ القَوْمِ حِلْمي   وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ القَوْمِ زَادِي

ونجد بشار بن برد يذم من يعاتب صديقه في كل شيء، ويرى أن من يفعل ذلك لم يبق له صاحب ولا خليل[٣]:

إذَا كُنْتَ في كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِباً   خَلِيلَكَ لَمْ تَلْقَ الذِي لا تُعاتِبُهْ

فَعِشْ وَاحِداً أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ   مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

إذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلى القَذَى   ظَمِئْتَ وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

أما ما يخص تقلبات الدهر نجد أن المخبل التميمي يتحدث عن فعل الأيام والسنين به، فقد أهرمنه، ويرد على أم عمرة أن تهزأ به فالحوادث من قبل لم تبق من لقمان أو تبع أحداً[٤]

أَتَهْزَأُ مِنِّي أُمُّ عَمْرَةَ إِنْ رَأَتْ   نَهَاراً وَلَيْلاً بَلَّيَانِي فَأَسْرَعا

---

[١] البحتري، الحماسة، ص٩١.

[٢] أبو تمام، الوحشيات، ص١٦٨.

[٣] المصدر نفسه، ص١٧٧.

[٤] البحتري، الحماسة، ص١١٣.

فإنْ أَكُ لاقَيْتُ الدَّهَاريرَ مِنْهُما   فَقَدْ أَفْنَيَا لُقْمانَ قَبْلُ وَتُبَّعَا

وآخر يعجب من صنع الدهر مع الشريف فقد وضعه الدهر كما رفع من قدر الوضيع، ويشبه ذلك بالبحر الذي رسب فيه لؤلؤه في الأسفل وعلا الجيف فوقه[١]:

دَهْرٌ علا قَدْرُ الوَضيع بهِ   وأَرى الشَّريفَ يَحُطُّه شَرَفُهْ

كالبَحْرِ يَرْسُب فيه لؤلؤُهُ   سُفْلاً وتعلو فَوْقَهُ جَيفُهْ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٩١٨.

الفصل الثالث

قضايا الشكل الفني

أبرز قضايا الشكل الفني في هذه الدراسة وتشمل:-

- مقدمات المقطوعات.

- القصة والحوار الشعري.

أولاً: مقدمات القصائد أو المقطوعات وحسن التخلص:

كتب الحماسات الشعرية بشكل عام، والحماسات –قيد الدراسة– بشكل خاص، تحتوي على مقطوعات مبثوثة بين ثنايا أبوابها. لذا فقد اهتم أصحابها فيها بالغرض الرئيسي دون تطلع إلى مقدمات. ففي مجال الحماسة نجد المقطوعات تحدثت عن هذا الغرض، وفي باب الرثاء تحدثت عن جانب الرثاء. وما يقال عن هذين، يقال عن الأبواب الأخرى كالمديح والفخر والوصف ... الخ. إلا أننا مع ذلك لا نعدم وجود مقدمات بسيطة لبعض المقطوعات، تليها الغرض الرئيسي. وهي لا تشكل كثرة كاثرة، بل هي نادرة مبثوثة في كتب الحماسات، ذلك أن المقصد الأساسي من كتب الحماسات هذه، ذكر المقطوعات التي يحكمها الغرض مباشرة دون أي تطلع إلى مقدمات أو مطالع غير رئيسية.

وهذه المقدمات هي:

- في الحماسة الشجرية وجدنا مقطوعة واحدة لشاعر أموي في باب الحماسة للشاعر: هدبة بن الخشرم العذري[١]، وهو عبارة عن بيت واحد يصف فيها زوال الشباب، ونزول الشيخوخة عليه.

طربتَ وأَنْتَ أحياناً طروبُ   وكَيف وقَدْ تَغَشَّاكَ المَشيبُ

- وفي حماسة أبي تمام نجد المقدمات التالية:

- مقدمة عبد الشارق بن عبد العزى، في مقطوعته المنصفة في باب الحماسة، وهي عبارة عن بيت واحد يصف فيها محبوبته[٢].

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٢٧–٢٣١.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٨٢.

- مقدمة المساور بن هند في نفس الباب، يصف فيها شيخوخته وانصراف الغواني عنه في أربعة أبيات[١].
- مقدمة عبيد بن ماوية في نفس الباب أيضاً، يصف فيها محبوبته وديارها[٢]، في بيتين.
- مقدمة الأخنس في باب الحماسة أيضاً، يصف فيها الطلل ويربطه بالمحبوبة في أربعة أبيات[٣].
- مقدمة البعيث بن حريث، في باب الحماسة، يصف فيها طيف محبوبته في بيت واحد[٤].

- مقدمة وضاح اليمن، في باب الحماسة، يصف فيها محبوبته ويتعرض لذكر طيفها في أربعة أبيات[٥].
- في الوحشيات، نجد مقطوعة للحارث بن طفيل الغنوي في باب الحماسة يصف فيها الطلل في بيتين[٦].
- في حماسة البحتري مقدمة لتأبط شراً تحت باب (فيما قيل في إدراك الثأر والاشتفاء من العدو)، يصف فيها محبوبته في بيتين أيضاً[٧].

بعد دراستنا لمقدمات الشعراء السابقين خلصنا إلى ما يلي:

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٨٤.
[٢] المصدر نفسه، ص١٠٨.
[٣] المصدر نفسه، ص١٣١.
[٤] أبو تمام، حماسة أبي تمام، ص٧١-٧٢.
[٥] المصدر نفسه، ج١٥،ص١.
[٦] أبو تمام: الوحشيات، ص٣٦.
[٧] البحتري: الحماسة، ص٤٩.

- كان الحظ الأوفر من المقدمات –على قلتها– في كتاب الحماسة لأبي تمام، حيث احتوت على ست مقطوعات فيها مقدمات لستة شعراء. أما سائر الكتب الحماسية فقد احتوت على مقطوعة واحدة لكل كتاب.
- تراوحت المقدمات من مقدمات لشعراء جاهليين ومخضرمين كما عند: عبد الشارق بن عبد العزى، والمساور بن هند، وعبيد بن ماوية، والأخنس في حماسة أبي تمام، والحارث بن طفيل الغنوي في الوحشيات، وتأبط شراً في حماسة البحتري، وبين شعراء أمويين كما عند البعيث بن حريث، ووضاح اليمن في حماسة أبي تمام، وهدبة بن الخشرم في الحماسة الشجرية.
- خلت حماسة الظرفاء من مقدمات للمقطوعات.
- اختلفت المقدمات في موضوعها، من وصف للطلل إلى وصف المحبوبة، إلى وصف طيف المحبوبة.
- زاد الشعراء الأمويون في مواضيع مقدماتهم إضافة إلى ذكر الطلل والمقدمة الغزلية، ذكر طيف المحبوبة كما عند وضاح اليمن والبعيث بن حريث.
- خلت مقدمات الشعراء في كتب الحماسات الشعرية –قيد الدراسة– من المواضيع الأخرى التي ذكرها الدكتور حسين عطوان في كتبه الثلاث(١) كوصف الظعن، والفروسية، والحنين إلى الوطن، والمقدمة الدينية.
- تراوحت عدد أبيات المقدمات، ما بين بيت واحد، وبيتين وثلاثة أبيات، وأربعة أبيات، ولم تتجاوز ذلك.

---

[1] أنظر عطوان، حسين، أ– مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، ب– مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام، ج– مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي.

والآن سوف أشرع في تحليل بعض مقدمات المقطوعات بادئاً ببيت هدبة بن الخشرم في حماسة ابن الشجري:

طربتَ وأَنْتَ أحياناً طروبُ   وَكيْفَ وَقَدْ تَغَشَّاكَ المَشيبُ

ذكر ابن الشجري أن هدبة قال مقطوعته التي منها هذه المقدمة وهو في (سجن معاوية ليؤخذ منه القصاص). وبغض النظر عن سبب سجنه أو ماذا يقصد بالقصاص الذي يريد معاوية أن يأخذه منه، نجد أن هذه المقدمة متلاحمة مع سائر أبيات القصيدة أو المقطوعة.

والمقطوعة مكونة من تسعة عشر بيتاً تحدث فيها هدبة عن مكارم أخلاقه من شجاعة وكرم وعون إلى آخره، كما تحدث في أولها عن الحوادث وصلب عوده أمامها، وأنه صابر قوي أمام حوادث الدهر ولعلَّ خشيته من الموت بقتل معاوية له أو غير ذلك هي التي دفعته إلى أن قال:

عَلى أَنَّ المَنَّيةَ قَدْ تُوافي   لِوَقْتٍ والنوائِب قَدْ تنوب[١]

بدأ هدبة قصيدته بتلك المقدمة التي ذكرناها، يتحدث فيها عن شيخوخته، فالشيب غطى رأسه مما حداه إلى أن يلتزم الوقار ويترك الطرب الذي هو من شأن الشباب. لذا فقد بدأ قصيدته بقوله: "طربتَ وأنتَ أحياناً طروبُ"، ويختم مطلع قصيدته بسؤال استفهامي "وكيف وقد تغشاك المشيب". فالشيب عنده مجلبٌ للهم ومصرف عن اللهو، ولذا فالبيت الذي يليه:

عَسى الكَرْبُ الذي أَمْسَيْتُ فيهِ   يكون وراءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وهو بيت موهم نوعاً ما، فقارئ المطلع يصرف ذهنه للوهلة الأولى إلى أن الشيب هو

---

[١] أنظر المقطوعة في ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص٢٢٧–٢٣١.

الكرب الذي يعنيه الشاعر، أما من يكمل سائر الأبيات يرى أن كربه هو السجن، فكان من براعة الشاعر ذكره لهذا البيت الثاني في هذا المقام، والذي يستدرج فيه إلى ذكر سائر أبيات القصيدة. فهو نوع من حسن التخلص لينطلق إلى بيان همه وألمه وحزنه. فالسجن وكبر السن والشيب هي من الهموم التي جلبت له.

ولا نستبعد أن يكون معاوية قد حبس الشاعر لأنه يتشبب في النساء، فالشاعر عذري، ولعل هذا المطلع أو لهذه المقدمة التي ذكرها جلبها ليبين لمعاوية رضي الله عنه توبته وإقلاعه عن هذا الأمر والله أعلم.

ومن هنا نقول بأن مقدمة قصيدته هي جزء من القصيدة، وإن اختلفت عنها في الجنس. ومقدمة الشباب والشيب هي من المقدمات القليلة في العصر الأموي كما قال الأستاذ حسين عطوان "أما في العصر الأموي فلم يكثر الفحول من استهلال قصائدهم بها، وبذلك تحولت على أيديهم من اتجاه فرعي – كما كانت في الجاهلية – إلى اتجاه ثانوي"[١]. ولولا أن الشاعر اضطر إلى تلك المقدمة اضطراراً كما أوضحنا لما ذكرها.

ومثل هدبة نجد أن الشاعر المساور بن هند في حماسة أبي تمام يتحسَّر على شبابه، فقد ولت أيام الشباب، وولى الأصحاب، ربما بموتهم، ويتساءل إلى أين الاتجاه وفيم البقاء. فهو يرى أن لا سبيل أمامه سوى الموت، فالموت يناديه من حيث لا يشعر. وبسبب شيبه هجرته الغواني، بعدما كن معجبات به. كما أنه فقد عينه إضافة إلى أن المشيب علا رأسه، حتى أن لحيته قد أصابها المشيب، كما أن ظهره قد تحنَّى وهو في مشيه تتيبس عنقه وتتشنج أخادعه مما يحدوه

---

[١] عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٧م، ص٩١.

إلى أن يقعس (يرفع رأسه إلى السماء)، وأحياناً يتعثر فيقع[١]:

أَودى الشَّبابُ فما لهُ مُتَقَفَّرُ　　وَفَقدْتُ أَتْرابي فَأينَ المَغْبَرُ

وأَرَى الغَواني بعْدما أوجَهْنَنِي　　أعرضْنَ ثُمتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرٌ

ورأَيْنَ رأسي صارَ وَجْهاً كُلّهُ　　إلّا قَفايَ ولِحْيَةً ما تُضْفَرُ

ورأينَ شَيْخاً قَدْ تَحنَّى صُلْبُهُ　　يَمْشِي فَيَقْعُسُ أو يُكِبُّ فَيَعْثُرُ

وبعد هذه المقدمة يشرع الشاعر في ذكر الغرض الرئيسي –وعيده لقبيلة ذبيان وحماسته وشجاعته في المعركة– ولا نرى أي رابط بين المقدمة والغرض الرئيسي إلا أنه قصد ببيتيه اللذين يليا المقدمة:

لمّا رَأَيْتُ النّاسَ هَرّوا فِتْنَةً　　عَمياءَ تُوْقَدُ نارُها وتُسَعَّرُ

وَتَشَعَّبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيْرَةٍ　　فِيها أَميُر المُؤْمِنينَ وَمِنْبَرُ

أن سبب شيبه هو تلك الفتنة التي عناها، وتفرق الناس والبلاد، واختلاف الأمراء. ولعل قوله "لمَّا" رابط ما بين المقدمة وهذا الشيء. فإن صدق ذلك كانت هذه المقدمة في حماسة أبي تمام شبيهة بتلك المقدمة التي وإن اختلف السبب. أفمن الممكن أن نقول بأن ابن الشجري قد تأثر بأبي تمام في هذه القصيدة؟!

ومما ميز المساور بن هند عن هدبة، أن هدبة ذكر المشيب صراحة في حين أن المساور كنى بذلك. لذا فنرى أن أبيات المساور أفضل من بيت هدبة.

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٨٤.

ونلتقي مع الأخنس في حماسة أبي تمام، ووصف الطلل يقول[١]:

فمنْ يَكُ أمسى في بِلادِ مُقامَةٍ	يُسائلُ أطلالاً لها لا تُجاوِبُ
فلابنةِ حِطَّانَ بنِ قيسٍ مَنازِلٌ	كما نَمَّقَ العُنْوانَ في الرِّقِّ كاتبُ
تُمَشِّي بها حُولُ النَّعامِ كَأَنَّها	إماءٌ تُزَجِي بالعَشِيِّ حَوَاطِبُ
وَقفِتُ بِها أَبْكي وأشْعَرُ سُخْنَةً	كما اعتادَ مَحْمُوماً بِخَيْبَرَ صالِبُ

فالشاعر في الظاهر يعقد مقارنة بين من أمسى يسائل الأطلال القفرة بعد رحيل أهلها عنها، وبين أطلال محبوبته (ابنة حطان بن قيس). فأطلالها جديدة خصبة، تشبه عنواناً نمقه كاتب في كتاب أو رسالة، ووصف الأطلال الخصبة بالكتاب أو سطور الكتاب كثيرة في دواوين الجاهليين. ويدل على هذا الخصب أن النعام تسير بها وقد شبهها الشاعر بالإماء اللواتي يحملن الحطب في وقت المساء. ثم يذكر الشاعر بأنه وقف في تلك المنازل يبكي، وقد أصيب بسخنة في جسمه وكأنه محموم. فما الرابط بين هذا البيت الأخير والأبيات السابقة؟!

لعل الشاعر وصف ديار محبوبته قبل أن يرحل أهلها عنها وتصبح أطلالاً، ثم إذا ما مرَّ بتلك الديار وقد عادت خالية من أهلها بكى وأصابته السخنة. ولعله يربط بين حاله تلك وبين كل من يبكي على الأطلال ويسائلها كما في البيت الأول. ولعله قصد بمن يسائل الأطلال في البيت الأول نفسه، والله أعلم.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى غرضه الرئيسي ويبدأها بالناقة السريعة التي عليها فارس أروع مقدام.

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٣١-١٣٢.

أما الحارث بن طفيل في الوحشيات، فيصف أطلالاً قفرة، عفا عليها الزمن، وتهدمت بعد أن كانت مبنية، ويدخل الأفلاك في حسابات هذه الأطلال، فهي سابقاً قد بنيت على سعد السعود –وربما قصد بشكل غير مباشر أن أهلها كانوا سعيدين فيها، ولم توضع على الدبران والقلب. والدبران هي "خمسة كواكب من الثور يقال: إنها سنامه، وهو من منازل القمر. وقيل: نجم بين الثريا والجوزاء"[١]. ومهما يقال فإن الدبران يتمركز في مركز رئيسي، في القلب أو الوسط. لكن هذه الديار لم توضع في هذا المكان الرئيسي، في القلب فهي على الأطراف لذا فقد أصبحت عرضة للسلب والنهب[٢].

لِمَنِ الدِّيّارُ عَفَوْنَ بالسُّهبِ بُنِيَتْ عَلَى خَطْبٍ مِنض الخَطْبِ

بُنَيتْ عَلَى سَعْدِ السُّعُودِ ولَمْ تُوضَعْ على الدَّبَرَان والقَلْبِ

ثم يحسن الشاعر التخلص بعد ذلك، ليبين لنا كيف تعرضت هذه الديار للسرقة والنهب، فلا تجد فيها سوى المقاتلة، والعجائز اللواتي يركضن بحثاً عن الأمن، ومدججين بالسلاح، دلالة على القتال.

ومن هنا نجد أن الشاعر ربط الأطلال في قصيدته هذه بالغرض الرئيسي وهو القتال والسلب، ولم يربطها بمحبوبته كما فعل الأخنس.

إِذ لا تَرَى إِلَّا مُقَاتِلَةً وَعَجَائِزاً يُرْقِلْنَ كَالرَّكْبِ

وَمُدَجَّجاً يَسْعَى بشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ كَالكَلْبِ

---

[١] مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (مادة دبر).

[٢] أبو تمام، الوحشيات، ص٣٦-٣٧.

وَمَعاشِراً صَدَأُ الحَديدِ عَلَيْهِمُ　　　عَبَقَ الهِنَاءِ مَخَاطِمُ الجُرْبِ

ثم يبين الشاعر بعد ذلك أن القبيلة الغازية هم بنو كعب، ويبين شجاعته وقدرته على مواجهة هذه القبيلة الغازية.

ومن المقدمات الغزلية نجد تأبط شراً في حماسة البحتري حيث يقول[١]:

يَقُولُ ليَ الخَلِيُّ وَباتَ حِلْساً　　　بِظَهر اللَّيْلِ شُدَّ بهِ العُكُومُ

أَطَبٌّ مِنْ سُعادَ عَناكَ مِنْهُ　　　مُراعاةُ النُّجُومِ أَمْ أَنْتَ هِيْمُ

فالشاعر يجالسُ خليه في منتصف الليل ساهراً، في حين غطى خليه نفسَهُ بثوب لينام، والشاعر في حالة قلق وسهر، فقال له الخلي حيث رآه على هذه الهيئة من السهر: هل أسهرتك محبوبتك سعاد فأصابك خلل بسببها فأصبحت تراقب النجوم، ثم يحسن التخلص حيث يبين لنا أن سبب سهره هو (صاحب بطن رهو) الذي ثارَ به، ليقتله أو يغزو قومهُ، فيبين لنا الخلي بأنه كفيل وزعيم في رد هذا المعتدي:

ولكِنْ ثارَ صَاحِبُ بَطْنِ رَهْوٍ　　　وصَاحِبُهُ فَأَنَا بهِ زَعيمُ

ونعود إلى حماسة أبي تمام لنأخذ وضاح اليمن وذكره لطيف محبوبته حيث يقول[٢]:

صَبَا قَلْبِي ومالَ إليكَ مَيْلاً　　　وَأَرَّقَنِي خَيالُك يا أُثَيْلا

يَمانِيةُ تُلِمُّ بِنا فَتُبْدي　　　دَقيقَ مَحاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيْلا

ذَرِيْني ما أَظُنُّ بَناتِ نَعْشٍ　　　مِنَ الطَّيْفِ الذي يَنْتابُ لَيْلا

---

[١] البحتري، الحماسة، ص٤٩.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١١٥.

ولكْن إنْ أَرْدتِ فَهَيَّجينا إذا رَمَقَتْ بأَعيُنِها سُهَيْلا

فالشاعر يعلن حبه وميله نحو محبوبته (أثيل)، وهي تبدي جمالها أمام الشاعر، وتستر ما يجب أن تستره من معصم وساعد وساق، ثم يبين لنا أن طيفها يراوده ليلاً، ويطلب منها أن لا تقلقه بطيفها، وأن تنسحب بطيفها عنه، ذلك لأن الشاعر مشغول عنها بغزوته نحو الروم. كما تبدو صورة القتال في الأبيات التالية لها، وكما بين لنا التبريزي في حماسته[١]، ولكنه يطلب منها أن تعرض طيفها له إن رأت ركابه متوجهة به إلى اليمن عائدة من الغزو إن رأت سهيلاً، بالنصر والسلامة.

أما البعيث بن حريث فهو يصف في مقدمته طيف المحبوبة أيضاً إذ يقول[٢]:

خَيالٌ لأُمِّ السَلْسَبِيلِ وَدُونِهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ للبَريدِ المُذَبْذَبِ

فَقُلتُ لَهُ أَهْلاً وسَهْلاً وَمرْحباً فَرَدَّتْ بِتَأْهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبِ

معاذَ الإلهِ أَنْ تكون كَظَبْيَةٍ ولا دُمْيَةٍ ولا عَقيلَةِ رَبْرَبِ

ولكنَّها زَادَتْ على الحُسْنِ كُلِّهِ كَمالاً وَمِنْ طِيْبٍ على كُلِّ طَيِّبِ

فالشاعر قد جاءه طيف محبوبته، أو خيالها، على بعد المسافة ما بينه وبينها ما يحتمل مسيرة شهر للبريد السائر دون أن يتوقف أو يستريح. ولكن لماذا جعلَ الشاعر كل هذه المسافة بعداً بينه وبين محبوبته؟

إنه مقدمة لذكر الفيافي (البلاد المقفرة الموحشة) فالشاعر إذا ما أراد رؤية حبيبته (أم

---

[١] أنظر التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ج١، ص٤٤٧.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٧١-٧٢.

السلسبيل)، عليه أن يقطع كل هذه المسافة مما يسبب له المشقة والتعب والجهد في سبيل الوصول إليها. كما يعلن الشاعر في بيت لاحق بأن منزله بعيد:

وإنّ مَسيرِي في البِلادِ ومِنْزِلِي   لبِالمَنْزِلِ الأَقْصَى إذا لَمْ أُقَرَّبِ

وقد رحب الشاعر بخيال المحبوبة أشد ترحيب (أهلاً وسهلاً ومرحبا) وقد ردت عليه بمثله، مما يدل على العلاقة المتينة ما بين الطرفين. ثم هو يربأ بصديقته أن تكون شبيهة ظبية أو دمية أو البقر الوحشي مما يصف فيه الشعراء محبوباتهم، بل هي تفوق كل هذا الوصف، فهي غاية في الحسن والجمال، فاقت كل وصف.

ثانياً: الحكاية والحوار الشعريان:

تحتوي كتب الحماسات الشعرية على كثير من القصص والحوار الشعريين، وهي مبثوثة في أبواب الحماسة والهجاء والرثاء والمديح إلى غيره من الأغراض. فلم يخل أي غرض منه. ذلك أن القصة هي وسيلة من وسائل التعبير وإيصال المعلومة إلى ذهن السامع بيسر وسهولة، إضافة إلى أنها وسيلة لذكر وقائع وأيام وحوادث الناس والأمم المتعاقبة، كما أنها وسيلة للتسلية والإمتاع. ويرى الدكتور القيسي أن الصورة القصصية التي تحتفض بها ذاكرة القصيدة العربية لم تكن صورة جاهزة أو مركبة، وإنما في امتداد حضاري لفكر مبدع ومسيرة فكرية لروافد وإبداعات إنسانية متراكمة، حققتها الذات العربية، وقدمتها عطاء أدبياً متطوراً[١]

فمن أنواع الحكاية نجد حكايات الحماسة، وحكايات الحيوان وحكايات الغزل والهجاء وغيرها، وقد اخترنا نموذجاً لكل نوع من هذه الأنواع .

فمن حكايات الحماسة نجد حكاية عمرو بن العاص حين يصف لنا معركة صفين بين الجيشين المختلفين: جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية.فالشاعر يفتخر بما قدمه في المعركة من جرأة وقتال، ويتباهى بشجاعته وقوة بأسه حتى إنه ليتراءى أمام (جمل) في ذلك. ولكنه لا يوضح لنا من هي جمل هذه: أهي امرأة يتغزل بها أو زوجته أو ابنته أو أنها من صنع خياله. والذي يرجحه صاحب هذه الدراسة أنها من صنع خياله، وضعها ليجاري فيها قصائد الشعراء الذين يذكرون اسم أنثى في شعرهم. كما أن إيمان (عمرو بن العاص) يمنعه من أن يتراءى أمام امرأة في قتاله، فقتاله خالص لوجه الله ، ولعل الشاعر عنى ب"جمل " تلك المعركة

---

١ - القيسي، نوري، ملامح من الشعر القصصي في الأدب العربي، مجلة كلية الأداب، جامعة بغداد، عدد٢٤، ١٩٧٩م، ص١٣١.

التي سبقت معركة " صفين "، وهي معركة الجمل ، والذي كان النصر فيه حليف العراقيين. فيصف عمرو بن العاص معركة الجمل بإمرأة حسناء مدللة

وصفين معركة شديدة تشيب منها الذوائب، ذلك أن كلا الفريقين يتسم بالشجاعة والقوة، لأن كليهما يرى الحق له. فيصف الشاعر فريق أهل العراق ويصف فريقه وكيف أن كلا الفريقين وقفا في بداية المعركة للتشاور وتبادل الرأي علها تكون حسماً للمعركة، وحفظاً لإهراق الدماء، فرأى فريق العراق من الفريق الآخر أن يبايعوا علياً. فرفض ذلك أهل الشام، فالتحم الجيشان في معركة ضارية:[١]

ولو شَهِدَتْ جُمْلٌ مُقامِي وَمْوقفي ... بِصِفِّينَ يَوْماً شابَ منها الذَّوائِبُ

غَداةَ أَتى أَهْلُ العِراقِ كَأَنَّهُمْ ... من البَحْرِ لُجٌّ مَوجُهُ متُراكِبُ

وجْئنا إليهِمْ في الحَديدِ كأنَّنا ... سَحَابُ خَريفٍ زَعزَعَتْهُ الجَنائِبُ

فقالوا: نَرى مِنْ رأينا أن تُبايعُوا ... عَلِياً فقلنا: بل نَرى أَنْ تُضارِبوا

فطارتْ إَلَيْنا بالرِّماحِ كُماتُهُمْ ... فَطِرْنا إليهمْ والسيوفُ قَوَاضِبُ

ولما أرادوا أن يَقُومُوا مُقامَنا ... أَبَيْنا عَلَيْهِم أَنْ تَزولَ المَنَاكِبُ

ويتجلى الحوار ما بين الفريقين واضحاً في البيت الرابع.

ويصف أنيف بن زبان شجاعة قومه في الحرب، فقد أعد لعدوه جيشاً ضخماً وكتائبَ عظيمة، من خيّالة ورجّالة، لا يعرفون الخوف، وفي المعركة نهلت منهم السيوف وعلّت، واشتد

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

القتالُ حتى هربوا تتبعهم أطراف الرماح[١]:

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيٍّ عَوْفٍ ومالِكٍ كتائبَ يُردي المُقرِفينَ نكالُها

لهُمْ عَجزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى وقد جاوزَتْ حَيَّيْ جَديسٍ رِعالُها

وتَحْتَ نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجلةٍ يُتاحُ لِغَرَّاتِ القُلُوبِ نِبالُها

أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو ناتِقٍ كانَتْ كَثِيراً عِيالُها

فَلَمَّا التَقَيْنا بَيْنَ السَّيْفُ بَيْنَنَا لِسائلَةٍ عَنَّا خَفِيٍّ سُؤالُها

وَلَمَّا تَدانَوْا بالرِّماحِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ القُنا منهُمْ وَعَلَّتْ نِهالُها

فَوَلَّوْا وَأَطْرافُ الرِّماحِ عَلَيْهِمُ قَوَادِرُ مَرْبُوعاتُها وَطَوالُها

وهذا عدي بن حاتم في معركة صفين، وهو يقف إلى جانب علي رضي الله عنه، يعلن أنه ثأر لخاله، حيث قتل الشخص المكنى ب (أبي بكر)، فجعله مخضباً بالدماء، بعد أن وضع رمحه فيه كما أنه قتل (ياسين) من قبل[٢]:

مَن مُبْلِغٌ أفْناءَ مَذْحِجَ أنني ثَأَرْتُ بِخَالي ثُمَّ لَمْ أَتأَثَّمِ

تَرَكْتُ أبا بَكْرٍ يَنُوءُ بِصدَرْهِ بِصِفِّينَ مَخْضوبَ الكُعُوبِ منَ الدَّمِ

يُذَكِّرُني ثَأْري غَدَاةَ لَقِيتُهُ فَأَجْرَرْتُهُ رُمحي فَخَرَّ على الفم

يُذَكِّرُني يَاسينَ حينَ طَعَنْتُهُ فَهَلا تَلاَ يَاسينَ قَبْلَ التَّقدُّمِ؟

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٣٠-٣١.
[٢] البحتري، الحماسة، ص٤٩.

ومن أنواع القص: قصص الغزل. فمن ذلك الحوار الذي دار ما بين الشاعر (وضاح اليمن) ومحبوبته في المقطوعة التالية[١]:

قَالَتْ أَلَا لَا تَلِجَنْ دَارَنَا ... إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرُ

أَمَا رَأَيْتَ القَصْرَ مِنْ دُونِنَا ... فَقُلْتُ إِنِّي فَوْقَهُ ظَاهِرُ

قالَت فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادٍ بِهِ ... فَقُلْتُ سَيْفِي صَارِمٌ بَاتِرُ

قَالَتْ فَإِنَّ البَحْرَ قَدْ أَمَّنَا ... قُلْتُ فَإِنِّي سابِحٌ مَاهِرُ

قَالَتْ أَلَيْسَ اللهُ مِنْ فَوْقِنا ... قُلْتُ بَلَى وَهوَ لَنَا غَافِرُ

قَالَتْ فَأَمَّا حِينَ أَعْيَيْتَنا ... فَأْتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ

فاسقُطْ عَلَيْنا كَسُقُوطِ النَّدَى ... لَيْلَةَ لا نَاهٍ وَلَا آمِرُ

فالمرأة المتغزل بها تحاول أن تبعد الشاعر عن أن يدخل بيتها وتتحجج بحجج متعددة، ففي المرة الأولى زعمت أن أباها غيور عليها فجعل حولها قصراً كي يحميها، وحيث ذكر الشاعر أنه قادر على المواجهة جاءت بحجة الليث المفترس، ثم بحجة البحر الغامر، ثم رؤية الله لها. وفي كل مرة يعلن الشاعر مجاوزته لكل الأمور، وتحديه لكل مقام، مما دعاها إلى الاستسلام لرأيه، فأمرته أن يأتيها حين ينام السمّار. فالحوار متبادل ما بين الطرفين، حيث تقول هي رأيها ويرد الشاعر عليها.

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٣٦.

أما الأحوص فيتحدث عن نفسه وعن صاحبته في المقطوعة التالية[١]:

خَليلانِ بَاحَا بالهَوى فَتَشَاحَنَتْ

أَقَارِبُهُما في وَصْلِهِ وَأَقارِبُه

أَلَا إنَّ أَهْوَى النَّاسِ قُرْباً وَرُؤْيَةً

وَرِيحاً إِذا ما اللَّيْلُ غَارَتْ كَواكِبُه

ضَجيعٌ دَنا مِنِّي جَذِلْتُ بِقُرْبِهِ

فباتَ يُمَنِّينِي وَبُتّ أُعَاتِبُه

ففي هذه المقطوعة نجد نوعاً من الالتفات. ففي البيت الأول تحدث الشاعر بصيغة الغائب، فقد أباح لها بحبه كما أباحت له هي بحبها أيضاً، وحين سمع أقاربهما بذلك حاولوا أن يحيلوا بينه وبينها.

ويصرح في البيتين اللذين يليهما بأن أحب الناس إليه قرباً ورؤية وريحاً إذا ما اشتد الظلام، الحبيب الذي يضاجعه ويفرح بقربه. ويتحدث عما حدث بينهما في تلك الليلة. فقد باتت تمنيه الأماني، وبات هو يعاتبها.

ومن ذلك قول مجنون ليلى[٢]:

تَجَنَّبْتَ لَيْلى حِينَ لَجَّ بكَ الهوَى ... وَهَيْهاتَ كَانَ الحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ

---

[١] الوحشيات، ص١٩٨.

[٢] أبو تمام، الوحشيات، ص١٩٨.

وَلَمْ أرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوقِفِ سَاعَةٍ بِخَيْفِ مِنىً تَرْمي جِمَارَ المُحَصَّبِ

وَيُبْدِي الحَصَا مِنْها إذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

فَأَصْبَحتُ مِنْ لَيْلى الغَدَاةَ كَنَاظِرٍ مَعَ الصُّبْحِ في أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ

ألاَ إنَّما غَادَرْتِ يا أُمَّ مَالِكٍ صَدىً أَيْنَمَا تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

فالشاعر –كما يظهر– يذهب إلى أداء مناسك الحج كي يرى محبوبته (ليلى) هناك. ولم يرها، فهو يخبرنا بأنها لم تكن هناك ترمي الجمار بيدها، وكان يراقب حركة يدها وهي ترمي الجمار، فتبدي أطراف بنانها المخضب. كان هذا قبل الفراق، فهو يعلن في البيت الأول بأنه فارقها، مما جعل الحب يشتد به، ولكنه لا يرى شيئاً من ليلى فهو ينتظر رغم يقينه بأنه لا يرى كمن ينظر في أعقاب نجم غاب، كما يخبرنا بأنه قد أصبح كالصدى الخالي، أينما تتوجه به الريح يذهب.

ومن أنواع الحكاية الشعرية: حكايات الحيوان. ومن أجمل ذلك قصيدة الفرزدق، التي يتحدث فيها عن ذئب دعاه لطعامه يوماً، فحضر الطعام، وأدار معه الحوار كما يتضح من الأبيات التالية[١]:

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَما كَانَ صاحِباً رَفَعْتُ لِنارِي مَوْهِناً فَأَتانِي

فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: ادْنُ دُونَكَ إنَّني وإِيّاكَ في زادي لَمُشْتَرِكانِ

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْني وَبَيْنَهُ على ضَوْءِ نارٍ مَرَّةً وَدُخانِ

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧٢١.

وُقلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضاحِكاً	وقائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدي بَمكانِ
تعشَّ فَإنْ عاهَدْتَني لا تخوُنني	نُكنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ
وَأَنْتَ امرؤ يا ذئبُ والغَدْرُ كُنْتما	أُخَيَّين كانا أُرْضِعا بِلِبانِ
ولو غَيْرَنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرى	رَماكَ بِسَهْمٍ أَو شَباةِ سِنانِ

فيخبر الشاعر الذئب بأن الزاد لهما معاً يشتركان فيه، فبات يقد الزاد بينه وبين الذئب على ضوء النار والدخان الساطع، ثم دعاه إلى أن يتعشى حين رآه مكشراً أنيابه وكأنه يضحك، وطلب منه أن لا يغدر به، فالغدر من طباعه وكأنهما –الذئب والغدر– توأمان أرضعا من أم واحدة. ويخبره أن هذا الذئب لو التمس الطعام من غير الشاعر لأوجره سهماً في فؤاده أو رما سنانه المدبب فيه .

والمقطوعة كما نرى تتراوح ما بين الفعل الذي يشكل الحركة، وما بين الحوار ما بين الشاعرالذي وجه كلامه للذئب.

ومن أنواع الحكايات: حكايات الهجاء. من ذلك ما هجا به النجاشي بني العجلان، فهم أهل لؤم وهوان، لا يعرفون الغدر ولا يظلمون أحداً –ذلك أنهم هم أنفسهم يُظلمون ويغدر بهم– وإذا ما وردوا الماء، فإنهم لا يستقون حتى يصدر الرواد كلهم عن الماء[١]:

إذا اللهُ عادى أهلَ لُؤمٍ ودَقَّة	فعادى بني العَجْلان رهطَ ابنِ مَقْبِل
قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدرِونَ بِذِمةٍ	ولا يَظْلِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٥٢.

وَلا يَرِدُونَ الماءَ إلاَّ عَشِيَّةً   إذا صدَرَ الوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ

ويقول رجلُ من طيء[1]:

إنَّ امْرَءاً يُعْطِي الأَسِنَّة نَحْرَهُ   وراءَ قُرَيْشٍ لا أَعُدُّ لَهُ عَقْلا

يَذُمُّونَ لِيَ الدُّنْيا وقد ذَهَبُوا بِها   فَمَا تَركوا فيها لُمِلْتَمِسٍ ثَعْلاً

فهو ينفي العقل والرزانة عمن يهرب، ويلوي ظهره لعدوه من قريش. ثم وصف الخلفاء والأمراء بأنهم يذمون الدنيا وهم يأتونها من كل وجه حرصاً عليها. وذكر الثعل: وهو: زيادة في أخلاف الشاة، دلالة على حرصهم على الدنيا.

ومن ذلك ما قيل على نوع من السخرية في حماسة الظرفاء كقول أبي جعفر البحاث[2]:

ظَلَّ يُغَنَّي فَظِلْتُ أَبْكِي   أَنْتَشِفث الدَّمْعَ بالعَمَامَهْ

قَالَ تَعَشَّقْتَ قُلتُ كَلَّا   لَسْتُ مِن الحُبِّ في قُلامَهْ

صَوْتُكَ هذا الذِي سَمِعْنا   ذَكَّرَنَا صَيْحَةَ القِيَامَهْ

فهو يستنكر صوته في الغناء، ويستقبحه مما دعاه إلى البكاء حتى ظن المغني أن بكاءه بسبب عشقه ولكن الشاعر أنكر أنه عاشق وأخبره بأن صوته في الغناء ذكره بصيحة القيامة.

ومنها قول ابن دريد[3]:

أناسٌ أَمِنَّاهُمْ فَنَمُّوا حَدِيثَنَا   فَلَمَّا كَتَمْنا السِّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

---

[1] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٩٥-٢٩٦.

[2] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص٧٩-٨٠.

[3] المصدر نفسه، ج٢، ص٨١.

فَلَا هُمْ رَعَوْا حَقَّ المَوَدَّةِ بَيْنَنَا وَلَا حِينَ هَمُّوا بالقَطِيعَةِ أَجْمَلُوا

فالشاعر يستنكر على مثل هؤلاء الناس إفشاءهم للسر فإذا ما كتم الشاعر عنهم سره غضبوا لذلك. فهم لم يرعوا حق المودة بينهم وبين الشاعر، ولا أجملوا القطيعة.

ومن صور الحكاية والحوار: صورة العاذلة. وهي التي تلوم الشاعر على كرمه الكثير أو جبنه في المعركة، أو حماسته الزائدة للقتال. وعادة ما تكون العاذلة زوجة الشاعر. وتظهر كثيراً في باب الحماسة وباب المديح والأضياف.

فمن ذلك رد عنترة على امرأته وقد لامته بسبب إيثاره فرسهُ (بالصبوح) أي شراب الصباح[١].

لا تذكري فَرَسي وما أطعَمْتُهُ فيكونَ جلدُكِ مثلَ جِلْدِ الأجربِ

إنّ الصبوحَ لَهُ وأنتِ مَسُوءَةٌ فتأوّهي ما شئتِ ثم تَحَوَّبي

فهو يحذرها أن تلومه على أن آثر فرسهُ بالطعام كي لا تتعرض للضرب المبرح، وهذا معنى قوله "فيكون جلدك مثل جلد الأجرب" أي من كثرة الضرب، فيقرر بأن طعام وشراب الصباح له وإن لم يعجبها ذلك.

ومن ذلك قول صهر بن سالم الصنبري يرد على لوم امرأته له لأنه كثير العطاء والكرم:[٢]

لقد بكرتْ أُمُّ الوليدِ تَلومُني ولم أجْتَرِم جُرْماً فقلتُ لها مهلاً

فلا تعذُليني في العَطاءِ ويسِّري لِكُلِّ بَعِيرٍ جاءَ طَالِبُهُ حَبْلا

فإنِّيَ لا تَبْكي عليَّ إفالُها إذا شَبِعَتْ مِنْ رَوْضِ أَوْطانِها بَقْلا

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٨-٢٩.

[٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٣٢٣.

فلم أرَ مِثْلَ الإبْلِ مالاً لُمِقْتَرٍ ولا مِثْلَ أيّامِ الحُقُوقِ لها سُبْلا

ومن ذلك قول بعض اللصوص وقد لامته زوجته لأنه يكسب المال والطعام بالسيف والسهام، خوفاً عليه من نتيجة سيئة لذلك[١].

لَعَلَّكِ أَنْ يَسُوءَكِ أَنْ تَرينِي أُرِيغُ المَالَ بِالأَسَلِ الطِّوَالِ

فَسَرَّكِ أنْ أكونَ جَليسُ بَيْتٍ اُصَفِّقُ بِاليَمينِ على الشِّمَالِ

وأَنَّ نِسَاءَ حَيِّكِ نَاعِمَاتٌ وأَنَّكِ بَيْنَهُنَّ بِشَرِّ حَالِ

ذَرِيني أَبْتَغِي نَشَباً فإِنِّي رَأَيْتُ الفَقْرَ داعِيةَ السُّؤالِ

رَأَيْتُ الفَقْرَ– وَيْبَ أبيكِ– ذُلاً وَمَا عَزّ امرؤٌ إلا بِمَالِ

ومن ذلك اعتزاز الشاعر الصعلوك وافتخاره بقوة قدميه على الفرار والركض، ويسوق في مقطوعته طريقته للفرار:[٢]

قالَتْ سَلامَةُ: لَمْ تَكُنْ لَكَ عادَةٌ أَنْ تَتْرُكَ الأَصْحابَ حَتَّى تُعْذِرَا

لَوْ كانَ قَتْلٌ يا سَلامُ فَراحَةٌ لكِنْ فَرَرْتُ مَخافَةَ أَنْ أُوسَرَا

وَسَبَقْتُ قَبْلَ المُقْرِفينَ فَوارِساً لِبَني فَزارَةَ دَارِعِينَ وَحُسَّراً

فَمَنَحْتُهُمْ كتِفَيَّ وَهْي مُصِرَّةٌ تُذْرِي سَنَابِكُها التُّرابَ الأَغْبرا

وَحَمَلْتُها فِي الوَعْر ثُمَّ حَدَرْتُها فِي السِّهْلِ إِذْ مَنَعُوا الطَّريق الأَيْسَرا

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٢٢.

[٢] البحتري، الحماسة، ص٥٦.

ولم تظهر المرأة في كتب الحماسات على شكل عاذلة دائماً، فكثيراً ما يوجه الشعراء الكلام لها، اما لترى شجاعة زوجها[١] في المعركة، وما قدمه من بطولة في قتاله، كقول عامر بن الطفيل:

طُلِّقتِ إنْ لم تَسْأَلِي أَيُّ فارسٍ حَلِيْلكِ إذْ لاقَى صُدَاءً وخَثْعَما

أَكُرُّ عليهِمْ دَعْلَجاً، ولَبَانَهُ إذا ما اشْتَكَى وَقْعَ الرِّماحِ تَحَمْحَمَا

وإما ليطلب منها أن تقدم ما عندها من طعام للضيوف[٢]:

يا رَبَّةَ البَيْتَ قُومي غيرَ صاغِرَةٍ ضُمِّي إليكِ رِجالَ القَوْمِ والقُرُبا

وخَبِّريهم أَندنيهمِ ونُنْزِلُهُمْ في باحَةِ الدَّارِ أَمْ نَبْني لهُمْ قُبَبَا

في ليلةٍ مِنْ جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ لاُ يْبصِرُ الكَلْبُ مِنْ ظَلْمائِها الطُّنُبا

وقد يتحدث عنها بصيغة الغائب، محاولاً منها أن ترى موقفه في المعركة وما قدمه من بطولةٍ ويسأله، كمقطوعة عمرو بن العاص السابقة في هذه الرسالة[٣].

---

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٢٠.

[٣] أنظر المقطوعة، ص١٣٤ من هذه الرسالة.

الفصل الرابع

رواية المقطوعات الشعرية بين كتب الحماسات والاختيارات الشعرية

الفصل الرابع

رواية المقطوعات الشعرية بين كتب الحماسات والاختيارات الشعرية

يتضمن هذا الفصل الحديث عن :

- رواية الشعر العربي القديم
- بين الحماسة الشجرية وكتب الاختيارات والحماسات الأخرى .
- بين حماسة أبي تمام وكتب الاختيارات والحماسات الأخرى .
- بين الوحشيات وكتب الاختيارات والحماسات الأخرى .
- بين حماسة البحتري وكتب الاختيارات والحماسات الأخرى .
- بين حماسة الظرفاء وكتب الاختيارات والحماسات الأخرى .

رواية الشعر العربي القديم :

ما وصل الينا من الشعر العربي القديم – ولاسيما الجاهلي – إلا أقله ، وذلك أن معظمه قد ضاع بين طيات الزمن ، إضافة ألى أن معظمه قد تعرض للنحل والتحريف والوضع . يقول أبو عمرو بن العلاء : " ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراَ لجاءكم علم وشعر كثير " [١]

وما سلم من هذا الشعر – القلة القليلة – تعرض للمحص والتدقيق والمراجعة من قبل علماء أفذاذ ، انبروا له يفحصونه حتى ميزوا سقيمه من صحيحه ، وزيفه من صالحه . لذا يمكن الأطمئنان إلى أن معظم ما وصل إلينا من أشعار الجاهليين والإسلاميين وما بعدهم هو صحيح ، القلة منه فقط لم يسلم من النحل أو الاختلاف فيه بين العلماء .

ومن أهم الرواة الذين قاموا برواية الشعر العربي القديم في القرنين الثاني والثالث الهجريين : أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ، وحماد الراوية (ت١٥٦هـ) ، والمفضل الضبي (ت١٦٨هـ) ، وخلف الأحمر (ت١٨٠هـ) ، والأصمعي (ت ٢١٦هـ) .

وقد كان الشعر قبل هؤلاء يروى شفاهاً، إلى أن ظهر أمثال هؤلاء ، فاعتمدوا على دواوين الشعراء ، ودواوين القبائل ، إضافة إلى الرواية الشفوية عن شعراء عصرهم .

وقد ظهرت الكتب النقدية القديمة تتهم بعضهم بالتدليس والكذب وتبرئ أخرين . وقد ظهر الاختلاف ما بين المصادر القديمة حول هؤلاء العلماء الرواة . فمن ذلك قول ابن الأعرابي عن حماد الراوية : " سمعت المفضل الضبي يقول : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده ، فلا يصلح أبداً ، فقيل له فكيف ذلك : أيخطئ في روايته أو يلحن ؟ قال : ليته كان

---

[١] الحموي، ياقوت، أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٠٦هـ)، معجم الأدباء، ج١٩، ص١٦٤-١٦٥.

كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب . ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعايبهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الأفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ "[١].

ومنه ما اتهم به خلف الأحمر ، مما ذكره أبن خلكان من قول أبي زيد الأنصاري : " حدثني خلف الاحمر قال : أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر ، فبخلوا علي به ، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح .... "[٢].

ومن الروايات التي توثق خلف الأحمر قول ابن سلام : " خلف بن حيان ، أبو محرز ، وهو خلف الأحمر – أجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقهم لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه "[٣].

وقد عالج الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد هذه الروايات بدقة، كما عرض لآراء المستشرقين والعرب في ذلك. وأكد صحة ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي المروي عن طريق هؤلاء الرواة، وأرجح أسباب التناقض في الروايات القديمة إلى عدة أسباب أهمها : المعارك الأدبية ما بين مدرستي : الكوفة والبصرة، والعصبية القائمة ما بين الطرفين، وما يوجهه كل منهما إلى الآخر من اتهامات باطلة.[٤]

---

[١] الحموي، ياقوت، معجم الأدباء ج١٩، ص١٦٤ – ١٦٥

[٢] المصدر السابق، ص١٦٥-١٦٦

[٣] الجمحي، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ط، دار المعارف

[٤] انظر الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٦م . وانظر موضوع الرواة أيضا في، الدقاق، عمر، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٩٧٢م، ص٢٩-٣٤.

بعد هذه المقدمة التاريخية السريعة، نتطرق إلى ذكر اختلاف رواية المقطوعات ما بين كتب الحماسات الشعرية، ونضيف هنا إلى ذلك كتب الاختيارات الشعرية.

فإن أصحاب الحماسات قد نقلوا عن بعضهم، مقطوعات كما نقلوا عن كتب الاختيارات أيضا. ولم يكتفِ أصحاب الحماسات بالأخذ عن الآخرين فقط، بل رجعوا إلى عدة مصادر أدبية ونقدية قديمة استفادوا منها، واختاروا أنسب الروايات لهذه المقطوعات، لذا فإن المقطوعة قد تختلف ما بين الحماسة والأخرى، وقد تتشابه، حسب الذوق الفني عند أصحابها فيما اختاروا من روايات مناسبة لها.

وقد يختار الواحد منهم أبياتاً زائدة على أبيات الحماسة السابقة له، أو تختلف أيضا ترتيب أبيات المقطوعة الواحدة ما بين الاثنين منهم أو الأكثر. وقد يكون شاعر القصيدة التي أخذت منه المقطوعة مختلفاً عند الآخر عنه عن الأول، فقد يرجح شاعرٌ له غير ما قاله السابق له. وقد يكون الشاعر مجهولاً عند السابق أو لم يذكره صراحة فيذكره الآخذ عنه.

وهنا سوف نرى هذه الاختلافات بين المقطوعات الشعرية بين هذه المصادر، بأن نذكر المقطوعة المتشابهة ما بين كل كتابين أو أكثر، ثم نبين أوجه الاختلاف بينهما أو بينها. ونبدأ بذكر الحماسة الرئيسة في المقارنة – الحماسة الشجرية – حيث نذكر المقطوعات المتشابهة فيها مع الحماسات والاختيارات الأخرى مرتبة ترتيباً تاريخياً، ثم نعود لنذكر أوجه التشابه بين حماسة أبي تمام والبحتري والظرفاء والحماسات والاختيارات الأخرى .

وسوف نضيف في هذا المقام كتاباً اختيارياً غير حماسي لابن الشجري وهو مختاراته، كما أننا سوف نتطرق لذكر مقطوعة واحدة من كل كتاب – أخذا بالاختصار– ، ونشير إشارة

سريعة إلى عدد المقطوعات التي أخذها كل واحد عن الآخر. ونشير في آخر الأمر إلى بعض المصادر التي أخذها كل منهم إضافة إلى كتب الحماسات والاختيارات الشعرية.

بين الحماسة الشجرية وكتب الاختيارات والحماسات الأخرى :

- بين الحماسة الشجرية والمفضليات :

من المعروف أن المفضليات للمفضل الضبي هي أقدم المصنفات الاختيارية التي وصلت إلينا. وقبلها كان الرواة يصنعون شعر القبائل ويجعلون منها كتاباً. وقد احتوت المفضليات على مئة وست وعشرين قصيدة ، يضاف إليها أربع قصائد ألحقت بها وجدت في بعض النسخ.

وقد تعرض لشرحها خمسة من الأعلام فيما عرفوا أولهم أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت. ٣٠٥ هـ) ، ومنهم ابن النحاس (ت ٣٣٨هـ)، والمرزوقي (ت ٤٢١ هـ) والتبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، والميداني(ت ٥١٨) .[١]

وقد لمسنا إحدى وعشرين مقطوعة مشتركة ما بين الحماسة الشجرية والمفضليات. وقد اخترنا منها المقطوعة التي تحمل رقم (١٨١) وهي آخر مقطوعة في باب الحماسة عند ابن الشجري، وتحمل رقم (٨٩) في المفضليات. والشاعر في كلا الكتابين هو الحارث بن ظالم المري إلا أنه ورد في المفضليات اسمه بدون ألف (الحرث)، وقد أضاف ابن الشجري قصة المقطوعة حيث أن الشاعر (كان قتل ابناً للأسود أخي النعمان بن المنذر، ولجأ إلى قومه، فأبوا أن يمنعوه من النعمان، فلحق بمكة وانتمى إلى قريش).

---

[١] الضبي، المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ط٣، ص٢٣.

والمقطوعة في الحماسة الشجرية خمسة أبيات، وفي المفضليات قصيدة مكونة من ثلاثة وعشرين بيتاً. وسنذكر هنا الأبيات المتشابهة في كلتا الروايتين.

في المفضليات :[١]

٨- فما قَومِي بِثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ ولا بِفَــزَارَةَ الشُّعْرى رِقابـــا

٩- وقَومي إِنْ سَأَلْتَ بنو لُؤَيٍ بِمَــكَّةَ عَلَّموا الناسَ الضِّرابـــا

١٠- سَفِهنا باتِّباعِ بني بَغيضٍ وتَرْكِ الأقربينَ بنا انتســـابـــا

١٢- سَفَاهَةَ فارِطٍ لَمّا تَرَوَّى هَرَاقَ الماءَ واتَّبَعَ الـــسَّرابـــا

١٤- فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَني لُؤيٍ عَرَفْتُ الوُدَّ والنَسبَ القُرَابـــا

وقد وردت الأبيات السابقة في مقطوعة ابن الشجري كالتالي :

١ - سَفِهْنا باتِّباعِ بني بَغيضٍ وتَرْكِ الأقربينَ لنا انتســـابـــا

٢ - سَفَاهَةَ فارِطٍ لَمّا تَرَوَّى هَراقَ الماءَ واتَّبَعَ الـــسَّرابـــا

٣ - فَلَمَّا أَنْ رَأَيتُ بَني لُؤَيٍ عَرَفْتُ الوُدَّ والنَسبَ القُرَابـــا

٤ - فَمَا قَومِي بِثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ ولا بـــفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابـــا

٥ - وقَومي إِنْ سَأَلْتَ بنو لُؤَيٍ بِمَكَّةَ، عَلَّموا الناسَ الضِّرابا

[١] الضبي، المفضل الضبي، المفضليات، ص٣١٣-٣١٦ .

ويكمن الاختلاف ما بين الاثنين في البيت الأول، فقد وردت لفظة (بنا) في الشطر الثاني من البيت الأول في المفضليات، تقابلها (لنا) في الحماسة الشجرية. وقد وردَ في البيت الرابع من المفضليات (الشعرى رقاباً)، بمد فتحة الراء بألف مقصورة في (الشعرى) وتنكير كلمة (رقابا). وقد وردت في الحماسة الشجرية (الشعرَ الرقابا) بقصر(الشعر) وتعريف كلمة (الرقابا). أما سائر الأبيات فهي متشابهة.

وقد اختلف ترتيب الأبيات ما بين الكتابين، فالبيت الأول من الحماسة الشجرية يقابله العاشر في المفضليات، والثاني يقابله الثاني عشر، والرابع يتقلص إلى الثامن في المفضليات، والخامس يقابل التاسع في المفضليات.

-بين الحماسة الشجرية والأصمعيات:

الأصمعيات هي الكتاب الثاني من كتب الاختيارات الشعرية التي تلي المفضليات في الزمن، وقد احتوت على اثنتين وتسعين قصيدة. وقد ذكر العلامة الشنقيطي في مقدمتها عنوانا لها : "وهذه بقية الأصمعيات، التي أخلت بها المفضليات".[١]

وقد رجح محققا الأصمعيات على ضوء هذه العبارة، " أن هذه الأصمعيات كانت ملحقة بنسخة المفضليات العتيقة التي نقلت منها" [٢]أي التي نقل منها الشنقيطي.

وقد اخترنا في هذا الموضع المقطوعة التي تحمل رقم (١٩) في الأصمعيات ، وتحمل رقم (٦٥٧) في باب مقتطفات من غزل جماعة من المحدثين، وهي ثلاثة أبيات في الحماسة الشجرية وسبعة وعشرين بيتاً في الأصمعيات.

---

[١] الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب (ت٢١٦هـ)، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٩٤م، ص٥.

[٢] المصدر السابق، ص٥.

تقول المقطوعة في الأصمعيات:[١]

١٤- وَمُنْشَقٍّ أعْطافِ القَميصِ دَعَوتُهُ　　وَقَدْ سَدَّ جَوْزُ اللَّيْلِ كُلَّ سَبيلِ

١٥ – فَقُلْتُ لَهُ : قد طالَ نَوْمُكَ فَارتَحِلْ　　وما ذاقَ طَعْمَ النَّومِ غيرَ قَليلِ

١٧- وَقَدْ شَالَتِ الجَوْزاءُ حتَّى كَأَنَّها　　فَساطيطُ رَكْبٍ بالفَلاةِ نُزولِ

وفي الحماسة الشجرية :[٢]

١- وَمُنْقَدٍّ أكْنافِ القَميصِ دَعَوتُهُ　　وقَدْ مالَ حَوْزُ اللَّيلِ كُلَّ مميلِ

٢- فَقُلْتُ لَهُ : قد طالَ نَوْمُك فَارتَحِلْ　　وما ذاقَ طَعْمَ النَّومِ غيرَ قَليلِ

٣ – وَقَدْ لاحتِ الجَوْزاءُ حتَّى كَأَنَّها　　فَساطيطُ رَكْبٍ بالفَلاةِ نُزولِ

فقد ورد في الشطر الأول من البيت الأول في الأصمعيات (ومنشق أعطاف القميص)، بينما وردت في الحماسة الشجرية (ومنقد أكناف القميص). ويرى صاحب الدراسة أن (ومنقد) أفصح بدليل قوله تعالى عن سيدنا يوسف " إن كان قميصه قُدَّ من دبر".[٣]

فيما ورد في الشطر الثاني عند الأصمعي (وقد سد جوز الليل كل سبيل)، وهي عند ابن الشجري (وقد مال جوز الليل كل مميل). ورواية ابن الشجري أكثر كناية. كما وردت في البيت الثالث في الأصمعيات (وشالت الجوزاء) أما في الحماسة الشجرية فهي (لاحت الجوزاء) وقوله (وشالت) أكثر استعارة، أما البيت الثاني فهو متشابه عند كل منهما.

---

[١] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، ص٧٣-٧٦.

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية ج٢، ص٧٣٢.

[٣] سورة يوسف، آية رقم ٢٧.

بين الحماسة الشجرية وديوان الحماسة لأبي تمام :

ورد في ديوان الحماسة المقطوعة التي تحمل رقم (٦٢٠) في باب الهجاء، وقد وردت أيضا في الحماسة الشجرية، المقطوعة (١٩٤) في باب اللوم والعتاب. وهي في باب اللوم والعتاب أليق لأن ابن الشجري ذكر فيها البيت : (وما بال قوم صديق منك ليس لي ......)

فقد وصف القوم الموجه الخطاب نحوهم بـــ (الصديق). وهذا البيت موجود عند ابن الشجري، وليس هو عند أبي تمام.

والشاعر عند أبي تمام هو (قعنب بن أم صاحب) بينما نسبه ابن الشجري إلى قبيلته (قعنب الغطفاني).

يقول قعنب بن أم صاحب :[1]

١ -إنْ يَسمعوا رِيَبةً طارُوا بها فَرحاً	منِّي وما سَمِعُوا مِنْ صالِحٍ دَفَنُوا
٢ -صُمٌ إذا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ	وإنْ ذُكـِـرْتُ بِــشَرٍّ عِنْدَهُــمْ أَذِنُوا
٣ -جَهْلاً عَلَيْنا وَجُبْناً عنْ عَدُوِّهُمُ	لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ : الجَهْلُ والــجُبُنُ

وفي الحماسة الشجرية يقول قعنب الغطفاني:[2]

١- ما بالُ قومٍ صديقٍ مْنِكَ لَيْسَ لَهُمْ	عْهدٌ ولَيْسَ لَهُمْ دينٌ إذا ائتُمِنَوا
٢- صُمٌ إذا سَمِعُوا خَيْراً ذكِرْتُ بِهِ	وَإنْ ذُكِــرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أذِنُوا
٣ -جَهْلاً عَلَيْنا وَجُبْناً عَنْ عَدُوِّهِمُ	لَبِئسَتِ الخَلَّتانِ: الجَهْلُ وَالجُبُنُ

[1] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٩٠ .

[2] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨.

نجد أن البيتين الثاني والثالث متشابهان عند كل منهما، بينما البيت الأول مختلف عند كليهما.

بين الحماسة الشجرية والوحشيات :

ورد في الوحشيات المقطوعة (٤٠) في باب الحماسة، وهي في الحماسة الشجرية تحمل رقم (١٥٨) من نفس الباب لأحد الشعراء الصعاليك وهو (ابن براقة الهمداني) في الوحشيات و (عمرو بن براقة الثمامي) عند ابن الشجري. والمقطوعة في اثنا عشرة بيتاُ في الوحشيات، وفي الحماسة الشجرية ثلاثة أبيات.

يقول ابن براقة الهمداني :[1]

٢- وكَيفَ يَنامَ اللَّيلَ مَنْ جُلَّ مالِهِ   حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أبْيَضَ صارِمُ

٣- أَلَمْ تَعْلَمي أنَّ الصَّعاليكَ نَوْمُهُمْ   قَليلٌ إذا نـــامَ البَطِينُ المُسَالِـــمُ

٧- مَتى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكيَّ وصارِما   وأَنفــــاً أَبِيَّاً تَجْتَنِبْكَ المَظَالِــمُ

يقول عمرو بن براقة الثمالي: [2]

١- أَلَمْ تَعْلَمي أنَّ الصَّعاليكَ نَوْمُهُمْ   قَليلٌ إذا نـــامَ الخليُّ المُسَالِــــمُ

٢- وكَيفَ يَنامُ اللَّيلَ مَنْ جُلُّ مالِهِ   حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أبْيَضَ صارِمُ

٣-مَتى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكيَّ وصارِما   وأَنْفــاً حَمِيَّــاً تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

---

[1] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨ .

[2] ابو تمام، الوحشيات، ص٣١ .

نجد أن هناك اختلافاً في ترتيب الأبيات عند أبي تمام عنه عند ابن الشجري، فالبيت الثاني عند أبي تمام يقابل البيت الأول عند ابن الشجري، والبيت الثالث عند أبي تمام يقابل البيت الأول عند ابن الشجري، أما البيت السابع في الوحشيات فهو الثالث عند ابن الشجري. ونجد هناك اختلاف بين لفظة (البطين المسالم) في الوحشيات و (الخلي المسالم) في الحماسة الشجرية في البيت الثالث في الوحشيات والأول في الحماسة الشجرية.

بين الحماسة الشجرية وحماسة البحتري:

ورد في حماسة البحتري تحت باب (فيما قيل في ترك ما نبا بك من المنازل والبلدان) مقطوعة لعبد قيس بن خفاف التميمي وهي بيتان، في حين أن المقطوعة في الحماسة الشجرية المقطوعة (٣٩١) باب الأدب تسعة أبيات. وسنذكر الأبيات المتشابهة بينهما فقط :

يقول عبد قيس بن خفاف التميمي :[١]

احْذَرْ مَحَلَّ السَّوءِ لا تَحْلُلْ بِهِ   وَإذا نَبَـــا بِك مَنْزِلٌ فَتَحَولِ

دَارُ الهوَان لِمَنْ رَآهَا دَارَهُ   أَفَرَاحِلٌ مِنْها كَمَنْ لَمْ يَرْحَلِ

وفي الحماسة الشجرية يقول عبد قيس بن خفاف : [٢]

٦- واتْركْ مْحَلَّ السَّوءِ لا تَحْلُلْ بِهِ   فَإذا نبا بكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ

---

[١] البحتري، الحماسة، ص١٤٥.

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٤٦٨-٤٧٠.

نجد أن البيت الثاني عند البحتري مختلف عن سائر أبيات الحماسة الشجرية، فالبيت المتشابه بين الحماستين هو البيت الأول عند البحتري والسادس عند ابن الشجري فقط. أما سائر أبيات ابن الشجري الثمانية الأخرى فمختلفة.

ورد في بيت البحتري (احذر محل السوء) وهي عند ابن الشجري (واترك محل السوء). واختلف في الشطر الثاني حرف الاستئناف الواو (وإذا نبا بك) والفاء عند ابن الشجري (فإذا نبا بك).

ونجد أن جميع الأبيات في الحماسة الشجرية تشكل حكماً تصلح أن يقتدي بها البحتري في حماسته، إلا أن البحتري تقيد بعنوان الباب كي يشاكل أبياته (فيما قيل في ترك ما نبا بك من المنازل والبلدان). فالأبيات الأخرى حكماً لا تشاكل هذا العنوان.

بين الحماسة الشجرية وحماسة الظرفاء :

ذكر الزوزني بيتين لشريح بن القاضي وجهها لامرأته، المقطوعة (٢١) من باب الأدب والحكمة، وهي المقطوعة (١٧٧) من باب الحماسة لابن الشجري، ولكن الشاعر هو عامر بن عمرو البكاري عند ابن الشجري يوجهها لامرأته أيضاً. وقد ذكرنا سابقاً أن باب الحماسة يحتوي على الكثير من الحكم والأدب، فليس بدعاً من ابن الشجري ذكرها في هذا الباب.

وهي ثلاثة أبيات عند ابن الشجري.

قال شريح بن القاضي أبو أمية لامرأته :[١]

١- خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي   وَلا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٨٠.

٢- فَإِنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ فِي القَلْبِ وَالأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

وعند ابن الشجري قال عامر بن عمرو البكاري لامرأته : [١]

١- خُذي العَفْوَ مِنِّي تَسْتديمي مَوَدَّتي ولا تَنْطقي في سَوْرَتي حين أَغْضَبُ

٢- ولا تَنْقُريني نَقْرَكِ الدُّفَّ مَرَّةً فإنَّـك لا تَدْرِينَ كَـيْفَ الـمُغَيَّب

٣- فإني رأَيْتُ الغَيْظَ في الصَّدر والأَذى إذا طـالَ يَمْحُـو كُـلَّ وُدٍّ فَيَذْهَبُ

نجد أن البيتين الأولين عند كل منهما متشابه، في حين أن ابن الشجري أحضر بيتاً جديداً عنه عند الزوزني، وهو البيت الثاني عنده، وهو بيت يحتوي على استعارة جميلة، في حين أن البيت الثالث عند ابن الشجري فيه شيء من الشبه من بيت الزوزني (البيت الثاني) وفيه اختلاف أيضاً.

بين الحماسة الشجرية ومجموعة المعاني :

كتاب " مجموعة المعاني" هو لمؤلف مجهول، رجح محققه أنه من رجال القرن الخامس الهجري حسب الشعراء الواردين فيه إذ ينتهي الشعر إلى العصر العباسي وفي القرن الرابع منه والخامس الهجريين،[٢] وقد مدح محقق الكتاب بأنه (أوسع مدى من المفضليات والأصمعيات في مختاراته، وأكثر تنويعاً من أبي تمام، وأجود ترتيباً من حماسة البحتري)[٣]

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٣٩-٢٤٠ .

[٢] انظر مجموعة المعاني، لمؤلف مجهول، تحقيق عبد المعين الملوحي، خلا سدار، دمشق، ص١١.

[٣] المصدر نفسه، ص٩.

وقد قسمه المؤلف إلى معان كثيرة تشبه تلك التي عند البحتري فالمعنى الأول مثلاً (في الحض على التقوى ورفض الدنيا) والمعنى الرابع (في الأدب والحكم) والمعنى الثاني والخمسين (ما قيل في المراثي)، وهكذا ويبلغ مجموع المعان مئة على التمام. آخرها (الحكم والنوادر). ولذلك فليس بدعاً أن نقول بأنه تأثر بالبحتري في هذا المجال .

وقد وجدنا هنا تشابهاً كثيراً ما بين ابن الشجري ومجموعة المعاني يبلغ عدد أربعة وستين موضعاً. منها اخترنا المقطوعة في المعنى الثاني والخمسين وهي (ما قيل في المراثي) في مجموعة المعاني، يقابلها المقطوعة (٢٣٦) في باب الرثاء عند ابن الشجري. وهي في كلتا المقطوعتين للشاعر الشمردل بن شريك اليربوعي، وتتكون من تسعة أبيات في المجموعة، وثمانية في الحماسة الشجرية. والأبيات في كلا الكتابين مختلفات، سوى البيت الرابع والخامس عند كليهما فهما متشابهان. وسنذكر البيتان المتشابهان فقط.

في مجموعة المعاني :[١]

٤ -وكنتُ أُعيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى

فَأَنْتَ عَلى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهْ

٥ -أَعَيْنَيَّ إنْ أبكاكُما الدَّهْرُ فابكِيا

لِمنْ نَصْرُهُ قَدْ بَـــانَ عَنَّا وَنَائِلُــــهْ

ويقول ابن الشجري: " وقال الشمردل بن شريك اليربوعي يرثي أخاه وائلا "[٢]

---

[١] مجموعة المعاني، لمؤلف مجهول، ص٢٩٣-٢٩٤.

[٢] الحماسة الشجرية، ج١، ص٢٣٦ .

٤ - وكنتُ أُعيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى

فَأَنْتَ عَلى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِــلُهْ

٥- أَعَيْنَيَّ إِنْ أبكاكُما البَيْنُ فابْكِيا

لِمنْ نِصرْهُ قَدْ بانَ عَنَّا وَنَائِــلُهْ

نجد أن البيت الرابع عند كليهما متشابه تماماً. أما البيت الخامس فقد ورد (أبكاكما الدهر) في المجموعة و (أبكاكما البين) عند ابن الشجري. والبين الجمل. كما ورد في الشطر الثاني في المجموعة من نفس البيت (بان منا) في حين هو عند ابن الشجري (بان عنَّا).

بين الحماسة الشجرية ومختارات ابن الشجري:

ذكرنا في الفصل الأول أن لابن الشجري كتاباً آخر من مختاراته سماه " مختارات شعراء العرب"، وقد قسَّم مختاراته إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول يتكون من اثنتي عشرة قصيدة، هي قصيدة للقيط بن يعمر الإيادي، وأخرى لعقنب ابن أم صاحب، وثالثة لأعشى باقلة، ورابعة لحاتم الطائي، وخامسة لبشامة بن عمرو، وسادسة للنمر بن تولب، وسابعة للشنفري، وثامنة لكعب الغنوي، وقصيدتان للمتلمس، وقصيدتان لطرفة.

أما الجزء الثاني فهو خمس وعشرون قصيدة، لزهير بن أبي سلمى سبع، ولبشر بن أبي خازم ست، ولعبيد بن الأبرص اثنتا عشرة.

وفي الجزء الثالث مختارات من شعر الحطيئة وهي ثلاث عشرة قصيدة سوى المقطوعات.

والمقطوعات المتشابهة في كلا الكتابين تبلغ خمس مقطوعات، لذا فمن الممكن القول بأن ابن الشجري استحسن أن يذكر بعض المقطوعات في مختاراته من حماسيته أو العكس.

وقد اخترت المقطوعة التي تحمل الرقم (٦٣٧) من الحماسة الشجرية في باب الصفات والتشبيهات، تقابلها القصيدة التي تحمل القصيدة رقم (٥) في الجزء الأول من المختارات، وهي لبشامة بن عمرو بن هلال، وهي مكونة من أربعة عشر بيتاً في الحماسة الشجرية، وأربعة وعشرين بيتاً في المختارات. وسنذكر هنا الأبيات المتشابهة مع الحماسة الشجرية فقط.

أورد ابن الشجري في مختاراته :[1]

وقال بشامة بن عمرو بن هلال :

١- هَجَرْتَ أَمُامَةَ هَجْراً طَويلاً　　　وَحَمَّلَكَ النأْيُ عِبْئـاً ثَقيلاً

٢- وَبُدِّلْتَ مِنْها على نَأْيِها　　　خَيالاً يُوافي ونَيْـلاً قَـليلا

٣- وَنَظْرَةَ ذي عَلَقٍ وامِقٍ　　　إِذا ما الرَّكائبُ جَاوَزْنَ مِيلا

٤- وَقامَتْ تُسائِلُ عن شَأْنِنا　　　فقُلْنا لَهَا قَدْ عَزَمْنا الرَّحِيلا

٥- فبادرَها ثَمَّ مُسْتَعْجِلٌ　　　مِنَ الدَّمْعِ يَنضَحُ خَدَّاً أَسِيلا

٦- ومَا كان أَكْثَرُ ما توَّلتْ　　　مِنَ الوُدِّ إلا صِفاحـاً وقِيلا

١٠- فَمَرَّتْ على كُشُبٍ غُدْوَةً　　　وجازَتْ بِجَنْبِ أرَيكٍ أَصِيلا

١١- تَوطَّـأُ أَغْلَظَ حِزَّانِهِ　　　كَوَطءِ القَويِّ العَزيزِ الذَّليلا

[1] ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٥٥- ٦٤.

١٢ – إِذا أَقْبَلَتْ قُلتُ مَذْعورةٌ   من الرُّبْدِ تَتْبَعُ هِيقاً ذَمُولا [١]

١٣– وإذا أَدْبَرَتْ قُلتُ مَشْحونَةٌ   أَطَاعَتْ لَها الريُح قِلْعاً جَفُولا

١٤ – تَعُزُّ المَطي جِماعَ الطَّريقِ   إذا أَدْلَجَ الرّكبُ لَيْلاً طَويلاً

١٥– كَأَنَ يَدَيْها إذا أَرْقَلَتْ   وَقَدْ جُرْنَ ثم اهتَدَينَ السَّبيلا

١٦– يدا عائِمٍ في غَمْرَةٍ   فَأَدْرَكَهُ الموتُ إلَّا قَليلا

وفي الحماسة الشجرية :[٢]

وقال بشامة بن عمرو بن هلال من قصيدة أولها:

١– نَأَتكَ أُمامَةُ نَأْياً طَويلا   وحَمَّلَكَ الَّنأْيُ عِبْئاً ثَقيلاً

٢– وبُدِّلْتَ مِنْها على نَأْيِها   خَيالاً يُوافي وَنَيْلاً قَليلا

٣– وَنَظْرَةَ ذي عَلَقٍ وامِقٍ   إِذا ما الرّكائبُ جَاوَزْنَ مِيلا

٤– ومَا كان أَكْثَرُ ما نَوَّلَتْ   مِنَ الوُدِّ إلا صِفاحاً وقِيلا

٥– وَقامَتْ تُسائِلُ عن شَأْنِنا   فَقُلْنا لَها قَدْ عَزَمْنا الرَّحيلا

٦– فبادَرها ثَمَّ مُسْتَعْجِلٌ   مِنَ الدَّمْعِ يَنْضَحُ خَدّاً أَسِيلا

٧– فلماَ يئسْتُ كَسوتُ القُتودَ   ناجيةً عَنْتريسا ذَمولا

---

[١] الهيق: الظليم، والذمول: الذي يسير سيراً سريعاً ليناً .

[٢] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج٢، ص٧١٢–٧١٥.

٨- كَأَنَ يَدْيها إذا أَرْقَلَتْ وَقَدْ جُرْنَ ثم اهْتَدَينَ السَّبيلا

٩- يدا مائِحِ خَرَّ في غَمْرَةٍ فَأَدْرَكَهُ الــمَوتُ إلَّا قَلــيلا

١٠- إذا أَدْبَرَتْ قلتُ مَشْحونَةٌ أَطاعَتْ لَها الريحُ قِلْعاً جَفُولا

١١- وإنْ أَقْبَلَتْ قلتُ مذعورةٌ من الرُّبْدِ تَتْبَعُ هَقْلاً ذَمولا

١٢- تَعُزُّ المَطيَّ جِماعَ الطَّريقِ إذا أَدْلَــجَ الرّكب لَيْلاً طَويلا

١٣ – فَمَرَّتْ على كُشُبٍ غُدْوَةً وجــازَتْ بِجَنْبِ أَريكٍ أَصيلا

١٤- تَوَطَّأْ أَغْلَظَ حِزَّانِهِ كَوطءِ الــقَويِّ العَزيزِ الذَّليلا

من حيث ترتيب الأبيات: نجد أن الأبيات الثلاثة الأولى في الحماسة الشجرية والمختارات متشابهتان إلا في بعض الاختلاف، لذا نرى أن ابن الشجري حافظ على ترتيبها في كلا الكتابين. أما البيت الرابع في الحماسة فيقابله البيت السادس في المختارات، والخامس في الحماسة يقابله الرابع في المختارات، والبيت السادس يقابله البيت الخامس. أما البيت السابع في الحماسة فهو مختلف تماما عن أبيات المختارات. والبيت الثامن في الحماسة يقابله البيت الخامس عشر في المختارات، والبيت التاسع يقابله السادس عشر، والعاشر يقابله الثالث عشر، والحادي عشر يقابله الثاني عشر، والثاني عشر يقابله الرابع عشر، والبيت الثالث عشر يقابله العاشر في المختارات، والبيت الرابع عشر في الحماسة يقابله الحادي عشر في المختارات. وهكذا نجد أن الأبيات في كلا الكتابين مختلفة في ترتيبها اختلافاً كبيراً.

أما من حيث تغير الألفاظ، فنجد أن ابن الشجري استخدم (هجرت أمامه هجراً طويلاً) في المختارات في حين استخدم (نأتك أمامة نأيلا طويلاً) في الحماسة الشجرية، وهو فارق

عظيم ما بين البيتين. فالأول هو من هجر أمامة بينما في الحماسة أمامة من نأته. وهذا في البيت الأول عند كليهما.

وفي البيت التاسع في الحماسة يدا مائح يقابله البيت السادس عشر (يدا عائم). وفي البيت العاشر في الحماسة (إذا أدبرت) بينما هي في البيت الثالث عشر في المختارت (وإن أدبرت). والبيت الحادي عشر في الحماسة: (وإن أقبلت) بينما هي (إذا أقبلت) في البيت الثاني عشر في المختارات. وفي الشطر الثاني من نفس البيت في الحماسة (تتبع هقلاً) وهي في المختارات (تتبع هيقاً).

ولعل المعنى واحدٌ عند كليهما. حيث يعني النعام أو ذكر النعام. أما سائر الأبيات فمتشابهة .

ولعلَّ سائلاً يسأل: لماذا تعمَّد ابن الشجري ذكر روايتين لقصيدة واحدة مختلفة حسب اختلاف الكتاب؟

نقول: نعتقد أن ابن الشجري قد أخذ مصدرين مختلفين من مصادره التي استعان بهما في ذكر القصيدة أو المقطوعة وذلك ليبين لنا مدى اختلاف الرواة في روايتهم للقصيدة، فأحدهم رواها كما هي في الحماسة، وآخر رواها كما هي في المختارات، فاختلف المروي. واختلفت المصادر في ذكر الروايات المختلفة لهذه القصيدة. وما يقال عن هذه يقال عن باقي القصائد أو المقطوعات، وقد يكون اختلاف الروايات هو من تحريف النساخ .

بين الحماسة الشجرية والحماسة البصرية :

لقد أخذ صدر الدين علي بن أبي الفرج البصري الكثير عن الحماسة الشجرية ، وبالتالي الكثير عن باقي كتب الحماسات الشعرية .

وحماسته تشكل أكبر كتب الحماسات الشعرية حجماً، إذ تحتوي على أربعة مجلدات ضخمة، حصرها فيها محققها عادل جمال. فهو قد أخذ عن ابن الشجري في مئة وتسعين موضعاً.

منها هذه المقطوعة في باب المديح عند كليهما، والتي تشكل المقطوعة رقم (٣٨٥) عند البصري، والمقطوعة (٣٠٦) عند ابن الشجري. وهي مكونة عند البصري من خمسة أبيات، وعند ابن الشجري أحد عشر بيتاً للشاعر مروان بن أبي حفصة. وسنعتمد هنا الأبيات المتشابهة للاختصار.

في الحماسة البصرية :[1]

١- تَدارَكَ مَعْنٌ قُبَّةَ الدِّينَ بَعْدَما	خَشِينا عَلى أَوتــادِهِ أَنْ تُنَــزعا
٢- أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ المَخُوْفِ وهاشِمٌ	تَــساقَى سِماماً بِالأَسِنَّةِ مُنْقِعــا
٣- وما أَحْجَمَ الأَعْداءُ عَنْكَ بَقِيَّةً	عَلَيْكَ ولكنْ لم يَرَوا فيكَ مَطْمَعا
٤- رَأَوْا مُخْدِرا قَدْ جَرَّبُوه وعاينوا	لَدى غِيلِهِ مِنْهُم مَجَرَّاً وَمَصرَعا
٥- لَقَدْ أَصْبَحَتْ في كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبِ	بِسَيْفِكَ أَعْناقُ المُريبينَ خُضَّعَا

[1] البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٦ هـ)، الحماسة البصرية، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، طـ ١، ٢٠٠٠م ، ج٢، ص٣٨٥.

وفي الحماسة الشجرية :[١]

١- تداركَ مَعْنٌ قُبّةَ الدِّينِ بَعْدَما خَشِينا عَلى أَوتــادِهِ أَنْ تُنَزعــا

٨- وما أَحْجَمَ الأَعْداءُ عَنْكَ بَقّيةً عَلَيْكَ ولكنْ لم يَرَوا فيكَ مَطْمَعا

٩- رَأَوْا مُخْدِرا قَدْ جَرَّبُوه وعاينوا لَدى غِيلِهِ مِنْهُمْ مَجَرَّاً ومَصْرَعا

الأبيات الثلاثة عند ابن الشجري متشابهة مع أخواتها عند البصري تماماً. إلا أن هناك اختلاف في ترتيب الأبيات. فالبيت الثاني عند البصري هو الثامن عند ابن الشجري، والرابع عند البصري هو التاسع عند ابن الشجري. وقد أورد البصري بيتين جديدين لم يذكرهما ابن الشجري وهما البيتان الثاني والخامس، في حين أن ابن الشجري قد ذكر أبياتاً أخرى قد أظرب عليها البصري صفحا .

وفي نهاية هذا البحث المشترك ما بين الحماسة الشجرية وكتب الحماسات والمختارات الشعرية الأخرى – أذكر بإيجاز بعض المصادر الأخرى غير كتب الحماسات والمختارات، والتي نتوقع أن ابن الشجري اعتمد عليها أو على بعضها في ذكر مقطوعاته، وهي كثيرة مثبوتة بين ثنايا هوامش الكتاب. منها: الأمالي للقالي، وأخبار النساء، وأساس البلاغة، وتزيين الأسواق، والحيوان للجاحظ، وزهر الآداب، وسمط اللآليء، وشذرات الذهب، وشرح نهج البلاغة، والصداقة والصديق، والعقد الفريد، والكامل للمبرد، والمؤتلف والمختلف، ومرآة الجنان، وثناء الأوهار، والوافي بالوفيات، ويتيمة الدهر إضافة إلى الدواوين الشعرية المختلفة .

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٩٠ – ٣٩٢ .

بين حماسة أبي تمام وكتب الحماسات والمختارات الشعرية الأخرى:

نجد هناك مقطوعات متشابهة بين كتاب ديوان الحماسة لأبي تمام، وكتب المختارات الشعرية الأخرى وهي: المفضليات، والأصمعيات، ومختارات ابن الشجري. وكتب الحماسات الشعرية : كحماسة البحتري والحماسة الشجرية ومجموعة المعاني والحماسة البصرية.

بين ديوان الحماسة والمفضليات:

ورد في ديوان الحماسة مقطوعة لمعاوية بن مالك الكلابي من ثلاثة أبيات وهي المقطوعة (٤٢٣) من باب الأدب، يقابلها في المفضليات للشاعر نفسه القصيدة رقم (١٠٥) في خمسة وعشرين بيتاً.

في المفضليات:[١]

١٥- أعوِّد مثلها الحُكَماء بعدي إِذا ما الحَقُّ في الأَشْياعِ نَابا

١٦- سبقتُ بها قُدامَةَ أَوْ سُمِيْرا ولو دُعِيـا إلى مثلٍ أجابـا

١٩- سأَحْمِلُها وتَعْقِلُها غَنيٌ وأُورِثُ مَجْدَهـا أبداً كِلابـا

وفي ديوان الحماسة مع الرواية: " وقال العباس بن مرداس، قال أبو رياش: هذا الشعر لمعاوية بن مالك، معوِّد الحكماء، وسمي معود الحكماء بقوله: [٢]

١- أُعوِّد مثلها الحُكَماء يوماً إذا ما مُعضلُ الحَدَثانِ نابـا

وعند " ص"، وقال معاوية بن مالك الكلابي، معود الحكماء: أعود .... البيت ، وبعده

---

[١] ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج١، ص٣٩٠ – ٣٩٢ .

[٢] أبو تمام ، ديوان الحماسة ، ص٢١٢.

٢- سأَعقِلُها وتَحْمِلُها غَنِيٌ   وأُورِثُ مَجْدَها أبداً كِلابا

٣- سبقتُ بها أُسامَةَ أو سُمَيْرا   ولو دُعِيا إلى مثلٍ أجابا

هناك اختلاف ما بين لفظة " أُعَوّد " في المفضليات و " أعُودُ " في حماسة أبي تمام. من حيث الحركة والمعنى، وبينتهي الشطر الأول في البيت الأول بكلمة " بعدي" في المفضليات، وكلمة " يوما" في ديوان الحماسة .

أما الشطر الثاني فهو في المفضليات : " إذا ما الحق في الأشياع نابا"، بينما هو في ديوان الحماسة: " إذا ما معضل الحدثان نابا". وفي البيت السادس عشر عند المفضل الضبي في الشطر الأول " قدامة أو سميرا" بينما هي عند أبي تمام " أسامة أو سميرا ". وفي البيت التاسع عشر في المفضليات مخالفة بين " سأحملها وتعقلها" وبين " سأعقلها وتحملها " عند أبي تمام.

هذا وإن البيت الأول عند أبي تمام يصادف البيت الخامس عشر في المفضليات، والثاني التاسع عشر، والثالث يتقلص إلى السادس عشر.

بين ديوان الحماسة وحماسة البحتري :

لقد لمسنا ثلاثة عشر موضعاً من المقطوعات متشابهة بين ديوان الحماسة وحماسة البحتري.

منها المقطوعة التي تحمل رقم (٦٣٠) في باب الهجاء في ديوان الحماسة، وتحت الباب الثاني والثمانين" فيما قيل في الغدر والخيانة و ذمهما " عند البحتري، وهي خمسة أبيات في ديوان الحماسة، وبيتان في حماسة البحتري. والشاعر عند أبي تمام هو (عارق أجأ) ونسبه البحتري إلى قبيلته (عارق الطائي) .

في ديوان الحماسة : [1]

١- مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ رِسالَةً	إذا استَحْقَبَتْها العيسُ تُنْضَىَ مِنَ البُعْدِ
٢- أيوعِدُني والرَّمْلُ بَيْني وَبَيْنَه	تَبَيَّنْ رُوَيْداً مـــاأُمَامَةُ مـــنْ هِـــنْـــد
٣- ومِنْ أَجاً حَوْلي رِعانٌ كأَنَّها	قَنابلُ خَـــيْـــلٍ مِنْ كُمَيْتٍ ومِنْ وَرْدِ
٤- غَدَرْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أنْتَ اجتَذَبْتَنا	إلـــيهِ وبِـــئْسَ االشِّيمَةُ الغَدْرُ بالعَهْدِ
٥- وقدْ يَتْرُكُ الغَدْرُ الفَتَى وطَعامُهُ	إذا هُوَ أمْسَى حَـــلْبَةٌ مِنْ دَمِ الـــفَصْدِ

وفي حماسة البحتري : [2]

١- غَدَرْتَ بِأَمْرٍ أَنْتَ كُنْتَ دَعَوْتَنَا	إِلَيهِ ، وَشَرَّ الشيمَةِ الـــغَدْرُ بالـــعَهْد
٢- وَقَدْ يَتْرُكُ الغَدْرَ الفَتَى وَطَعَامُهُ	إِذَا هُوَ أَمْسَى جُـــلَّـــةٌ مِنْ دَمِ الفَصْدِ

فقد اختار البحتري البيتين الرابع والخامس عند أبي تمام ليضمنهما الباب، وترك سائر الأبيات حتى يتناسب ذلك مع عنوان الباب. فالموضع ليس موضع حماسة عنده ، وإنما الحديث عن الغدر والخيانة وذمهما.

نجد أن أبا تمام اختار " اجتذبتنا إليه " في البيت الرابع، في حين اختار البحتري " دعوتنا إليه " ، كما اختار أبو تمام " وبئس الشيمة " في حين انتقى البحتري " وشر الشيمة " . وفي البيت الثاني نجد أن أبا تمام انتقى " حلبة من دم الفصد" ويفسره محقق الكتاب: والمراد أنه

---

[1] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٢٩٤-٢٩٥

[2] البحتري، الحماسة، ص١٦٨.

كان الرجل إذا جاع فصد له عرق بعير فيتلقى الدم ويوضع في معىً ويشوى ". والمقصود إذا كان الفتى لا يساوي شيئاً. بينما هي عند البحتري " جلة من دم الفصد " والمعنى واحد.

بين ديوان الحماسة ومختارات ابن الشجري :

لمسنا مقطوعة واحدة مشتركة ما بين ديوان الحماسة لأبي تمام ومختارات شعراء العرب لابن الشجري. هي المقطوعة (٦٢٠) في باب الهجاء عند أبي تمام، وتقع في القسم الأول وهي القصيدة الثانية منه وهي مختارات شعراء العرب لابن الشجري.

والشاعر هو قعنب بن أم صاحب عند كلا الكتابين. والمقطوعة ثلاثة أبيات في ديوان الحماسة، واثنتين وعشرين بيتاً في مختارات ابن الشجري. وسنعمد إلى ذكر الأبيات المتشابهة في كلا الكتابين جلباً للاختصار.

في ديوان الحماسة : [1]

١- إنْ يَسمعوا رِيبَةً طارُوا بها فَرحاً   منِّي وما سَمِعُوا مِنْ صالِحٍ دَفَنُوا

٢- صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ   وإنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِــنِــدَهُمْ أَذِنُوا

٣- جَهْلاً علينا وجُبْناً عنْ عَدُوِّهُمُ   لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ: الــجَهْلُ والجُبُنُ

وفي المختارات : [2]

١٥- إنْ يَسمعوا رِيبَةً طارُوا بها فَرحاً   منِّي وما سَمِعُوا مِنْ صالِحٍ دَفَنُوا

١٦- صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ   وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِــنْدَهُمْ أَذِنُوا

---

[1] أبو تمام : ديوان الحماسة ، ٢٩٠ .

[2] ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، ص٢٣-٣٠.

٢٠- جَهْلاً علينا وُجْبناً عنْ عَدُوِّهُمُ لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ : الجَهْلُ والجُبُنُ

نجد أن أبا تمام اختار في الشطر الاول من البيت الاول (طاروا بها) بتعدية الفعل بحرف الجر الباء، بينما عدّاها ابن الشجري باللام (طاروا لها). واختار أبو تمام في الشطر الثاني من البيت الثاني (ذكرتُ بشر) في حين اختار ابن الشجري (بسوء). اما البيت الثالث فهو متشابه تماماً في كلا الكتابين.

أما عن ترتيب الأبيات فنجد أن البيت الأول عند أبي تمام يقابله البيت الخامس عشر عند ابن الشجري، والثاني يقابله السادس عشر، أما البيت الثالث فيقابله البيت العشرون.

أما الحماسة الشجرية فقد ذكرنا عند الحديث عن المقطوعات المتشابهة بينها وبين كتب الحماسات والمختارات الشعرية الأخرى عن بعض أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين حماسة أبي تمام. [١]

بين ديوان الحماسة والحماسة البصرية :

التمسنا مئة وأربع وعشرين مقطوعة متشابهة ما بين الحماسة لأبي تمام والحماسة البصرية. وهو- صدر الدين البصري- أكثر من أخذ عن حماسة أبي تمام.

من ذلك مقطوعة أبي خراش خويلد بن مرة ، وهي في باب المراثي عند أبي تمام، تحمل رقم (٢٦٣)، ورقم (٤٧٦) في باب التأبين والرثاء عند البصري. والمقطوعة ستة أبيات عند كليهما.

---

[١] راجع (١٥٣-١٥٤) من هذا البحث.

في ديوان الحماسة :[١]

١- حَمِدْتُ إلهي بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا	خِرَاشٌ وبعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
٢- فَوَاللهِ ما أنْسَى قتيلاً رُزِئْتُهُ	بِجانِبِ قُوسَي ما مَشَيْتُ على الأَرْضِ
٣- على أَنَّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنَّما	تُوَكَّلُ بالأُدنَى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِي
٤- ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليهِ رِداءَهُ	على أَنَّه قدْ سُـلَ عَنْ ما جِدٍ مَحْضِ
٥- ولم يَكُ مَثْلوجَ الفُؤادِ مُهَيَّجاً	أَضاعَ الشَبَـابَ في الرَّبيلَةِ والخَفْضِ
٦- ولكنَّهُ قدْ نَازَعَتْهُ مَجـاوِعٌ	على أَنهُ ذُو مِرَّةٍ صادِقٌ النَّـهْضِ

وقد وردت المقطوعة في الحماسة البصرية كالتالي :[٢]

١- حَمِدْتُ إلهي بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا	خِرَاشٌ وبعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
٢- فَوَالله لا أَنْسَى قتيلاً رُزِئْتُهُ	بِجانِبِ قُوسَى ما مَشَيْتُ على الأَرْضِ
٣- على أنَّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنَّما	نُوَكَّلُ بالأُدنَى ، وإذْ جَلَّ مـا يَمْضِي
٤- ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليهِ رِداءَهُ	على أَنَّه قدْ سـُلَّ مِنْ ما جِدٍ مَحْضِ
٥- ولم يَكُ مَثْلوجَ الفُؤادِ مُهَيَّجاً	أَضاعَ الشَّبابَ في الرَّبيلَةِ والخَفْضِ
٦- ولكّنهُ قدْ نَـازَعَتْهُ مَجـاوِعٌ	على أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صادِقُ النَّهْضِ

[١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٤١.
[٢] البصري، الحماسة البصرية ، ج٢، ص٦٣٦ – ٦٣٧.

نلاحظ من المقطوعتين أن ترتيب الأبيات فيهما واحد. كما نجد أن البيت الأول في كل منهما متشابه تماماً. أما البيت الثاني فقد ورد فيه في الشطر الأول منه في حماسة أبي تمام (ما أنسى)، بينما هي في الحماسة البصرية (لا أنسى). وفي الشطر الثاني من البيت الثالث في ديوان الحماسة (توكل) بضمير الغائب بينما هي في الحماسة البصرية (نوكل) بضمير المتكلمين.

وفي البيت الرابع في ديوان الحماسة (من ماجد) بينما هي في الحماسة البصرية (عن ماجد). أما البيتين الخامس والسادس في كلا الكتابين فهما متشابهان تماماً .

مما تميزت به الحماسة البصرية عن ديوان الحماسة في هذه المقطوعة أنها أوردت قصة المقطوعة في حين أن أبا تمام لم يذكر لها قصة.

بين الوحشيات وكتب الحماسات والمختارات الشعرية الأخرى:

وجدنا مقطوعات مشتركة ما بين كتاب الوحشيات وكتب الحماسات والمختارات الشعرية الأخرى وهي : المفضليات، والأصمعيات، وحماسة البحتري، ومجموعة المعاني، وحماسة الظرفاء.

بين الوحشيات والمفضليات:

هناك مقطوعة واحدة مشتركة التمسناها ما بين الوحشيات والمفضليات. وهي تحمل رقم (٣٥٤) في باب الهجاء في الوحشيات وهي في المفضلية رقم (٦٣). أما اسم الشاعر فهو عميرة بن جُعِيل (بالتصغير) في الوحشيات، وعميرة بن جعل في المفضليات. وهي بيت واحد في الوحشيات وخمسة أبيات في المفضليات. وسنذكر البيت المتشابه في كليهما فقط.

في الوحشيات والمفضليات :[1]

كَسَا الله حَيَّيْ تَغْلِبَ ابنَةِ وائل   مِنَ الُّلؤْمِ أَظْفاراً بطِيئاً نُصُولُها

فالبيت متشابه تماماً في كلا الكتابين

بين الوحشيات والأصمعيات:

التمسنا وجود سبع مقطوعات مشتركة بين الوحشيات والأصمعيات. منها المقطوعة التي تحمل رقم (٤٢٩) في باب السماحة والأضياف في الوحشيات، وهي الأصمعية رقم (١٥) في الأصمعيات. وهي في الوحشيات بيتان، بينما هي في الأصمعيات قصيدة مكونة من أربعين بيتاً. وهي للشاعر مالك بن حريم الهمداني في كلا الكتابين.

[1] انظر أبو تمام، الوحشيات، ص٢١٥. والمفضل الضبي، المفضليات، ص٢٥٧.

في الــوحشيــات :[١]

١- وَلا يَسْأَلُ الضيف الغَريب إذا شَتَا   بما أُوغِلَتْ قِدْرِي إذَا هُو وَدَّعَــا

٢- فَإِنْ يَكُ غَثَّــاً أو سَمِينــاً فَــإِنَّني   سَأَجْــعَــلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَــعَا

وفي الأصمعيــات :[٢]

٣٨- ولا يَسْأَلُ الضَّيْفُ الغَريب إذا شَتَا   بما زَخَرَتْ قِدْرَي لَهُ حينَ وَدَّعَا

٣٩- فَإِنْ يَكُ غَثَّــاً أو سَمِينــاً فَــإِنَّني   سَأَجْعَلُ عَــيْنَيْهِ لِنَــفْسِهِ مَقْنَعَــا

نجد أن البيتين الأول والثاني في الوحشيات، يقابلهما الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين – على الترتيب في الأصمعيات.

كما نجد بعض الاختلاف في البيتين بين الكتابين.

ففي البيت الأول عند أبي تمام في الشطر الثاني (أوغلت قدري) بينما هي عند الأصمعي (زخرت قدري). تليها في نفس البيت (إذا هو ودعا) في الوحشيات، و (له حين ودعا) في الأصمعيات .

أما البيت الثاني فهو متشابه تماماً في كلا الكتابين .

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص٢٥٩.

[٢] الأصمعي، الأصمعيات، ص٦٢-٦٧.

بين الوحشيات وحماسة البحتري :

التمسنا وجود سبع وعشرين مقطوعة مشتركة ما بين الوحشيات وحماسة البحتري. وقد اخترنا منها تلك المقطوعة التي تحمل رقم (٤٩٢) في باب الملح في الوحشيات، وهي ذاتها التي وردت في الباب الحادي والسبعين والمائةفي حماسة البحتري وعنوان الباب: (فيما قيل في مطل الديون وكسرها على الغرماء).

المقطوعة هي ستة أبيات في الوحشيات، ولم يذكر اسم الشاعر إنما نسبها لأعرابي قالها (في المطل) .أمافي حماسة البحتري فهي (لأبي النباش). وقد أورد البحتري قصة المقطوعة في حين لم يورد أبو تمام ذلك. وهي عند البحتري ثمانية أبيات.

وسنذكر هنا الأبيات المتشابهة في كلا الحماستين .

في الوحشيات : [1]

١- أَهْونْ علَيَّ بِسيَّارٍوضَغْوَتِهِ إذَا جَعَـلْتُ ضِراراً دونَ سـيَّـارِ

٢- إنَّ القَضاءَ سَيأْتي دُونَهُ زَمَنٌ فَاطْـوِ الصحِيفَةَ واحْفَظْهَا مِنَ الفَارِ

٥- وما أُواعِـدُهُمْ إلَّا لِأَرْبُثَهُم عَنِّي ويُخْرِجَهُمْ نَقْـضِي وإِمْراري

وفي حماسة البحتري :[2]

١- أَهْوْن علَيَّ بِسيَّارٍوضَغْوَته إذا جَـعَلْتُ صِراراً دون سيَّـارِ

---

[1] أبو تمام، الوحشيات، ص٢٩٦.

[2] البحتري، الحماسة، ص٣٠٨.

٧- وما أُواعِدُهُمْ إِّلا مُخـــادَعَةً مِنِّي لِيُفْلِتِنَي نَقْضِـــي وَإِمْرارِي

١١- إِنَّ القَضَاءَ سَيأْتِي دُونَهُ أَمَدٌ فَاْطوِ الصَّحِيَفةَ واحْفَظْها مِنَ الفَارِ

نجد أن هناك اختلاف في ترتيب الأبيات ما بين كلا الكتابين ما عدا البيت الأول فهو متشابه في الكتابين. حيث أن البيت الثاني في الوحشيات هو الحادي عشر عند البحتري، والخامس في الوحشيات يقابله البيت السابع عند البحتري.

أما عن اختلاف بعض الألفاظ فنجد في البيت الأول في الوحشيات (ضراراً)، بينما رأى البحتري أنها (صراراً) بدون تنقيط .

وفي البيت الثاني في الوحشيات (دونه زمن) بينما هو عند البحتري (دونه أمد) .وفي البيت الخامس في الوحشيات (إلا لأربتهم) وعند البحتري (إلا مخادعة). وفي الشطر الثاني من نفس البيت في الوحشيات (عني) بينما هي في حماسة البحتري (مني)، وفي الوحشيات أيضا في نفس الشطر (ويخرجهم)، بينما رأى البحتري أنها (ليفلتني).

أما سائر الأبيات فهي مختلفة تماماً. إذ أورد البحتري أبياتاً جديدة لم يوردها أبو تمام. وحذف بعض الأبيات التي أوردها أبو تمام .

وهناك مقطوعات مشتركة ما بين الوحشيات وحماسة ابن الشجري، ذكرنا واحدة منها عند الحديث عن المقطوعات المشتركة ما بين الحماسة الشجرية والوحشيات .[١]

---

[١] انظر ص (١٥٤-١٥٥) من هذه الرسالة.

بين الوحشيات ومجموعة المعاني :

هنالك أربع عشرة مقطوعة مشتركة لمسناها ما بين الوحشيات وكتاب مجموعة المعاني.منها المقطوعة التي تحمل رقم (٧١) في باب الحماسة لأبي تمام في الوحشيات، وتقع المقطوعة في(المعنى التاسع) وعنوانه (فيما قيل في العجز والتواني والإهمال) وذلك في مجموعة المعاني. الشاعر هو الحضين بن المنذر الرقاشي في الوحشيات، إلا أنه الحصين بن المنذر بلا تنقيط في مجموعة المعاني. وقد أضاف أبو تمام بعد ذكر اسم الشاعر تعريفاً به (وكان صاحب لواء ربيعة يوم صفين).

والمقطوعة هي بيتان في كلا الحماستين.

في الوحشيات :[١]

١ -أَمَرْتُكَ أَمْراً حَازِماً فَعَصَيْتَي	فَأَصْبَحْتَ مَسْلوبَ الإمَارَةِ نَادِما
٢ -فَمَا أَنَا بالباكي عَلَيْها صَبابَةً	وَمَا أَنَا بِالدّاعي لِتَرْجعْ سَالِمَـــا

وفي مجموعة المعاني :[٢]

١ -أَمَرْتُكَ أَمْراً حَازِماً فَعَصَيْتَني	فَأَصْبَحْتَ مَسْلوبَ الإمَارَةِ نَادِما
٢ -فَمَا أَنَا بالباكي عَلَيْكَ صَبَابَةً	ولا أَنَا بِالدَّاعي لِتَرْجعَ سَالِمَـــا

---

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص٥٧ .

[٢] مجموعة المعاني، ج١، ص١١٤.

نجد أن مؤلف مجموعة المعاني أتى ببيتي أبي تمام دون زيادة . وهناك بعض الاختلاف في البيت الثاني فقط . ففي الشطر الأول منه في الوحشيات ورد (عليها) بضمير الغائب لكنه في مجموعة المعاني (عليك) بضمير الخطاب . وفي الشطر الثاني في الوحشيات (وما أنا) بينما هي في مجموعة المعاني (ولا أنا) .

بين الوحشيات والحماسة البصرية :

هناك ثلاث مقطوعات متشابهة وجدناها ما بين الوحشيات والحماسة البصرية، منها المقطوعة التي تحمل رقم (٣٠٧) في باب النسيب في كتاب الوحشيات، وهي لمجنون ليلى، وتحمل المقطوعة رقم (٨٧٤) في باب النسيب أيضاً في الحماسة البصرية، ولكنها ليست للمجنون وإنما لجميل بن معمر العذري . المقطوعة مكونة من ثلاثة أبيات في كلا الكتابين .

في الوحشيات :[١]

١ -وإنـــي لأَرْضى مِنكِ يا لَيْلَ بِالّذِي   لَو أيْقَنَهُ الوَاشِي لَــقَرَّتْ بَلابلُهْ

٢ -بَلا وَبِـــأنْ لاَ أَسْتَطِيــعُ وَبالــمُنَى   وَبالوَعْدِ حتَّى يَسأَمِ الوَعْدَ آمِلُهْ

٣ -وَبالنظْرَةِ العَجْلى وَبِالحَوْلِ تَنْقَضِي   أَوَاخِرُهُ لا تَلْتَقــي وَ أَوَائِلُــــهْ

وفي الحماسة البصرية :[٢]

١ -وإِنـــي لأَرْضى مِنْ بُثَيْنَةَ بالَّــذِي   لَو أَيْقَنَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلابُلهْ

[١] أبو تمام، الوحشيات، ص١٨٩.

[٢] البصري، الحماسة البصرية، ج٣، ص١٠٠١.

٢ -بِلَا وَبِـــأَنْ لَا أَسْتَطِيـــعُ وَبالـــمُنَى　　　　والْأَمَلِ المَرْجُوِّ قَدْ خَابَ آمِلُه

٣ -وَبالنظْرَةِ العَجْلى وَبالحَوْلِ تَنْقَضِي　　　　أَوَاخِرُهُ لا تَلْتَقِـــي وَأَوَائِلُـــهْ

نجد الفارق العظيم في البيت الأول بين الوحشيات والحماسة البصرية في ذكر اسم (ليلَ) على الترخيم في الوحشيات، وهي صاحبة المجنون قيس بن الملوح، وذكر (بثينة) في الحماسة البصرية وهي صاحبة جميل . ونجد أن الشاعر المجنون يخاطب ليلى في الوحشيات بقوله (فيك يا ليلَ)، بينما في الحماسة البصرية يتحدث جميل عن بثينة بصيغة الغائب (من بثينة)، أما البيت الثاني فالشطر الثاني فيه مختلف عند كليهما تماماً . ففي الوحشيات : (وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله) بينما هو في الحماسة البصرية : (والأمل المرجو قد خاب آمله) . فاللفظة المشتركة بين الشطرين عند كليهما هي (آمله) فقط . أما البيت الثالث فهو متشابه تماماً عند كليهما .

ولا نستبعد أن جميل بثينة أخذ الأبيات من المجنون، وغير بها بعد أن تمثل بها .

بين حماسة البحتري وكتب الحماسات والاختيارات الشعرية الأخرى:

اشتركت حماسة البحتري مع بعض كتب الاختيارات الشعرية في بعــض المقطوعــات الشعرية كالأصمعيات وبعض كتب الحماسات الشعرية كحماسة أبي تمام والوحشيات له وحماسة الظرفاءللزوزني، والحماسة البصرية.

بين حماسة البحتري والأصمعيات:

هناك مقطوعتان مشتركتان ما بين حماسة البحتري والأصــمعيات منهــا المقطوعــة الموضوعة تحت الباب الثاني عشر(فيما قيل في التشمير عند الحرب ورفــض النســاء) فـــي حماسة البحتري، للحارث بن عباد البكري، وهي ذاتها التي تحمل الأصمعية رقم (١٧)، لــنفس الشاعر إلا أنه ورد فيها (للحرث) بدلاً من (الحارث). المقطوعة هي ثلاثة أبيــات فـــي كـــلا الكتابين.

في حماسة البحتري:[١]

١- قرِّبا مَرْبَط النَّعَامَةِ مِنِّي	لقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيالِ
٢- لمْ أَكُنْ منْ جُناتِها – عَلِم الــ	ــلهُ وَإِنِّي بِحَرِّها اليَوْمَ صالي
٣- لا بُجَيْرٌأغنى فَتيلاً ولا رَهْــ	ــطُ كُلَيْبٍ تزاجَرُوا عَنْ ضَلال

وفي الأصمعيات:[٢]

١- قَرِّبا مَرْبَط النَّعامةِ مِنِّي	لقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عَنْ حيالِ

[١] البحتري، الحماسة، ص٤٦.

[٢] الأصمعي، الأصمعيات، ص٧٠-٧١.

٢- لَمْ أَكُنْ مِنْ جُناتِها – عَلم اللـــ ـــهُ وإنِّي بِحَرِّها اليَوْمَ صالي

٣- لا بُجَيْرٌ أغنى فُتَيْلاً ولا رهـــ ـــطُ كُلَيْبٍ تزاجَرُوا عَنْ ضَلال

لا يوجد كبير اختلاف ما بين المقطوعتين في الكتابين. ويكمن الاختلاف في قافية البيت الثاني، فقد أشبع البحتري القافية (صالي) في حين أقصرها الأصمعي (صالِ). وهناك اختلاف ثان في وزن البيت الثاني، فالبيت مدور، يستقيم الوزن به في الأصمعيات، ويختل في حماسة البحتري.

ولعل هذين الاختلافين هما من تلاعب النساخ، ولا شأن للبحتري أو الأصمعي فيهما .

أما عن الاختلاف بين حماسة البحتري وحماسة أبي تمام أو الوحشيات فقد كتبنا عنها سابقا.[١]

بين حماسة البحتري وحماسة الظرفاء:

التمسنا وجود أربعة عشر مقطوعة متشابهة ما بين حماسة البحتري وحماسة الظرفاء للزوزني. منها تلك المقطوعة التي تقع في حماسة البحتري تحت الباب الثالث (فيما قيل في الإصحار للأعداء والمكاشفة لهم وترك التستر منهم) للشاعر سحيم بن وئيل التميمي، وهي في حماسة الظرفاء تقع في باب الحماسة، المقطوعة الأولى منها، إلا أن هناك اختلاف في اسم الشاعر ونسبه، فهو في حماسة الظرفاء (سحيب بن وئيل الرياحي)

المقطوعة هي خمسة أبيات في حماسة البحتري وستة في حماسة الظرفاء.

---

[١] انظر المقطوعة المشتركة ما بين ديوان الحماسة وحماسة البحتري ص (١٦٧-١٦٩)، والمقطوعة المشتركة ما بين الوحشيات وحماسة البحتري ص (١٧٥-١٧٦).

في حماسة البحتري:[1]

١- أَنا ابْنُ جَلا وطَّلاعُ الثَّنايا | منى أضعِ الْعمامة تَعْرفُوني

٢- صليبُ الْعُود منْ سَلَفَيْ نِزَارٍ | كمثْلِ البَدْرِ وضَّاحُ الجَبين

٣- كذي لبَدٍ يصُدُّ الرَّكْبُ عنْهُ | ولا تُؤتَى فريستُهُ لحينِ

٤- وما ذا يَدَّري الشَّعراءُ منِّي | إذا جاوزْتُ حَّد الأَرْبعين

٥- أخُو خمْسينَ مُجْتمعٌ أشُدِّي | ونجَّدني مُعَاوَرَةُ الشُّؤُون

وفي حماسة الظرفاء :[2]

١- أَلمْ تَرَ أنَّني في حَميرِي | مِكانِ الَّليْثِ مِنْ وَسَطِ العَرينِ

٢- عذَرْتُ البُزْلَ لَمّا خَاطَرْتني | فَمَا بَالِي وبَـالَ ابنِ الـلَّبُونِ

٣- أَنَا ابْنُ جلَا وطَلَّاعُ الثَنَايَا | مَتَى أضَعُ العِمَـامَةَ تَعْرِفُونِي

٤- صَلَيبُ العود مِنْ فَرْعَيْ نِزَارٍ | كَرِيمُ الأَصْلِ وَضَّاحُ الـجَبينِ

٥- فَماذَا تَدَّرِي الأَقْرانُ مِّني | وقَدْ جَـاوَزْتُ حَدَّ الأَرْبَـعينِ

٥- أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشدي | ونـجَّـذَني مُداوَرَةُ الـشُّؤونِ

---

[1] البحتري، الحماسة، ص٢١ .

[2] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص١٠٣

نلاحظ أن الزوزني قد زاد على حماسة البحتري بيتين في أول المقطوعة، كما حذف البيت الثالث عند البحتري. فالبيت الأول والثاني عند البحتري يقابلان البيت الثالث والرابع على التوالي عند الزوزني. والرابع والخامس عند البحتري يقابلان الخامس والسادس عند الزوزني.

أما عن اختلاف بعض الألفاظ، فنجد أن الزوزني استبدل (فرعي) بـ (سلفي). في البيت الثالث عنده والذي يقابل البيت الثاني عند البحتري. وفي الشطر الثاني من نفس البيت أخذ الزوزني برواية (كريم الأصل) كان (كمثل البدر) عند البحتري. وصاحب هذه الدراسة يوافق الزوزني فيما اختار، فالأبيات في الفخر لذا فرواية (كريم الأصل) هي أليق في المكان.

وفي البيت الخامس، نجد أن الزوزني اختار (تدري الأقران) بدلا من (يدري الشعراء) عند البحتري في البيت الرابع. وفي الشطر الثاني (وقد جاوزتُ) بدلاً من (إذا جاوزتُ) عند البحتري.

وهناك اختلاف آخر في البيت الأخير عند كليهما، فاختار البحتري (نجدني) بدلا من (نجذني) بالتنقيط الذي اختاره الزوزني. والمعنى متقارب، ففي المعجم: " نجّده الدهر: عجمه وعلمه" و " نجذته التجارب: أحكمته"[1].

والمقطوعة السابقة موجودة أيضاً في الحماسة البصرية في أربعة أبيات مع بعض الاختلاف في الترتيب. وهي عند البصري كالتالي:[2]

١- أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنايَا　　　مَتَى أَضَعُ العَمامَةَ تَعْرِفُونِي

٢- صَلِيبُ العُودِ مِنْ سَلَفَيْ نِزَارٍ　　　كَنَصْلِ السَّيْفِ وَضَّاحُ الجَبِينِ

---

[1] مصطفى، إبراهيم، وآخرون : المعجم الوسيط، مادة (نجد)+ مادة (نجذ).

[2] البصري : الحماسة البصرية ، ٣١٧-٣١٨ .

٣- أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي وَنَجَّذَني مُعَاوَرَة الـشُّؤون

٤- عَذَرْتُ البُزْلَ إِذْ هي قارَعَتني فما شْأني وشْأنُ ابنُ لَبُونِ

فالبيت الرابع عند البصري هو الثاني عند الزوزني، ولم يذكره البحتري في حين أن الزوزني لم يذكر البيت الأول الذي ذكره الزوزني. وفي البيت الثاني نجد أن البصري اختار " كنصل السيف" بدلاً من " كريم الأصل" عند الزوزني، و" كمثل البدر " عند البحتري . وفي البيت الثالث وافق البصري الزوزني في اختياره " نجذني" بالتنقيط بدلاً من " نجدني" عند البحتري. وفي البيت الرابع عند البصري والذي يقابله الثاني عند الزوزني، اختار البصر " إذ هي قارعتني " بدلا من " لمّا خاطرتني" عند الزوزني. وفي الشطر الثاني منه عند البصري " فما شأني وشأن ابني لبون " بدلاً من " فما بالي وبال ابن اللبون" عند الزوزني.

وقد كتبنا سابقا مقطوعة مشتركة ما بين حماسة البحتري والحماسة الشجرية.[١]

[١] انظر صفحة (١٥٥-١٥٦) من هذه الدراسة .

بين حماسة الظرفاء وكتب الحماسات والاختيارات الشعرية الأخرى :

هناك مقطوعات مشتركة ما بين حماسة الظرفاء وبعض كتب الاختيارات الشعرية كالمفضليات، والأصمعيات. وبعض كتب الحماسات الشعرية: كحماسة أبي تمام، والوحشيات له، وحماسة البحتري والحماسة الشجرية، ومجموعة المعاني، والتذكرة السعدية.

وقد ذكرنا بعض هذه المقطوعات المشتركة ما بين حماسة الظرفاء والحماسات الشعرية – قيد الدراسة– ينظر في موضعه.[١]

بين حماسة الظرفاء والمفضليات:

أوردت حماسة الظرفاء مقطوعة للأسود بن يعفر في باب الرثاء، وهي المقطوعة (٢٢) من الباب، وكان المفضل الضبي قد كتب القصيدة التي منها المقطوعة التي اختارها الزوزني، ورقمها (٤٤)، وهي قصيدة مكونة من ستة وثلاثين بيتاً، في حين أن المقطوعة عند الزوزني من ستة أبيات. والشاعر هو الأسود بن يعفر عند كليهما، إلا أن المفضل الضبي زاد نسبه " النهشلي" .

في حماسة الظرفاء :[٢]

١– مَاذا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ   تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبْعدَ إِيَادِ

٢– أَهْلُ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ وَبَارِقٍ   والقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدادِ

---

[١] أنظر المقطوعة المشتركة ما بين الحماسة الشجرية وحماسة الظرفاء ص (١٥٦–١٥٧) من هذه الدراسة، وكذلك المقطوعة المشتركة ما بين حماسة البحتري وحماسة الظرفاء ص (١٨١–١٨٣) .

[٢] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٢٠٠ – ٢٠١ .

٣- جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ   فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

٤- ولَقَدْ غنُوا فِيَها بِأَنْعَمِ عيشَةٍ   فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوتَادِ

٥- فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَي بِهِ   يَوْماً يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ

٦- ولَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذي نَبَّأْتني   أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الأعْوادِ

والأبيات السابقة وردت في المفضليات كالتالي:[١]

٥- ولَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذي نَبَّأْتَني   أَنَّ السَّبِيلَ سَبَيلَ ذِي الأعْوادِ

٨- مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ   تَركُوا مَنَازِلَهُمْ وبَعْدَ إيَادِ

٩- أَهْلُ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وَبَارِقٍ   والقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدار

١١- جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَكانِ دَيارِهِمْ   فَكَأَنَّما كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

١٢- ولَقَدْ غَنُوا فِيَها بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ   فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابتٍ الأَوْتَادِ

١٥- فَإِذَا النَّعِيمُ وكُلُّ مَا يُلْهَي بهِ   يَوْماً يَصِيرُ إِلَى بِلَىً ونَفَادِ

الأبيات مختلفة في الترتيب بين المفضليات وحماسة الظرفاء، فالبيت الخامس في المفضليات، وضعه الزوزني في آخر المقطوعة عنده (البيت السادس)، بعد الأبيات الأخرى. والبيت الثامن والتاسع يقابله البيتان الأول والثاني عند الزوزني، والبيت الحادي عشر في المفضليات هو الثالث عند الزوزني، والثاني عشر في المفضليات يقابله البيت الرابع عند الزوزني، والخامس عشر هو الخامس عند الزوزني.

---

[١] الضبي، المفضل، المفضليات، ص٢١٥ – ٢٢٠

ولا نرى في البيتين الأول والثاني عند الزوزني والذي يقابله الثامن والتاسع في المفضليات أي اختلاف. ويبدأ الاختلاف في البيت الثالث عند الزوزني، والحادي عشر في المفضليات، في الشطرين، ففي الشطر الأول في المفضليات (مكان ديارهم) وهي (محل ديارهم) عند الزوزني، أما في الشطر الثاني فقد بدَّلَ الزوزني لفظة (فكأنما) في المفضليات إلى (فكأنهم).

أما الأبيات الأخرى فلا يوجد فيها اختلاف.

بين حماسة الظرفاء والأصمعيات:

أورد الزوزني بيتي الشاعر مالك بن حريم في باب الأدب والحكمة رقم (١٣٣) من الباب، وهما في الأصمعيات للشاعر كعب بن سعد الغنوي من قصيدة مكونة من سبعة وعشرين بيتاً وهي القصيدة التاسعة عشر عنده.

في حماسة الظرفاء:[١]

١- وَمَا أَنَا بِالشَّيءِ الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي   وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَؤُولِ

٢- بِذَلِكَ وَصَّانِي حَرَيْمُ بنُ مَالِكٍ   وإنَّ قليَل الَّذمِّ غَيْرُ قَليلِ

ولم يرد في الأصمعيات سوى البيت الأول كالتالي :[٢]

٢٠ - وَمَا أَنَا لِلشَّيءِ الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي   وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَؤُولِ

والفرق بين بيت الزوزني وبيت الأصمعي، أن الزوزني اختار (بالشيء) بحرف الجر الباء من (للشيء) بحرف الجر اللام عند الأصمعي. أما سائر البيت فلا اختلاف فيه.

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٣٣٠.

[٢] الأصمعي، الأصمعيات، ص٧٣-٧٦

ولعل الأصمعي قد فاته البيت الثاني الذي ذكره الزوزني، وفيه دلالة على أن الشاعر هو مالك بن حريم لا سعد الغنوي بدليل ذكره لـِ (حريم بن مالك) ولعله والد الشاعر.

بين حماسة الظرفاء والوحشيات:

ورد في حماسسة الظرفاء في باب الكبر والمشيب المقطوعة الرابعة والخمسين من الباب، مقطوعة لشاعر لم يذكر الزوزني اسمه، إنما اكتفى بقوله " وقال آخر"، والمقطوعة في الوحشيات رقم (٢٥١) في باب المراثي هي لعبدة بن الطبيب. ولعل الزوزني قد قرأ ما في الوحشيات، إلا أنه لم يقتنع بأنها لعبدة، كما ظن أبو تمام. والمقطوعة هي بيتان في كل من الحماستين.

في حماسة الظرفاء :[1]

١ -إذا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلادُها   وَضَعُفَتْ مِنْ كِبَرٍ أَجْسَادُهَا

٢ -فَأَصْبَحَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا   فَهْيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

وفي الوحشيات :[2]

١ -إذا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلادُهَا   واضطَّرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا

٢ -وَجَعَلْت أَسْقامُها تَعْتَادُها   فَهْيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

ويبدو الفرق بين المقطوعة في كلا الحماستين في البيت الأول، الشطر الثاني منه، بقول الزوزني (وضعفت) بدلاً من (واضطربت) عند أبي تمام، واختار الزوزني (أجسادها) بدلاً من

---

[1] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج١، ص٣٦٤.

[2] أبو تمام، الوحشيات، ص١٥٦ .

(أعضادها) عند أبي تمام . وفي البيت الثاني، نجد لفظة (فأصبحت) عند الزوزني بدلاً من (فأصبحت) عند أبي تمام.

بين حماسة الظرفاء ومجموعة المعاني :

أورد الزوزني مقطوعة عمران بن حطان المشهورة من بيتين وهي بيتان في هجاء (الحجاج بن يوسف الثقفي) الذي لم يثبت أمام المرأة الخارجية في القتال(غزالة) لشجاعتها وقوتها . وقد أورد الزوزني المقطوعة تحت رقم (١٠٦) من باب الهجاء.وهي في مجموعة المعاني ثلاثة أبيات تحت رقم (٣٠٥) في المعنى الخامس عشر (ما قيل في الجبن والذل والفرار) .

في حماسة الظرفاء :[١]

١ -أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الـهِيَاجِ نَعَـامَةٌ   فَتْخَاءَ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

٢ -هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غزَالَة فِي الوَغَا   بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ

وفي مجموعة المعاني :[٢]

١ -أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الحُروبِ نَعَامَةٌ   رَبْدَاءُ تَجْفُلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرُ

٢ -هَلَّا بَرَزْت إِلَى غَزَالَةَ فِي الوَغَى   بَلْ كَانَ قَلْبُكَ مِثْلَ قَلْبِ الـطَّائِرِ

٣ -صَدَعَتْ غَزَالَةُ قَلْبَهُ بِفَوارِسَ   تَرَكَتْ دَوَابِرَهُ كَـأَمْسِ الـدَّابِرِ

---

[١] الزوزني، حماسة الظرفاء، ج٢، ص١٠٤ .

[٢] مجموعة المعاني، ص ١٩٧ .

لقد زاد مؤلف مجموعة المعاني على بيتي الزوزني بيتاً ثالثاً هو البيت الأخير . وهناك بعض الاختلاف في البيتين . ففي البيت الأول، أخذ مؤلف مجموعة المعاني برواية (وفي الحروب) بدلاً من (وفي الهياج) عند الزوزني . وفي الشطر الثاني من نفس البيت أوردت مجموعة المعاني لفظي (ربداء تجفل) بدلاً من (فتخاء تنفر) عند الزوزني . وربداء كما ورد في حاشية كتاب مجموعة المعاني هي : (سوداء، أو رمداء، أو التي في سوادها نقط بيض وحمر) . أما فتخاء من فتخ الكف والقدم إذا "عرضتا وطالتا في لين)[١]. والمعنيان جميلان . أما البيت الثاني، فذكر صاحب مجموعة المعاني قوله " مثل قلب الطائر" وذكر رواية أخرى لها تحت البيت، وهي نفس ما ذكر الزوزني " في جناحي طائر" . والرواية الثانية " في جناحي طائر" أجمل .

بين حماسة الظرفاء والتذكرة السعدية :

التمسنا وجود مقطوعتين مشتركتين ما بين حماسة الظرفاء والتذكرة السعدية فقط . منها المقطوعة (٧٣) في باب الأدب والحكمة، لشاعر لم يذكر الزوزني اسمه، إنما اكتفى بقوله : " وقال آخر " وهي بيتان . وقد وردت المقطوعة في التذكرة السعدية تحت رقم (١٣٢) في باب الأدب والحكم والأمثال في بيتين أيضاً، إلا أنه حدد الشاعر، فهو (عمرو بن المبارك) .

في حماسة الظرفاء :[٢]

١ -لأَشْكُرَنَّكَ مَعَرْوفاً هَمَمْتَ بِهِ   إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ

٢ -ولَا أَلُومُكَ إنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ   فَالأَمْرُبِالقَدَرِ المَجْلُوبِ مَصْرُوفُ

---

[١] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (فتخ) .

[٢] الزوزني : حماسة الظرفاء، ٣٠٧/١ .

وفي التذكرة :[١]

١ لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفاً هَمَمْتَ بِهِ   إنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْـمَعْرُوفِ مَـعْرُوفُ

٢ ولا أَلُومُكَ إنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ   فالشَّيْءُ بالقَدَرِ المَصْرُوفِ مَصْرُوفُ

والاختلاف في البيت الثاني، وفي الشطر الثاني منه . في حماسة الظرفاء (فالأمر) بينما هو في التذكرة (فالشيء)، وهناك لفظة (المجلوب) في حماسة الظرفاء، وهو (المصروف) في التذكرة السعدية، وهي لفظة على الضد .

وبعد هذا العرض السريع لبعض المقطوعات المشتركة ما بين كتب الحماسات الشعرية – قيد الدراسة –والحماسات الأخرى، والاختيارات الشعرية، وقد أخذنا نماذج منها، حيث اكتفينا بذكر مقطوعة واحدة مشتركة لكل كتاب حماسي مع الكتب الأخرى – نقول – يرجع اختلاف الألفاظ والجمل هذه إلى اختلاف الرواة . واستبدالهم للفظة مكان لفظة، أو جملة مكان جملة . والسؤال الذي نطرحه في هذا المقام : هل يتيح الدارسون للراوي مثل هذا الاستبدال والتغيير ؟ أما صاحب هذه الدراسة فلا يرى في ذلك عيباً ما دامت اللفظة المستبدلة مرادفة للفظة التي قالها الشاعر . ذلك أن المعنى واحد، وقد يجيء الراوي بألفاظ هي أجمل بكثير مما قاله الشاعر . فللراوي عين بصيرة بالشعر، شأن الشاعر . وقد يكون أشد إدراكاً للشعر وفهماً له من الشاعر . وليس في ذلك غرابة فكما أن الناقد قد يرى ما لا يراه الشاعر، فكذلك الراوي . لذا فصاحب الدراسة لا يعد ذلك اخلال بالأمانة الأدبية في ذلك الزمان .

---

[١] العبيدي: التذكرة السعدية، ص١٤٠-١٤١

الــخــاتــمــة

في هذه الدراسه أربعة فصول وتمهيد .

في التمهيد عرضت لحياة ابن الشجري، وهو صاحب الحماسة الرئيسية في الموازنة مع الحماسات الاخرى ـــــ قيد الدراسةـــــ حيث تحدثت عن اسمه ونسبه ، وعرضت لأوجه اختلاف العلماء في نسبه (الشجري) ثم تحدثت عن صفاته وعلمه، وعرضت للمصادر التي تحدثت عن غزارة علمه وأدبه، ثم الحديث عن شيوخه وتلاميذه، وأبرز مصنفاته، وقد أبرزت حديث المصادر القديمة عن بعض مصنفاته من كلام مدح لها .

وفي جزء آخر من التمهيد ألقيت نظرة سريعة على كتب الحماسات و المختارات الشعرية، مبيناً تطورها، فكانت المعلقات أول كتاب اختياري على الارجح، ثم الأصمعيات والمفضليات وجمهرة أشعار العرب . ثم كتب الحماسات والتي جاءت بعد كتب المختارات ومتممة لها مع الفارق بينهما . فالحماسات ذات تبويب وترتيب وأغراض شعرية على خلاف كتب المختارات.

وفي الجزء الثالث من التمهيد تحدثت عمّا في المصادر القديمة وبعض المراجع الحديثة حول كتب الحماسات الشعرية، وبينت أن بعضها قد مرّ على ذكر كتب الحماسات دون تعليق.

وفي الفصل الأول من الرسالة ، كانت الموازنة بين منهج وأسلوب ابن الشجري في حماسته، وبين منهج وأسلوب أصحاب الحماسات الاخرى، وتبين لي أن ابن الشجري امتاز عن الحماسات الأخرى باحتواء مقطوعاته الشعرية على القديم والمحدث وإن كان من القديم أكثر ،

خلافاً لأبي تمام الذي لم يضمن شعره من المحدث إلا لبعض الشعراء القليلين. وأما الزوزني فقد أكثر من المحدث .

كما امتاز ابن الشجري برواياته الشعرية، وتفسيره لأبيات حماسته أحياناً ، ونقده لبعض أبيات شعره، خلافاً لسائر الحماسات التي عرضت الشعر دون تفسير أو نقد أو ذكر روايات لها .

ومما امتاز به ابن الشجري أيضا استشهاده بحديثين شريفين لمقطوعتين مختلفتين . أما ما امتازت به حماسة الظرفاء فهو خاتمتها النثرية لأبواب حماسته والتي تناسب الموضوع الذي قيل في كل باب من حكم وأمثال وآيات قرانية وأحاديث شريفة .

وفي الفصل الثاني تناولت أهم المضامين الشعريةفي كتب الحماسات – قيد الدراسة–، فكان أهمها : الفخر والحماسة، والرثاء، والمديح، والهجاء، والعتاب واللوم، والغزل والنسيب، والوصف، والحكمة .

وقد قسمت باب الفخر والحماسة إلى أقسام رئيسية تحدثت عنها جميعاً وهي : الفخر الفردي ثم القبلي ، وتبين لي انهما يدوران في دائرة واحدة، إذ ما يعد فخراً للقبيلة هو فخر للفرد والعكس صحيح . وذكرتُ بعض المظاهر التي ظهرت في أبواب الحماسة من مظاهر الفخر والحماسة كالوعيد ، والربط في الفخر بين الحسب والكرم وإكرام الجار، والحلم والفصاحة في الكلام وغيرها .

وذكرت شعر الحوادث والحروب، ثم القصائد التي تسمى "المصنفات" وهي التي قالها الشعراء يصفون فيها قوة عدوهم وشجاعتهم وعدتهم، وبينت أن الشاعر لم يفعل ذلك عدلاً منه ، ولكن ليبين مدى ثباته في المعركة واستبساله فيها. ثم عرضت لظاهرة الصعلكة، لارتباطها

الوثيق بباب الحماسة، وعرضت لأسبابها وصفات المتصعلكين وبعض شعرهم في كتب الحماسات.

والغرض الثاني كان "الرثاء"، بينت أقسامه التي ظهرت لي في كتب الحماسات ، فكان أهمها: رثاء الأهل والأقارب، ورثاء الأبطال في المعركة، والملوك والخلفاء والقادة ثم رثاء النفس. وتبين لي أن أهم ما تميز به الزوزني في حماسته إحضاره لأنواع أخرى لا تعد رثاء حقيقياً ، كرثاء يد قطعت من صاحبها، ورثاء هر ورثاء سطل، ورثاء لأهل العلم والأمانة وغيرها .

وذكرت بعض العادات التي وجدت في شعر الرثاء – في كتب الحماسات – مثل النياحة والبكاء وشق الجيوب، والوقوف على القبر، والدعاء للميت وطلب السقيا وغيرها .

والغرض الثالث في هذا الفصل كان المديح، ذكرتُ أهم صورة كالكرم والشجاعة وحفظ العهد، والوفاء للجار والحلم، وإطعام الضيف. وبينت تنوع المديح من مديح نبوي الى مديح للخليفة أو لوالي أو لقائد أو لقبيلة. وتبين لي أن من بعض مظاهر الدعاء للممدوح، وجوب الصحارى في سبيل الوصول الى الممدوح، والتكسب منه، وبينت ما امتازت به حماسة الظرفاء في هذا المقام عن غيرها بإيرادها للمديح النبوي من خلال قصيدة كعب بن زهير المشهورة كمفتتح لباب المديح .

وكان الغرض الرابع: الهجاء، بينت ان منه ما هو هجاء فردي ، ومنه ما هو هجاء قبلي، أو هجاء موجه للملوك. وبينت تميز حماسة الظرفاء بإتيانها لهجاء آخر هو الهجاء الذاتي ، أو الهجاء الموجه للأقارب ممثلاً أكثر ما يكون بالحطيئة . كما تميزت الحماسة بما جاء بها من

هجاء جاء على سبيل التهكم والسخرية أو هجاء الأمور عامة كهجاء اللغات أو هجاء المستعربين .

أما الغرض الخامس فهو اللوم والعتاب ، بينت فيه أن أصحاب الحماسات كانوا قد دمجوا ما بين هذا الغرض وغرض الهجاء دون تمييز بينهما، باستثناء ابن الشجري الذي فصل كل منهما عن الاخر. وتبين لي أنواعه كعتاب الأقارب أو الموجه للخلفاء أوالأمراء .

ثم الغزل والنسيب، بينت أن ما فيه ما هو غزل حسي ، وآخر عذري . وتبين لي أن حماسة ابن الشجري تميزت في هذا الباب بإحضارها لشاعرة متغزلة في حبيب لها وهي ضاحية الهلالية ، في حين أن جميع الغزل في كتب الحماسات ، موجه من الذكور الى الأناث . كما تميزت حماسة الظرفاء بإحضارها لغزل الغلمان، وكذلك لشاعر يتغزل في بائع السكر ، وآخر بخياط ، وثالث بكاتب مختط مما يثير السخرية والتهكم .

وكان سابع الأغراض الوصف، تناولت فيه أهم ما وصف فيه أصحاب الحماسات من مظاهر طبيعية، ثم عرضت لدراسة مقطوعة واحدة من كل حماسة شعرية حول هذا الغرض، حيث كانت المقطوعات المشتركة تتحدث عن وصف شيء واحد هو وصف السحاب والمطر. وقد بينت أوجه الاختلاف والشبه بين المقطوعات حول هذه الظاهرة .

وكان آخر الأغراض هو الحكم، بينت أن حماسة البحتري هي أكثر الحماسات تناولاً للحكم . كما تبين أنها لا تستقل بباب ، بل هي مبثوثة بين ثنايا الأبواب كالفخر والحماسة والمديح وغيرهما .

وقسمتُ مضمون الحكم الظاهرة في كتب الحماسات الى الموت والعناء ، وتقلبات الدهر والشقاء والنعيم ، والشيب والشباب ، ومكارم الأخلاق .

أما الفصل الثالث ، فقد تناولت فيه أبرز قضايا الشكل الفني في كتب الحماسات، وكان أبرزها مقدمات المقطوعات ، والحكاية والحوار الشعريان .

وقد تبين لي أن المقطوعات الشعرية لم تحتو على مقدمات لها ، سوى في بعض المقطوعات القلائل، ضم الحظ الأوفر منها حماسة أبي تمام ، حيث احتوت على ست مقطوعات منها مقدمات شعرية لست شعراء . أما سائر كتب الحماسات فلم تحتو سوى مقطوعة واحدة لكل كتاب فيها مقدمة، باستثناء حماسة الظرفاء التي لم تحتو على أي مقطوعة .

وكان أبرز شعراء هذه المقدمات شعراء جاهليين ومخضرمين ، وشعراء أمويين. وقد اختلفت المقطوعات في مواضيعها، فكان بعضها في وصف الطلل ، وبعضها في وصف المحبوبة أو طيفها . وقمت بتحليل لبعض هذه المقطوعات تحليلاً ً فنياً .

ثم انطلقت للحديث عن القضية الثانية وهي: الحكاية والحوار الشعريان . تبين لي أن من بعض أنواعها في كتب الحماسات – قيد الدراسة – حكايات حماسة، وحكايات حيوان، وغزل، وهجاء، وغيرها . ومثلت على كل نوع من هذه الأنواع بإيجاز .

وكان الفصل الرابع والأخير، يتحدث عن رواية المقطوعات الشعرية بين كتب الحماسات والمختارات الشعرية. تحدثت فيه بمقدمة نظرية تاريخية عن رواية الشعر العربي القديم، وأهم رواته، وما اتهم به بعضهم من نحل للشعر وتدليس له. وبينت بعض الروايات القديمة المتناقضة في اتهام بعضهم، أو تبرئته ، وبينت أن الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد كان ممن عالج ذلك في بعض كتبه، عارضاً لها ومبيناً صحة ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، ومفسراً أسباب التناقض في الروايات القديمة ممحصاً لها، وقد اتضح من خلال ذلك أن أهم الأسباب يعود إلى المعارك الأدبية الطاحنة التي كانت تدور ما بين أهل الكوفة والبصرة .

بعد ذلك، تحدثت عن بعض المقطوعات المتشابهة في كتب الحماسات والاختيارات الشعرية . فتبين لي أن بعض الحماسات قد أخذ عن بعض، ولم تكتف بذلك، بل عدلت الى روايات اخرى للمقطوعات في مصادر مختلفة وأخذت بها. لذا فقد وجدت بعض الاختلافات في مفردات المقطوعات بين كتب الحماسات والمختارات .

ولم أكتف بذكر الحماسات – قيد الدراسة – بل أضفت إليها حماسات أخرى أخذت عنها وكتب مختارات شعرية أيضاً . فكانت المقارنة قد تمت بين كتب الحماسات الشعرية مع بعضها من جهة، وبيتها وبين كتب الحماسات والمختارات الشعرية الأخرى من جهة أخرى .

وأخيراً بينت أن هذا الاختلاف في المقطوعات في أصله يعود إلى اختلاف الرواة ، في تناولهم للمقطوعات وما قد يبدله الراوي من كلمة مكان كلمة أخرى ، أو جملة مكان جملة . وبينت أن ذلك في نظري جائز إذا كانت الألفاظ المستبدله مترادفة ، ومعناها متقارب .

المصادر والمراجع

١ -**القرآن الكريم**

٢ -الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ). **الموازنة بين الطائيين**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢ .

٣ -الأخطل، غياث بن غوث، **ديوان الأخطل**، ط١، (تحقيق مهدي محمد ناصر الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م .

٤ -الأسد، ناصرالدين (١٩٩٦م). **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ط٨، بيروت، دار الجيل.

٥ -إسماعيل، عز الدين (١٩٧٦م). **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي**، بيروت، دار النهضة.

٦ -الإسكندري، أحمد وعنان، عبدالله (١٩٢٨م). **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه** ، ط٧، مصر، دار المعارف.

٧ -الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ)، **الأغاني**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م .

٨ -الأصمعي، أبوسعيد عبدالملك بن قريب (ت٢٣١هـ). **الأصمعيات**،ط٣، (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون)، دار المعارف، مصر،١٩٦٤م .

٩ -ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم السجازي (ت ٧٤٩هـ). إرشاد **القاصد إلى أسمى المقاصد**، ط١، (تحقيق محمد فاخوري وآخرون)، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٨م .

١٠ -الأمين، السيد محسن (١٩٦١م). **أعيان الشيعة**، ط١، (تحقيق حسن الأمين).

١١ -الأنباري، أبوالبركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ). **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ط٣، (تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار)، الأردن، ١٩٨٥م.

١٢ -الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ). **إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية .

١٣ -البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت٢٨٤هـ). **الحماسة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م .

١٤ -بروكلمان، كارل. **تاريخ الأدب العربي**، ط٥، (ترجمة عبدالحليم النجار)، دار المعارف.

١٥ -البصري: صدرالدين علي بن أبي الفرج بن الحسن(ت٦٥٦هـ). **الحماسة البصرية**، ط١، (تحقيق عادل سليمان جمال)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م .

١٦ -البغدادي، إسماعيل باشا (ت١٠٦٧هـ). **هدية العارفين**، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٧ -البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ). **خزانة الأدب**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م .

١٨ -البغدادي، محب الدين بن النجار(ت٦٤٣هـ). **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، ط١، (تحقيق محمد مولود خلف)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م .

١٩ -التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت٥٠٢هـ). **شرح ديوان الحماسة**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر .

٢٠ -التكريتي، عبد المنعم (١٩٧٤م). **ابن الشجري ومنهجه في النحو**، بغداد، مطبعة الجامعة.

٢١ -أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ). **ديوان الحماسة**، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١٦م .

٢٢ -أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ). **الوحشيات**، ط٣، (تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، دار المعارف، القاهرة.

٢٣ -الجمحي، محمد بن سلام (ت٢٣٢هـ). **طبقات فحول الشعراء**، (تحقيق محمود شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة .

٢٤ -الحَمْوي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ). **معجم الأدباء**، (تحقيق إحسان عباس)، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣١م .

٢٥ -ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي (ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت .

٢٦ -خليف، يوسف. **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، مصر .

٢٧ -خليفة، حاجي (ت٥٤٧هـ). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المكتبة القنصلية، مكة المكرمة .

٢٨ -الخوانساري، الميرزا أحمد باقر الموسوي الأصبهاني. **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، (تحقيق أسد الله إسماعيليان)، طهران .

٢٩ -الدقاق، عمر (١٩٧٢م). **مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم**، ط٣، بيروت، دار الشروق.

٣٠ -الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ). **تاريخ الإسلام**، ط١، (تحقيق عمر عبدالسلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م .

٣١ -الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ). **سير أعلام النبلاء**، ط١، (تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م .

٣٢ -الزركلي، خير الدين (ت ١٩٧٦م). **الأعلام**، ط٣، بيروت، لبنان.

٣٣ -الزوزني، عبدالله بن محمد العبدلكاني (ت٤٣١هـ) . **حماسة الظرفاء،** (تحقيق محمد بهي الله بن محمد سالم)، دار الكتاب المصري، القاهرة .

٣٤ -السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** ط١، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٥ -ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت٥٤٢هـ). **الحماسة الشجرية،** (تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي)، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.

٣٦ -ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت٥٤٢هـ). **مختارات شعراء العرب،** (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار نهضة مصر، القاهرة .

٣٧ -الشيرزاوي، صدر الدين السيد علي خان المدني الحسيني (ت١١٢٠هـ). **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة،** مكتبة بصيرتي .

٣٨ -الصدر، السيد حسن. **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام،** شركة النشر العراقية المحدودة .

٣٩ -الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ). **الوافي بالوفيات،** ط١، (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م .

٤٠ -الضبي، المفضل (ت١٦٨هـ). **المفضليات،** ط٣، (تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

٤١ -ضناوي، محمد أمين (١٩٧٧م). **أمر الصعاليك في الجاهلية : لصوص أم رواد ثروة إجتماعية،** ط١، بيروت، لبنان، دار الشرق الأوسط.

٤٢ -العاني، سامي، والعدواني، عبدالوهاب (١٩٧٩م). **المكتبة،** بغداد، المكتبة الوطنية.

٤٣ -عطوان، حسين (١٩٨٧م). **مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي**، بيروت، دار الجيل.

٤٤ -عطوان، حسين (١٩٨٧م). **مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام**، بيروت، دار الجيل.

٤٥ -عطوان، حسين (١٩٨٧م). **مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي**، ط١، بيروت، دار الجيل.

٤٦ -العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ). **مسالك الأبصار**، (تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام عقلة)، مركز زايد، الإمارات .

٤٧ -الفاخوري، حنا. **الحكم والأمثال**، ط٤، القاهرة، دار المعارف.

٤٨ -ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ). **الشعر والشعراء**، ليدن، بريل، ١٩٠٤م .

٤٩ -القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ). **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م .

٥٠ -المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ). **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م .

٥١ -المصري، عبد الفتاح (١٩٨٦م). **المعلقات في كتب التراث**، ط١، مؤسسة الرسالة.

٥٢ -مصطفى، إبراهيم وآخرون(١٩٧٢م). **المعجم الوسيط**، القاهرة.

٥٣ -ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ). **لسان العرب**، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م .

٥٤ -الملوحي، عبد المعين (تحقيق) (١٩٨٣م). **مجموعة المعاني** لمؤلف مجهول، (يرجح أنه من رجال القرن الخامس الهجري)، خلاسدار، دمشق.

٥٥ -ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحق (ت٤٣٨هـ). **الفهرست**، (تحقيق رضا- تجدد، دانكشاه، طهران .

٥٦ -اليماني، عبد الباقي عبد المجيد (ت٧٤٣هـ). **إشارة التعيين**، ط١، (تحقيق عبد المجيد دياب)، مركز الملك فيصل للبحوث، ١٩٨٦م .

الدوريات :

١ -القيسي، نوري (١٩٧٩م). ملامح من الشعر القصصي في الأدب العربي، **مجلة كلية الأداب**، جامعة بغداد، (عدد ٢٤).

٢ -متولي، أحمد شوقي (٢٠٠٤م). أوجه الاتفاق والاختلاف، **مجلة أفق الثقافية**.

٣ - هدارة، محمد مصطفى (١٩٦٥م). اشتراكية الشعراء الصعاليك، **مجلة أقلام**، بغداد، ج٢، السنة الثانية.

الرسائل الجامعية :

١ -حمودة، حنان (١٩٧٩م). **المعايير النقدية في المختارات الشعرية من القرن الخامس إلى القرن الثامن**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

٢ -الدروبي، محمد (١٩٨٣م). **المختارات الشعرية ومعاييرها النقدية حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد.

٣ -سعيد، عبده (١٩٩٨م). **كتاب الوحشيات لأبي تمام : دراسة وتحليل**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد.

٤ - كفافي ، منذر ذيب (٢٠٠٢م). **الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة فـــي الشكل والمضمون**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد .

IBIN AL-SHAJARI ENTHUSIASM : COMPARISON STUDY

By : Fahmi Mahmoud Awwad Sheil

Supervisor : Dr. Yassin Ayesh

ABSTRACT

This study focused on the similarities and differences between Ibin Al-Shajari Enthusiasm and previous enthusiasms. This study contains Introduction and four chapters as follows:

Introduction: Studies Ibin Al-Shajari ' life and literature. Also it shows a historical perspective on the enthusiasms, selections of Poetry and what old and new references have mentioned about books of enthusiasms.

First Chapter: Has the title " Ibin Al-Shajari's Style: Comparison Study

This stydy compares between Ibin Al-Shajari's Style and approach in representing the stanzas of his enthusiasms and the style of other poets of Enthusiasms.

Second Chapter: talks about the most important poetic content in the selected books of enthusiasms. I show two issues: Introduction of poetry Stanza in books of enthusiasms, poetic story and dialogue and then I analyze some of Stanzas texts.

Fourth Chapter: I take the common stanzas between the books of Enthusiasms and the books of selections of Poetry or between the books of enthusiasms demonstrating the differences between the words of stanzas because of different narrations.